بسم الله الرحمن الرحيم

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

صلى الله على محمد العظيم وآله العلي

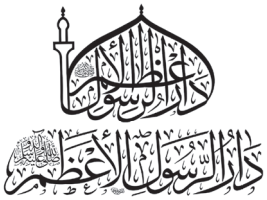

العنوان: الاستشراق الإيطالي في السيرة النبوية الشريفة
(فرانشيسكو غابريلي في كتابه محمد والفتوحات الإسلامية أنموذجاً)
المؤلف: عباس قاسم عطية المرياني
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – دار الرسول الاعظم ﷺ
المراجعة اللغوية: دار الرسول الاعظم ﷺ
الإعداد والتَّحرير: م.م ياسين خضير عبيس
الادارة الفنية: حسن علي عبداللطيف المرسومي
التَّصميم والإخراج الطباعي: علي عبد الحليم – احمد نعمة
عدد النّسخ: ١٠٠
١٤٤٣ هـ – ٢٠٢٢ م.
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة – دار الرسول الاعظم ﷺ
رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية ١٤٤٨ لسنة ٢٠٢٢م

الاستشراق الإيطالي في السيرة النبوية الشريفة

فرانشيسكو غابرييلي في كتابه

محمد والفتوحات الإسلامية أنموذجًا

المرياني، عباس قاسم عطية، مؤلف.
الاستشراق الايطالي في السيرة النبوية الشريفة : فرانشيسكو غابريلي في كتابه محمد والفتوحات الاسلامية انموذجا = Italian Orientalism In The Propophetic Biography : Francesco Gabrielli In His Boobook "Muhammad And The Islamic Coconquests As An Example / عباس قاسم عطية المرياني.-الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الرسول الاعظم ﷺ، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٢.
٢٨٦ صفحة ؛ ٢٤ سم.-(سلسلة السيرة = CHRONICLE SERIES ؛ ١٣)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة ٢٦٤-٢٨٣
١. بترارکا، فرانشيسكو، ١٣٠٤-١٣٧٤. محمد والفتوحات الاسلامية. ٢. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، ٥٣ قبل الهجرة-١١ هجري.٣. السيرة النبوية.٤. الاستشراق والمستشرقون.٥. الفتوحات الاسلامية. أ. العنوان.
LCC : BP75.3.P48 M37 2022
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

الترقيم الدولي المعياري للكتاب
ISBN: 978-9922-680-25-5

رسالة ماجستير تقدم بها الطالب عباس قاسم عطية المرياني

الى مجلس كلية التربية للبنات جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي

بإشراف الاستاذ الدكتور رحيم حلو محمد البهادلي

المحتويات

المحتويات.....٦

المقدمة:.....١٠

الفصل الأول: الاستشراق والاستشراق الإيطالي.....٢١

المبحث الأول: الاستشراق لغةً واصطلاحاً.....٢٢

- الاستشراق لغةً.....٢٣

- الاستشراق اصطلاحاً.....٢٤

المبحث الثاني: نشأة الاستشراق ودوافعه.....٢٩

- نشأة الاستشراق.....٣٠

- دوافع الاستشراق.....٣٣

المبحث الثالث: الاستشراق الإيطالي وأبرز مستشرقيه ومدارسه.....٣٨

- الاستشراق الإيطالي.....٣٩

- أبرز المستشرقين الإيطاليين.....٤٤

- المدارس والمجلات الاستشراقية الإيطالية.....٥١

المبحث الرابع: المستشرق فرانشيسكو غابريلي.....٥٢

- حياة فرانشيسكو غابريلي.....٥٣

- آراؤه في الحضارة الإسلامية والاستشراق.....٥٤

- مؤلفاته.....٥٦

- منهجه في كتابة السيرة النبوية.....٥٩

- مصادره في كتابة السيرة النبوية.....٦٤

الفصل الثاني: الدعوة في مكة.....٦٧
المبحث الأول: سيرته ﷺ عند المؤرخين المسلمين والغربيين.....٦٨
- سيرة رسول الله محمد ﷺ عند المؤرخين المسلمين.....٦٩
- سيرة رسول الله محمد ﷺ عند المؤرخين الغربيين.....٧٨
المبحث الثاني: حياة رسول الله محمد ﷺ في مكة.....٨٨
- مولده ونسبه الشريف ﷺ.....٨٩
- موطنه ﷺ قبل البعثة ٩٤
- حياته ﷺ.....٩٧
- زواجه ﷺ بالسيدة خديجة عليها السلام.....٩٩
- نزول الوحي.....١٠٠
المبحث الثالث: الجهر بالدعوة الإسلامية.....١٠٦
- إعلان الدعوة.....١٠٧
- الاضطهاد والتعذيب.....١٠٨
- موقف أبي طالب من رسول الله ﷺ ودفاعه ١١٢
- الهجرة إلى الحبشة.....١١٥
- سفره ﷺ إلى الطائف.....١١٧
- الأنصار من أهل يثرب.....١١٩
- الهجرة إلى يثرب.....١٢٣
الفصل الثالث: الدعوة في المدينة.....١٢٩
- نبذة عن المدينة المنورة ١٣٠
المبحث الاول: تأسيس الدولة.....١٣٦

-المؤاخاة.....١٣٩
- وثيقة المدينة.....١٤١
- موقف اليهود والنصارى.....١٤٤
- تحويل القبلة.....١٤٨
المبحث الثاني: زوجات الرسول ﷺ.....١٥٤
- تعدد زوجاته ﷺ.....١٥٩
- تجني المستشرقين في زواجه ﷺ من زينب بنت جحش.....١٦٧
المبحث الثالث: عالمية الرسالة والوفود القادمة على رسول الله ﷺ.....١٧٨
- عالمية الرسالة.....١٧٩
- رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك.....١٨٢
- الوفود القادمة على رسول الله ﷺ.....١٨٤
المبحث الرابع: الاستخلاف ووفاته ﷺ.....١٨٨
-الاستخلاف.....١٨٩
- مرض رسول الله ﷺ ووفاته.....١٩٧
- صفاته وخُلقه الكريم ﷺ.....١٩٩
الفصل الرابع: التنظيمات العسكرية لرسول الله ﷺ.....٢٠٣
المبحث الأول: السرايا.....٢٠٤
-السرايا.....٢٠٥
المبحث الثاني: المعارك.....٢١٦
- معركة بدر الكبرى.....٢١٧

- معركة بني القينقاع..... ٢٢١
- معركة أُحُد..... ٢٢٣
- معركة بني النضير..... ٢٢٧
- معركة الأحزاب..... ٢٣١
- معركة بني قريظة..... ٢٣٦
- صلح الحديبية..... ٢٤٢
- معركة خيبر..... ٢٤٦
- معركة مؤتة..... ٢٤٨
- فتح مكة..... ٢٥٠
- معركة حُنين..... ٢٥٣

الخاتمة..... ٢٥٧

قائمة المصادر والمراجع..... ٢٦٣

ملخص باللغة الإنكليزية..... ٢٨٧

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله حبيب الله ورسوله المصطفى محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأوفياء المنتجبين...

عند الخوض في معترك الدراسات التاريخية، فلا بد أن يكون للباحث هدف يبغي تحقيقه من هذه الدراسة أو يتخصص به، ونظراً لتنوع مجالات دراسة التاريخ وتعددها، فقد كان الهدف هو الخوض في دراسة السيرة النبوية، فمن دواعي الفخر والاعتزاز التطرق لهذه السيرة العطرة التي نستنير بنورها القدسي، ونستلهم منها العبر والحكم، ونسير على درب رسولنا الكريم محمد ﷺ الذي خطه للعالم أجمع، كما ان السيرة النبوية تعدّ حافزاً كبيراً، ومنهجاً قوياً يسير عليه طلاب العلم؛ ليقتدوا بالرسول ﷺ، وينهلوا من عمله، فضلاً عن ذلك فإن التخلق بخلقه ﷺ عبادة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى.

فالكتابة في السيرة النبوية تُعدّ من الأساسيات المهمة، باعتبارها أول ما كُتب في التدوين التاريخي، فضلاً عن ذلك فإن الكتابة فيها لم تقتصر على المؤرخين العرب والمسلمين فقط، بل تناولتها الدراسات الاستشراقية بشكل واسع وكبير، وتخصصوا فيها، وتفاوتت كتابات المستشرقين بين الإنصاف والتجني، فكلٌّ منهم ذهب وراء تفسيره وتحليله للحدث التاريخي للسيرة العطرة، فنرى بعضهم أنصف، حتى تأثر بشخصية رسول الله ﷺ؛ لأنه اتبع منهجاً علمياً صحيحاً، وبعضهم الآخر حاول الدس وتشويه الحقيقة معتمداً في ذلك على ميوله وتطرفه، ومتكئاً على الروايات الإسلامية الضعيفة التي تخدم منهجه.

تنوعت المدارس الاستشراقية في دوافعها، فمنها العلمية التي كانت تسعى

لخدمة العلم والمعرفة، واتبعت منهجاً علمياً في عملها، ومنها الدينية التي كانت غايتها التبشير بالديانة المسيحية، وتشويه صورة الدين الإسلامي الذي طوق حدودها، ومنها السياسية والاستعمارية التي خدمها الاستشراق في معرفة المنطقة المراد استعمارها، ودراسة طبيعتها من جميع الجوانب لتسهيل عملية السيطرة عليها، ومنها الاقتصادية التي كانت غايتها فتح مناطق سوق جديدة لتصريف منتجاتها بعد الثورة الصناعية التي شهدتها أوربا، فعملت أغلب هذه المدارس على إظهار رسول الله ﷺ بشكل، أو صورة مغايرة عما عليه في الحقيقة والواقع، فبعض الدراسات الغربية تطمح إلى تشويه سيرة هذه الشخصية العظيمة النيرة بشتى الوسائل؛ لأنها تمثل عماد الدين الإسلامي، وقدوة المسلمين ومثلهم الأعلى، الذي تمكن من تأسيس دولة إسلامية عظمى، حولت العرب من مجرد أناس بسطاء يسكنون الصحراء إلى قوة عربية إسلامية عالمية فاعلة على مستوى التأريخ والحضارة، فاستشعر الغرب بالخطر المحدق بهم.

اقتصر الباحث في دراسته هذه على تناول المدرسة الإيطالية، التي تعدّ من أوائل المدارس الاستشراقية التي اهتمت بدراسة السيرة النبوية لعدة أسباب منها: قربها من المنطقة العربية مما سهل عملية التواصل الحضاري المستمر بين إيطاليا والمنطقة العربية سواء قبل ظهور الإسلام، أم بعده، وكان لجزيرة صقلية، وجنوب إيطاليا دور مهم في لعب هذا الدور في التواصل الحضاري، فضلاً عن ذلك فإن إيطاليا كانت حاضنة للكنيسة الكاثوليكية التي كانت لها السيطرة على معظم أوربا في القرون الوسطى، وهي صاحبة المبادرة التي شجعت على دراسة التراث العربي الإسلامي سعياً منها

لمعرفة الدين الإسلامي، والرّد عليه.

تميز المستشرقون الإيطاليون بتنوع كتاباتهم عن الإسلام والحضارة الإسلامية، تناولنا منهم المستشرق فرانشيسكو غابريلي في كتابه (محمد والفتوحات الإسلامية)، الذي يُعدّ من كبار هؤلاء المستشرقين، وله العديد من المؤلفات الأخرى التي تنوعت في حقبها التاريخية، في العصر الأموي، والعصر العباسي، والحروب الصليبية، فضلاً عن ذلك كانت له كتابات واسعة في الأدب العربي الإسلامي.

ونظراً لقلة الكتابات التي تناولت الاستشراق الإيطالي بالبحث والدراسة، ولكون كتاب المستشرق غابريلي (محمد والفتوحات الإسلامية) احتوى على معلومات وآراء متعددة ومتناقضة في الوقت نفسه عن سيرة رسول الله ﷺ تستحق الدراسة والرد عليها، فضلاً عن ذلك لم نجد دراسة أكاديمية مستقلة ومتخصصة تناولت السيرة النبوية في كتابات فرانشيسكو غابريلي، سوى بحث أو بحثين تناولت ذلك، منها دراسة في سيرة النبي محمد ﷺ من خلال كتاب محمد والفتوحات الإسلامية (زوجاته أنموذجاً)، (بحث منشور للأستاذ الدكتور رحيم حلو البهادلي في مجلة دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، العراق، العدد١١، ٢٠١٧م)، ودراسة أخرى بعنوان منهج فرانشيسكو غابريلي في كتابة السيرة النبوية دراسة نقدية حول كتابه محمد والفتوحات الإسلامية (بحث منشور للأستاذ أكرم الحق ياسين في مجلة جهات الإسلام خاص بالسيرة، باكستان، مج٤، العدد ١-٢، ٢٠١٠-٢٠١١م)؛ لذا اختير هذا الموضوع للرسالة والموسوم بـ: (الاستشراق الإيطالي في السيرة النبوية فرانشيسكو غابريلي في كتابه

محمد والفتوحات الإسلامية أنموذجاً).

تضمنت الرسالة مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. تناول الفصل الأول الذي كان عنوانه: (لمحة تاريخية عن الاستشراق والاستشراق الإيطالي)، مفهوم الاستشراق لغةً واصطلاحاً، وبدايات نشأة الاستشراق ودوافعه الرئيسة، وأشرنا فيه إلى الاستشراق الإيطالي، وأبرز مستشرقيه ومدارسه، ثم عرجنا على حياة المستشرق الإيطالي فرانشيسكو غابريلي، ومؤلفاته، ومنهجه، ومصادره في كتابة السيرة النبوية.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ: (الدعوة في مكة) فقد احتوى على دراسة سيرة رسول الله محمد ﷺ من مولده الشريف حتى الهجرة المباركة، متناولين أيضاً سيرته عند المؤرخين العرب والمسلمين، وعند مؤرخي الغرب، ونسبه الشريف، وتاريخ ولادته، وموطنه قبل البعثة، وسفره إلى بلاد الشام، وزواجه من السيدة خديجة بنت خويلدعليها السلام، ثم نزول الوحي عليه ﷺ، وبدء الجهر بالدعوة، وما تعرض له المسلمون من الاضطهاد والتعذيب، وموقف أبي طالب ودفاعه عن رسول الله ﷺ، والهجرة إلى الحبشة، وسفره للطائف، ولقاءه الكريم ﷺ بالأنصار من يثرب، ثم هجرته المباركة بعد ذلك.

أما الفصل الثالث فقد كان تحت عنوان: (الدعوة في المدينة)، تناولنا فيه نبذة عن تاريخ المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية، ثم مراحل تأسيس الدولة الإسلامية من بناء المسجد، ونظام المؤاخاة، ووثيقة المدينة وما احتوته من بنود، ثم عرجنا على موقف اليهود والنصارى من الدعوة الإسلامية، وما ذكره المستشرق عن سبب تحويل القبلة، ثم تطرقنا إلى تعدد زوجات رسول الله ﷺ، وما قاله المستشرقون في هذا

التعدد، وقد ركزنا على زواجه من السيدة زينب بنت جحش؛ لما كان لهذا الزواج من تأويلات ودس من المستشرقين، وبضمنهم غابريلي نفسه، فضلاً عن ذلك فقد تناولنا موضوع عالمية الرسالة المحمدية، والرسل الذين بعثهم ﷺ إلى الملوك، وأهم الوفود التي وفدت عليه بعد فتح مكة، وانتشار الإسلام في كل بقاع الجزيرة العربية، ثم كان لغابريلي رأي في استخلاف رسول الله بعد وفاته تطرقنا إليه بشي من الشرح، وختمنا الفصل بوفاته ﷺ.

والفصل الرابع خصصناهُ لتنظيمات رسول الله ﷺ العسكرية وقد وسمناه بـــ: (التنظيمات العسكرية لرسول الله ﷺ)، متناولين مفهوم السرية والغزوة، وحاولنا الرد على قول المستشرق غابريلي بتصويره أن هذه السرايا كانت كالحملات النهبية قبل ظهور الإسلام، ثم بيّنا أهم السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ، والهدف من إرسالها، منها سرية حمزة بن عبد المطلب، وسرية عبد الله بن جحش، وسرية سعد بن أبي وقاص، كما وضحنا السرايا الخاصة التي أرسلت للقضاء على بعض الذين كانوا يتربصون بالإسلام ورسوله ﷺ منها سرية لقتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي نال ما نال من المسلمين ورسولهم الكريم ﷺ، وسرية لقتل العصماء التي كانت تحرض على المسلمين بشعرها، وغيرها من السرايا.

أما عن المعارك التي قادها ﷺ بنفسه، فابتدأنا بمعركة بدر الكبرى وما قاله المستشرق غابريلي عنها، ومعركة بني قينقاع وإجلائهم من المدينة وموقف غابريلي من هذا الإجلاء متناسياً بنود وثيقة المدينة، ثم معركة أُحُد وما حصل فيها من أحداث، ومعركة بني النضير التي عَدّ غابريلي إجلاءهم سببا تافها، ومعركة

الأحزاب وما حصل فيها من نصر للمسلمين وانعكاساتها على بني قريظة الذين غدروا بالمسلمين، وكيف أنزل رسول الله ﷺ القصاص بهم، ثم الحديبية، وما تضمنته من بنود الصلح، ومعركة خيبر، ومؤتة، وفتح مكة وما ترتب عليه من نتائج تاريخية مهمة، وأخيراً معركة حُنين.

لاقى الباحث بعض الصعوبات والمتاعب، منها ما هو استثنائي وخارج عن إرادة الباحث متمثلاً بالتظاهرات التي عَمّت البلد ابتداءً من شهر تشرين الأول من عام ٢٠١٩م حتى شهر كانون الثاني ٢٠٢٠م، وعلى اثرها أغلقت الجامعات ومكتباتها، وتوقفت خدمة الانترنت التي يعتمد عليها الباحث بشكل كبير، ثم لحقها بعد ذلك انتشار وباء كورونا الذي شلَّ عصب الحياة في جميع العالم وما زال، فأغلقت كل المؤسسات التعليمية والأكاديمية والبحثية، مما أثر بشكل كبير في إكمال متطلبات الرسالة.

أما الصعوبات والمتاعب الأخرى التي واجهت الباحث فهي قلة المعلومات المتعلقة بالاستشراق الإيطالي؛ بسبب ندرة الذين كتبوا فيه، وهذه القلة التي كتبت كانت عبارة عن بحوث في مجلات عربية وعالمية واجهنا صعوبة في الوصول إليها، فضلاً عن ذلك قلة المصادر الأجنبية في هذا الجانب، ولا سيما ان منهجية المستشرق غابريلي كانت تقضي بعدم ذكر أي مصدر عربي، وكان اعتماده على المصادر الأجنبية، مما صعب علينا معرفة مصادر معلوماته في السيرة النبوية الشريفة؛ لذلك اضطررنا إلى الرجوع إلى مصادره الأجنبية، كما انه أورد في كتابه معلومات عن السيرة النبوية الشريفة كانت غريبة، وغير معتمدة في المصادر العربية والإسلامية، مما حدا بنا إلى

البحث والتقصي عنها بدقة، وأخيراً كان المستشرق متناقضاً أحياناً في نقله، فمرة يثبت رواية ومرة ينفيها، وهذا مما تطلب الدقة في تحليل نصوص كتابه.

اعتمدت الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع في مقدمتها كتاب الله العزيز القرآن الكريم الذي أمدنا بمعلومات قيمة عن السيرة النبوية، فهو خير شاهد وخير دليل، قال تعالى: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد﴾[1]. وكتب الحديث التي أفادت الرسالة بشيءٍ وافر من الأحاديث النبوية الشريفة، وأحداث السيرة النبوية الشريفة التي تنقلها هذه الكتب، مثل أحكام الشريعة الإسلامية، وعلاقة رسول الله ﷺ بآل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام، ومن هذه الكتب التي اعتمدت عليها مسند أحمد لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ - ٨٥٥م)، وصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ - ٨٧٠م)، وصحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ - ٨٧٥م)، وسنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ - ٨٨٨م)، وكتاب المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله الملقب بالحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ - ١٠١٤م).

كما ان كتب السيرة النبوية من أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث في جمع المعلومات، منها السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ - ٨٣٤م)، والسيرة النبوية للحافظ عماد الدين بن كثير (ت٧٧٤هـ - ١٣٧٣م) التي تميزت بنوع من الدقة، برفضه لبعض الروايات التي تسيء لمقام رسول الله ﷺ وشخصه الكريم، إلا أنه لم يرد عليها، وكتاب إمتاع الأسماع لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي

١-سورة فصلت: آية ٤٢.

(ت٨٤٥هـ - ١٤٤١م)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ - ١٥٣٥م)، والسيرة الحلبية لعلي بن إبراهيم الحلبي (ت١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م). وغيرها من المصادر المعتمدة.

كذلك أمدتنا كتب التفاسير بمعلومات مهمة وقيمة عن رسول الله ﷺ، والمسائل الفقهية والتشريعية، والمغازي، والسرايا، وتفسير جميع الآيات التي تناولتها في الرسالة، ومن هذه التفاسير: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ - ٩٢٢م)، وتفسير ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ - ٩٣٩م)، وتفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ - ٩٤١م)، والتبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ - ١٠٦٨م)، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ- ١٣٧٣م)، وغيرها.

أما كتب التاريخ العام فقد احتوت على معلومات وفيرة عن رسول الله ﷺ، وما يتعلق بأحداث السيرة النبوية الشريفة، اعتمد عليها الباحث بشكل كبير في الدراسة، ومنها كتاب المحبر، وكتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ - ٨٥٩م)، وتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ - ٩٢٢م)، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٣٠هـ - ١٢٣٣م)، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (ت٧٧٤هـ - ١٣٧٣م)، وغيرها.

واستقينا من كتب التراجم والطبقات تراجم الشخصيات التي تناولتها الرسالة، وبعض المعلومات التاريخية المهمة عن السيرة النبوية الشريفة، والجوانب المتعلقة بها، ومن هذه الكتب: كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت٢٣٠هـ - ٨٤٥م)،

الذي أفادنا كثيراً؛ وذلك لتخصيص الجزأين الأول والثاني لسيرة رسول الله ﷺ، فضلاً عن التراجم الأخرى، وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط (ت٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م)، واستعنت بأنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ - ٨٩٣م)، وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ - ١٠٧١م)، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ هـ - ١٤٤٨م).

وأفدنا من كتب اللغة والمعاجم في معرفة المعاني اللغوية والاصطلاحية لبعض الكلمات التي استخدمت في الدراسة، ومنها: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ - ٧٨٧م)، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ - ٩٨٠م)، وكتاب لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ - ١٣١١م)، وكتاب تاج العروس في جواهر القاموس للزبيدي (١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م).

وكتب البلدان كان لها حضور في الدراسة في معرفة مكان المدن، أو القرى، أو مواقع بعض الغزوات التي وردت في الرسالة، منها كتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل (٣٦٧هـ - ٩٧٧م)، ومعجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ -١٢٢٩م)، وغيرها.

وكان للمراجع الحديثة أهمية كبيرة في رفد الرسالة بمعلومات كثيرة وقيمة عن مفهوم الاستشراق، ودوافعه، ومنها: موسوعة ال.مستشرقين لعبد الرحمن بدوي، والمستشرقون لنجيب العقيقي، ومعجم أسماء المستشرقين ليحيى مراد، وغيرهم.

كما ان المراجع الأجنبية المترجمة وغير المترجمة أمدتنا بمعلومات مهمة لمقارنة آراء المستشرقين في السيرة النبوية، ومنها: كتاب دفاع عن الإسلام للمستشرقة الإيطالية فاغليري، وكتابا: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ومحمد في المدينة للمستشرق مونتمغري وات، والعقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر، وعدد آخر غيرها.

وأخيراً، فإن هذه الدراسة هي ردٌّ يسيرٌ جداً لدَيْنٍ وفضلٍ قدمته الشخصية المحمدية للعالم بأسره على وجه العموم، والأمة الإسلامية على وجه الخصوص، ونرجو أن نكون قد وفقنا لردّ افتراءات بعض المستشرقين على سيرة خير البشر رسول الله ﷺ، ونلتمس العذر والمغفرة من الله سبحانه وتعالى، ومن رسوله الكريم ﷺ إن أخطأنا أو قصرنا في قول، أو عمل، فليس للإنسان إلا ما سعى، وما كان عملنا هذا إلا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الباحث

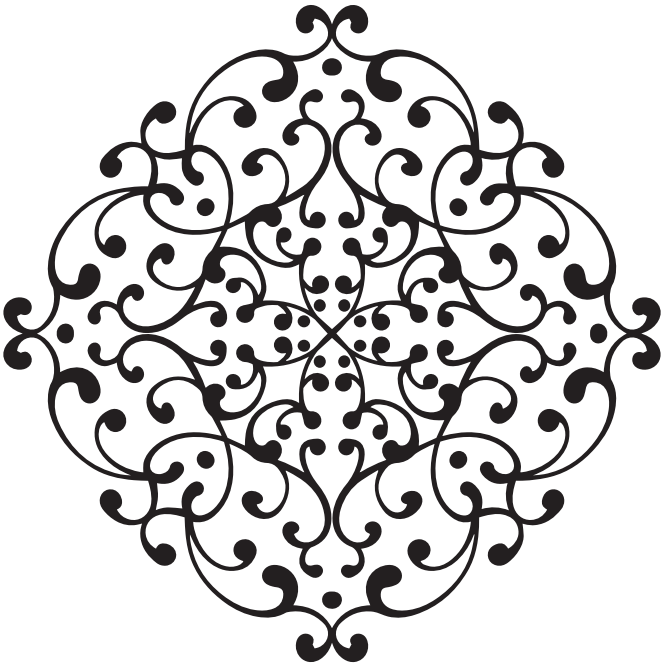

الفصل
الأول

المبحث
الأول

الاستشراق لغة واصطلاحاً

*** الاستشراق لغة**

كلمة (الاستشراق) في أصلها اشتقت من كلمة شرق: شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضع المَشْرِق، يقال: شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت[١]. والشرق: الضوء الذي يدخل من شق الباب[٢].

وكلمة شرق زيدت عليها ثلاثة حروف هي الألف، والسين، والتاء فأصبحت على وزن استفعل للطلب، مثل قوله تعالى في سورة القصص: ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ موسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ**﴾[٣]، فنلاحظ في الآية كلمة (استنصره) بمعنى طلب النصرة، وكذلك استغفر أي طلب المغفرة، واستنصح أي طلب النصيحة، وكذا استسقى، واستطعم، فـ(استشرق) طلب علوم الشرق وآدابه، ولغاته، وأديانه[٤]. والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق، يقال: شتان بين المشرق والمغرب، وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق، أو أتوا الشرق[٥].

والمنطقة الجغرافية المعنية بالاستشراق هي كل ما وقع شرق القارة الأوربية أو جنوبها من بلاد العرب والمسلمين، والأقوام الأخرى في آسيا وافريقيا ومالها من ديانات وأدب وفن ونتاجات فكرية[٦].

١-الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ-١٠٠٢م)، تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ٤/ ١٥٠١؛ ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ-١٣١١م)، لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم-ايران، محرم ١٤٠٥هـ)، ١/ ١٧٣.

٢-الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ-١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ٢٥/ ٤٩٤.

٣-سورة القصص: آية١٨.

٤-عمر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ط١، عالم الكتب، مصر- القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ٢/ ١١٩٢؛ محمد: إسماعيل علي، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (ط٦، دار الكلمة، مصر- القاهرة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م)، ص١١.

٥-الجوهري: الصحاح، ٤/ ١٥٠١؛ ابن منظور: لسان العرب، ١/ ١٧٣؛ إبراهيم: انيس وآخرون، المعجم الوسيط، (ط٤، مطبعة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٤٨٠.

٦-الجنابي: أمجد يونس، آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، (ط١، مركز تفسير للدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية- الرياض، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥)، ص١٨.

والشرق في اللغة الإنكليزية (Orient)، والاستشراق هو (Orientalism)، وتعني الدراسات، والاهتمامات الأكاديمية لثقافات الشرق ولغاته، و(Oriental) تعني شخصاً مشرقياً، أو شرقياً، و(Orientalist) هي مستشرق[١].

وهنا ربما يطرح سؤال: لماذا استخدمت كلمة (orient) مع أن كلمة (east) هي التي تشير إلى الشرق؟ . إن كلمتي (orient) و(east) مترادفتان في المعنى، إلا أن كلمة (east) تأتي لتوضيح الجهة الشرقية، أو الجانب الشرقي من كل شيء، وتستعمل أيضا للدلالة على النصف الشرقي من الكرة الأرضية، أما كلمة (orient) فتدلّ على الأقطار الواقعة في الشرق من البحر الأبيض المتوسط وأوربا[٢].

❋ الاستشراق اصطلاحا

استقر مصطلح الاستشراق وأُقرّ في مؤتمر المستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، وبعد مئة عام عقد مؤتمر للمستشرقين أيضاً في باريس عام ١٩٧٣م، وتم تغيير مصطلح الاستشراق إلى العلوم الإنسانية الخاصة بالعالم الإسلامي[٣].

إن لفظ الاستشراق مصطلح أكاديمي[٤]، وهو يعبر عن الهيمنة الغربية على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه[٥]. والاستشراق هو استخدام العلم في خدمة السياسة[٦]، أو هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات (تقارير) حوله، ووصفه، ودراسته، والاستقرار فيه، والسيطرة عليه، وحكمه[٧]، والاستشراق يعني طلب علوم

١-البعلبكي: منير، المورد الحديث (قاموس إنكليزي عربي)، (دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، د.ت)، ص٨٠٢.
٢-زماني: محمد حسن، الاستشراق تاريخه ومراحله، (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، تصدر عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الأولى، العدد١، ٢٠١٤م/ ١٤٣٥هـ)، ص١٧٦.
٣-القصاب: لطيف نجاح شهيد، الاستشراق في فكر ادوارد سعيد قراءة في منهج الخطاب، (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد١٧، ٢٠١٩م)، ص٧٢-٧٣.
٤-سعيد: ادوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، (ترجمة: محمد عناني، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ص٤٤.
٥-سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ص٤٥-٤٦.
٦-الجندي: أنور، الإسلام والدعوات الهدامة، (ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٧٤م)، ص٢٥١.
٧-شوق: شاكر عالم، الاستشراق أخطر تحدٍّ للإسلام، (بحث منشور في دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلادش، مج٣، ٢٠٠٦م)، ص٦٤-٦٥.

الشرق، ولغاتهم[١]، أو التخصص في معرفتها[٢]، أو هو العلم الذي يدرس لغات شعوب الشرق، وتراثهم، وحضاراتهم، ومجتمعاتهم، وماضيهم، وحاضرهم[٣].

ويمكن تعريف الاستشراق بأنه دراسة متنوعة، ومتعددة الأغراض يمارسها الغربيون لغرض فهم حضارة الشرق ودياناته، سواء كانت هذه الأغراض دينية، أم عسكرية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم علمية[٤].

والاستشراق بوصفه علماً غربياً، يضع الشرق تحت الحكم، أو وراء القضبان للحكم عليه، أو تحليله على وفق نظرته الخاصة[٥].

ويعد بعضهم الاستشراق محاولة مفكري العالم الغربي وكُتابه لفهم الفكر الإسلامي، والوقوف على حضارته، وثقافة شعوبه من خلال الولوج فيه[٦]. ويعرف الاستشراق بأنه البحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم.

إذن، هو تيار فكري يدرس الشرق الإسلامي، أي يدرس حضارته، ودياناته، وآدابه، ولغاته، وثقافته، ويهتم الاستشراق أيضاً بشعوب الهند، وجنوب شرق آسيا، والصين، واليابان، وكوريا، وقد ساعد هذا التيار الفكري في رسم التصورات الغربية عن الشرق عامة، والعالم الإسلامي بصورة خاصة[٧]، وهو تيار فكري يمثل الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، وتشمل هذه الدراسات الحضارة بكل جوانبها، وأديان الشرق،

١-رضا: الشيخ أحمد، معجم متن اللغة، (دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م)، مج٣/ ٣١٠.
٢-النبهان: الدكتور محمد فاروق، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، (منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط- المملكة المغربية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص١١.
٣-فوزي: فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، (ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية- عمان، ١٩٩٨م)، ٢٩-٣٠.
٤-الحاج: ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، (ط١، دار الكتب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ٢٠٠٢م)، ١/ ٢٠-٢١.
٥-بلقزيز: عبد الإله، نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الاوربية، (ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، ٢٠١٧م)، ص١٠٠.
٦-الجليند: محمد السيد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٩٩٩م)، ص١٠.
٧-الوائلي: عامر عبد زيد، تأصيل المفهوم (الاستشراق) (بحث منشور ضمن موسوعة الاستشراق لمجموعة من الاكاديميين، ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥م)، ص١٣.

وآدابه، ولغة هذه المنطقة[١]، ويقصد به أيضا ذلك العلم الذي تناول فيه علماء الغرب دراسة المجتمعات الشرقية وتحليلها وتمييزها على أساس معرفي، وعرقي، وايدلوجي، بينها وبين الغرب[٢].

نستنتج من هذه التعريفات أن الاستشراق هو علم يدرس الشرق من حيث التراث، والحضارة، والمجتمع، ونرى بعض الباحثين يعمم مصطلح الاستشراق على الشرق بشكل عام، وبضمنها الشرق الأوسط، أو الأدنى، وبعضهم الآخر يخصص دراسة الاستشراق بمنطقة الشرق الأوسط فقط، ونعني هنا كل ما له علاقة بالمنطقة العربية، والإسلامية، أو ما جاورها، ومن تأثر بها.

أما مصطلح المستشرقين فكان أول ظهور لكلمة مستشرق في اللغة الإنجليزية سنة ١٧٧٩م، كما دخلت في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨م[٣].

والمستشرقون هم: جماعة سواء أكانوا كتُاباً، أو مؤرخين تخصصوا في دراسة تراث الشرق الإسلامي، وتاريخه، وديانته، فتعلموا اللغات الأصلية لهذا الجزء من العالم، ولغات أخرى[٤].

ومفهوم المستشرق يختلف بين الرؤية الغربية والشرقية، فالرؤية الغربية تعبّر عن المستشرق بأنه ذو اهتمامات علمية ترتبط بتاريخ الشرق وحضارته وآدابه، وتتجلى هذه الاهتمامات في أعمال التحقيق والنشر للكتب التي كتبت في السيرة، والتاريخ، وعلوم القرآن، والفلسفة، والقضايا الإسلامية الأخرى، أما الرؤية الشرقية فتنزع عنه

١-زناتي: أنور محمود، قاموس المصطلحات التاريخية (إنكليزي-عربي)، (ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٧م)، ص٢٣٨.

٢-زناتي: قاموس المصطلحات التاريخية، ص٢٣٨.

٣-رضوان: عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (دراسة ونقد)، (ط١، دار طيبة، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ١/ ٢٣.

٤-ناجي: عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ (الإشكاليات، الدوافع، التوجهات والاهتمامات)، (ط١، المركز الاكاديمي للأبحاث، بيروت- لبنان، ٢٠١٣م)، ص١٤٩؛ الشمري: ماهر جواد كاظم، النبي محمد ﷺ، في مؤلفات مونتجمري وات عن السيرة النبوية دراسة تحليلية مقارنة، (العتبة العباسية المقدسة- المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م)، ص٢٥.

ثوب العلم، والمعرفة الخالصة، وتلبسه ثوب الانخراط في قضايا ذات أبعاد سياسية استعمارية[١].

والمستشرقون هم علماء، ومؤرخون غربيون من غير الشرقيين، اهتموا بدراسة الشرق من جميع الجوانب لأهداف مختلفة، ودوافع شتى[٢]. والمستشرق عالم متخصص بمجموعة من المعارف المتعلقة بالشرق، ولغاته، وآدابه، يحاول دراسة الشرق وإتقان لغاته، وتفهمه، للوصول إلى نتائج معينة[٣].

وليس من الضروري أن يرحل المستشرق إلى الشرق ليعيش فيه، أو يتطبع بطباعه، بل يقوم بدراساته في الجامعات الغربية، وإن كان رحيله إلى الشرق يجعل دراساته أقرب إلى الواقعية، والحقيقة، والإلمام به، وباللغة وإجادتها.

١-بن كتفي: زهير، الرؤية الاستشراقية للفلسفة الإسلامية عند هنري كوربان، (ط١، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية- دمشق، ٢٠١٣م)، ص٢٧.
٢-محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص١١.
٣-زناتي: قاموس المصطلحات التاريخية، ص٢٣٩.

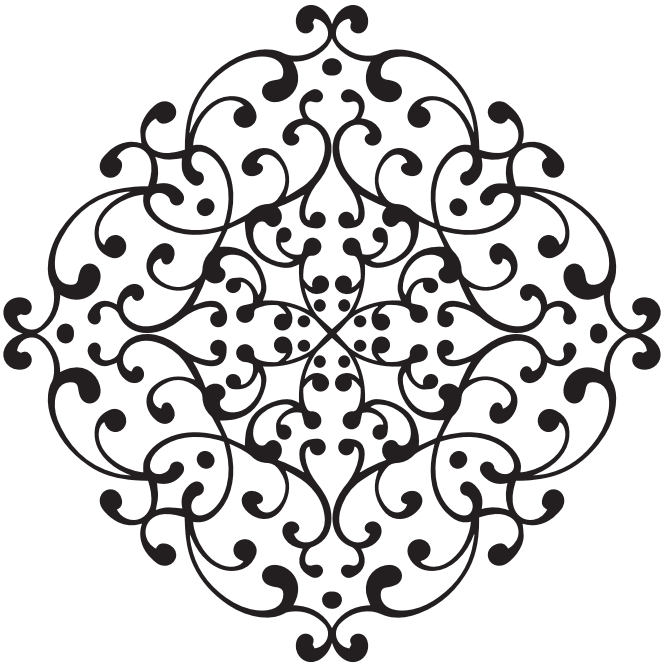

المبحث
الثاني

نشأة الاستشراق ودوافعه

* نشأة الاستشراق

من الصعب معرفة نشأة الاستشراق، فمنهم من يعود به إلى قرون ما قبل الميلاد من خلال كتابات هيرودوتس[١]، وزيارته للشرق، وحملات الاسكندر المقدوني[٢] للشرق، وما تلاها[٣].

وعند النظر في بدايات ظهور الإسلام، نجد هذه البوادر في الدور الذي مارسه اليهود والنصارى في محاربة الإسلام من خلال الطعن بأحكامه، وتشريعاته، واتهام رسول الله محمد ﷺ بالجنون، والسحر، وتحريف آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾[٤][٥]، وهناك رأي يعود ببدايات الاستشراق إلى فترة معارك تحرير بلاد الشام، باعتباره أول صدام مسلح حصل مع الروم، فاستشعروا الخطر القادم الذي يهدد إمبراطوريتهم، لذا اهتموا بدراسة الإسلام، ونبيه ﷺ، وعقيدة هذا الدين، ليتسنى لهم محاربته من الداخل[٦]، ومنهم من يعدّ كتابات العالم المسيحي يوحنا الدمشقي (٦٧٦-٧٤٩م)[٧] من ممهدات الاستشراق،

١-هيرودوتس (٤٨٠-٤٢٥ ق م): مؤرخ يوناني كبير، لقب بشيخ المؤرخين وبأبي التاريخ، زار الشرق وتتبع أخباره بالمشاهدة والاستماع، ووصفه في كتاب تاريخي، وهو أول من ألف كتابا بأسلوب منمق، ومبوب، وهو أول من أطلق لفظة (Arabae) على بلاد العرب. ينظر علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٢، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ١/ ٢١-٥٦.

٢-الاسكندر المقدوني أو الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق. م): أشهر الغزاة في العصور القديمة، خلف أباه الملك فيليب على العرش، تثقف على يد الفيلسوف ارسطو، استطاع الاسكندر أن يقارب بين الحضارة الاغريقية، وحضارة الشرق الأوسط، أسس مدناً عديدة منها الإسكندرية، توفي في بابل إثر الحمى. ينظر اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ - ٩٠٥م)، تاريخ اليعقوبي، (دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت)، ١/ ١٤٣ ؛ منصور: أنيس، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، (المكتب المصري الحديث، د. ت)، ص١٣٥-١٤٠.

٣-الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ١/ ٣٦.

٤-سورة المدثر: آية ٢٤-٢٥.

٥-الصغير: فالح بن محمد بن فالح، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د. ت)، ص١٠.

٦-كرد علي: محمد، أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، (مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، ج١٠، مج٧)، ص٤٣٣؛ الشمري: النبي محمد ﷺ في مؤلفات مونتجمري وات، ص٣٢.

٧-يوحنا الدمشقي: يوحنا بن سرجون بن منصور الرومي نصراني الديانة، كان والده كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان، ويزيد، ومروان بن الحكم، نشأ في البلاط الأموي ودرس في دير القديس سابا في فلسطين، وشغل مناصب رفيعة في دولة بني أمية، تميز بالثقافة اليونانية واللاهوتية، ينظر الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ- ٩٤٣م)، الوزراء والكُتاب،

فعلى الرغم من أن الرجل كان شرقياً، وعاش في ظل الدولة الأموية؛ إلا أن له كتابات في هذا الجانب منها (محاورة مسلم)، و(إرشادات النصارى في جدل المسلمين)[١].

وهناك أدلة أكدت أن الاستشراق قد نشأ حقاً في منتصف القرن الثامن الميلادي في الأندلس، فقد وُجد نص مبكر من القرن التاسع الميلادي يتحدث فيه الفارو المسيحي القرطبي[٢]، عما حدث مع أهله فيقول: «إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب، وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين، والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها، وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً، جميلاً صحيحاً»[٣].

وظهرت كذلك محاولات استشراقية غير منظمة في القرن العاشر الميلادي في بلاد الأندلس، فبعد انهزام جيوش الغرب العسكرية، وتأخرها ثقافياً، وحضارياً، تم التوجه للتعرف الى هذه القوة التي قهرتهم، وسيطرت على أرضهم، فدرسوا العلوم الإسلامية، وترجموا كثيراً من الكتب، وعلى رأس ذلك القرآن الكريم للتعرف الى هذا الدين العظيم، كما أتوا بمدرسين يعلمونهم في مدنهم[٤].

ويرى بعضهم أن الاستشراق يعود إلى فترة الراهب الفرنسي جربر دوي أوريك[٥]، الذي درس في البلاد الأندلسية، وأجاد اللغة العربية، والعلوم العربية الأخرى، وعرف

(قدم له الدكتور حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م)، ص٢٢-٢٧ ؛ حتي: فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، (ترجمة: الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافق، إشراف الدكتور جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، د. ت)، ٢/ ١١٦.

١-زقزوق: الدكتور محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م)، ص١٩.

٢-البرو أو الفارو القرطبي: قس وكاتب مسيحي اسباني، عاش في الأندلس في القرن التاسع الميلادي، كان اسقف مدينة قرطبة، وله كتابات يتحسر فيها على توجه الشباب المسيحي على تعلم لغة المسلمين وعلومهم، وتركهم لغتهم، وعلومهم. ينظر بالنثيا: جنثاليث، تاريخ الفكر الأندلسي، (ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت)، ص٤٨٥.

٣-سمايلوفتش: أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ص٦٧.

٤-النعيم: عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات-بروكلمان-فلهاوزن)، (ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)، ص١٧.

٥-جربر دوي أوريك: بابا فرنسي درس اللغة العربية وعلوم العرب في اسبانيا الإسلامية، وأصبح أوسع علماء عصره ثقافةً، اختير حبرا أعظم ولقب بسلفستر الثاني في عام ٩٩٩م، توفي عام ١٠٠٣م. ينظر بدوي: عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (ط٣، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م)، ص١٧٨؛ العقيقي: نجيب، المستشرقون، (ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م)، ١/ ١٢٠.

فيما بعد باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ - ١٠٠٣م)[١]، في حين يُرجع آخرون الاستشراق إلى أيام الصليبين[٢].

ولكن من المتفق عليه أن الاستشراق بدأ بقرار مجمع فيين الكنسي ١٣١٢م[٣] الذي حث على الاتصال ثقافياً بالحضارة الإسلامية، وضرورة تعلم اللغة العربية، فأوصى هذا المجمع أن تُدَرّس اللغة العربية في كبرى المراكز العلمية الأوروبية: باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وأفينيون، وسلامنكا، وتعد هذه الخطوة بداية المحاولات الأوروبية الرسمية للاهتمام باللغة العربية، وتعتبر نقطة تحول الأوروبيين في مقاومة المسلمين ثقافياً، عن طريق دعوة الناس إلى النصرانية بالعربية مباشرة[٤].

وهناك من أرجعه إلى القرن السادس عشر الميلادي[٥]، ويعزو بعضهم بدايته إلى عهد الإصلاح الديني، فبدأ على يد المنصّرين والرهبان، ثم اتصل بالاستعمار[٦]، ومنهم يرى أن الاستشراق بدأ في القرن السابع عشر، إذ ظهر فيه أول نقل للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وطباعته، وكذلك طبع أول كتاب في (قواعد اللغة العربية) سنة ١٦١٣م[٧]، وبعضهم عَدّ حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م بداية الاستشراق، فعلى الرغم من أن الحملة كانت عسكرية، إلا أن نابليون حمل معه عدداً من العلماء، والباحثين، وكذلك مطبعة للكتب[٨].

١-الجليند: الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، ص١٣ ؛ دادا خواه: حسن وآخرون، دور المستشرقين في اللغة العربية وآدابها، (بحث منشور في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اصفهان، ربيع وصيف ١٤٣١هـ. ق/ ١٣٨٩ هـ. ش ـ العدد ٢)، ص٣٧.

٢-عمايرة: إسماعيل أحمد، الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، (ط٢، دار حنين العبدلي، عمان- الأردن، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ص٣٦.

٣-مجمع فيين: مجمع عقد عام ١٣١٢م في مدينة فيين الفرنسية وصدر عنه عدة قرارات منها تدريس اللغة العربية في عدد من الجامعات الاوربية. ينظر عبد العزيز: عيدة جمعة سعود، مجمع فيينا الكنسي (١٣١١-١٣١٢م) وآثاره السلبية، (أطروحة دكتوراه، جامعة دمنهور المصرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤٣٢ه-٢٠١١م)، ص٨١.

٤-عمايرة: الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ص٣٦.

٥-رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (دراسة ونقد)، ص٢٣-٢٤.

٦-الجبري: عبدالمتعال محمد، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، (ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ص١٣.

٧-حمدان: الأستاذ نذير، الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، (مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، د. ت)، ص١٠-١١.

٨-الزيادي: الدكتور محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله، (ط١، توزيع دار قتيبة، ١٤٢٦ من ميلاد الرسول-١٩٩٨ افرنجي)، ص٢٥.

وهناك من ربط بداية الاستشراق بنهاية القرن الثامن عشر، وتحديداً عام (١٧٩٠م)، عندما قامت الحكومة الثورية في باريس بإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية، التي كانت تركز على عنصر الفائدة العملية، فضلاً عن ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الأدب، والعلم[١].

ومما تقدم من الآراء حول بدايات الاستشراق يتبين أن الاستشراق ليس وليد الحاضر، أو انه ولد في مدة معينة وانتهى، بل هو عمل إنتاجي مرّ بمراحل متعددة تضافرت فيه جهود مكثفة، حتى تطور ووصل إلى ذروته في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، اللذين يعدان حقبة الازدهار الحقيقية للحركة الاستشراقية.

*** دوافع الاستشراق**

لدراسة الاستشراق وفهمه لا بد من فهم دوافعه، وأسباب ظهوره، وتشكله وتجذره في أعماق الشرق العربي الإسلامي، وقد تنوعت هذه الدوافع بحسب رغبات الدول الغربية وتوجه المستشرقين وميولهم، فمنها الاستعمارية والاقتصادية، ومنها الدينية والعلمية والنفسية.

الدافع الديني:

برز الجانب الديني بشكل واضح وجلي في الحركة الاستشراقية؛ بسبب ما خلفته الحروب الصليبية من آثار عميقة وكبيرة، فضلاً عن ذلك الإصلاح الديني المسيحي الذي ظهر في هذه المدة، وما جاء به من أحكام وشرائع مهدت إلى إعادة شرح كتبهم الدينية تماشياً مع هذا الإصلاح، فاتجهوا إلى دراسة العبرانية، ثم العربية الإسلامية؛ لأن الأخيرة لازمة لفهم الأولى، ولاسيما ما يتعلق بالجانب اللغوي، فتوسعت هذه الدراسات وشملت أدياناً، ولغات، وثقافات أخرى[٢].

١-زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٤٠.
٢-البهي: الأستاذ الدكتور محمد، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، (مطبعة الأزهر، د.ت)، ص١١.

ونظراً لهذا التطور الحاصل أمر الفاتيكان في القرن السادس عشر الميلادي بإدخال اللغة العربية، واللغات الشرقية في مدارس الأديرة[١]؛ لأن الحروب الصليبية مع أنها حققت انتصاراتها العسكرية، إلا أنها لم تتمكن من احتلال الأرض بأكملها، ومن ثم اتجهوا إلى عملية التبشير السلمي بالديانة المسيحية، فتطلب ذلك معرفة لغات الشعوب المراد التبشير فيها، وفهم أديانها، وعقائدها، وتكوين ركائز قوية للدعوة إلى المسيحية[٢]؛ ولأن أغلب المستشرقين في تلك المدة كانوا رهباناً، أو قساوسة[٣]، لذلك استخدموا الطعن في الإسلام وتشويهه، وتحريف حقائقه، ليثبتوا للعنصر الغربي أن الإسلام الخصم الأكبر للمسيحيين، فأنكروا المقومات الروحية للأمة الإسلامية، وادعوا أن الدين الإسلامي ليس ديناً سماويا، وإنما هو محض افتراء على الله، وهو من صنع محمد ﷺ، فهو دين بشري، وان رسول الله ﷺ جمع بين اليهودية والمسيحية لتكوين دينه الجديد، وان المسلمين قوم همج، ولصوص، وسافكو دماء، ويحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي[٤].

من هذا وغيره زرعوا أفكارهم في عقل الفرد الغربي؛ لإبعاده عن تقبل الدين الإسلامي من جانب وإيهامه بأنه دين وضعي وأن نبيه والمسلمين أناس همج كل همهم سفك الدم، والملذات.

الدافع النفسي:

انتشر الإسلام بشكل سريع ووصل لمناطق شاسعة وبعيدة، وانتشرت العلوم العربية والإسلامية، فأنشئت المدارس الزاخرة بالعلماء والطلبة، وخرجت علماء مبدعين، وفلاسفة ومفكرين، فاستيقظ الفكر الغربي من سباته، وعكف على دراسة

١-الشمري: النبي محمد ﷺ في مؤلفات مونتجمري وات، ص٣٤.
٢-الكعبي: شهيد كريم محمد، صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس أنموذجا، (ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م)، ص٨٥.
٣-الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٣٥.
٤-ماضوي: هالة، مفهوم الاستشراق في فكر ادوارد سعيد، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦م)، ص١٦.

تراث الشرقيين، وحضارتهم، وآدابهم، وفلسفتهم، وهذا العكوف على دراسة التراث الإسلامي، والكشف عن مقومات الحضارة الإسلامية سمي بحركة الاستشراق، التي عبرت عن حيرة الجانب الغربي تجاه العالم العربي والإسلامي، وإحساسه الداخلي بالرغبة في مقاومة التوسع الإسلامي، الذي عبر إليهم وسيطر عليهم[1].

وعلى الرغم من ذلك ظل الشرق مجهولاً للعقل الغربي مدة طويلة، وأخذ يسعى إلى كشف علوم الشرق وآدابه ومعرفتها، وبدأت تنتشر في الأوساط الغربية معلومات صادقة وكاذبة إشباعاً للظمأ الفكري لدى النفس الغربية[2]، فضلاً عن ذلك الأفكار التي زرعتها الكنيسة في العقل الغربي لعقود طويلة، وكان دورها توجيه العقل الغربي على وفق رؤية معينة[3].

الدافع الاستعماري:

إذا أنعمنا النظر في كتب التاريخ نجد أن العلاقة التاريخية بين الشرق والغرب قائمة على العداء في أغلب الحقب التاريخية القديمة، وكان الغرب وما يزال أكثر عداءً طيلة هذه المدة، رغبةً منه في السيطرة على هذه المنطقة؛ نظراً لما تتمتع به من موقع استراتيجي مهم يخدم المصالح السياسية والاقتصادية، لذلك نجد أن الطابع الاستعماري متجذر فيها.

نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار بقيام بعض المستشرقين بالتجسس، وكانت هناك علاقة وثيقة بين رجال السياسية والمستشرقين، إذ كان رجال السياسة يرجعون إليهم في معرفة بعض الشؤون السياسية الخاصة بالأمم، وكان المستشرقون يؤسسون علاقات صداقة وطيدة مع بعض الشخصيات العربية والإسلامية البارزة، ويتخذون من هذه الصلات ستاراً يغطي أعمالهم التجسسية في أثناء الحرب، وكذلك عمل بعض المستشرقين مستشارين لوزارات خارجية دولهم وقنصلياتها، فالحكومات

١-مراد: يحيى، ردود على شبهات المستشرقين، (حقوق النشر الورقي لمؤلف الكتاب، حقوق النشر الالكتروني لموقع كتب عربية)، ص٤٤-٤٥؛ سمايلوفيش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص٤١-٤٢.
٢-الشمري: النبي محمد ﷺ في مؤلفات مونتجمري وات، ص٣٥.
٣-النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات-بروكلمان-فلهاوزن)، ص٢٠.

الغربية استغلت الاستشراق لفرض سيطرتها على الشرق[١].

فضلاً عن ذلك عمل حكام الغرب على إنشاء فروع معرفية أكاديمية تخدم المصلحة الاستعمارية، فأنكروا العلوم التي أنتجها المسلمون والصينيون والهنود، ولم يعدّوها علوماً، وإن العلم الحقيقي قد جرى إبداعه في الغرب[٢]، واستطاع الاستشراق أن يمد الأجهزة الحكومية التنفيذية بمخططات جغرافية، واجتماعية، وسكانية، وثقافية، ويبين لهم بكل دقة مكونات كل منطقة في العالم، وخصائصها، ومواطن القوة والضعف فيها، فالربط بين الاستشراق والأهداف الاستعمارية أفقد المؤسسة الاستشراقية خصوصياتها الثقافية والأخلاقية[٣].

كما أن مصطلح الغزو الفكري، أو الاستعمار الثقافي هو تعبير عن نشاطات المستشرقين الأوربيين الذين كان هدفهم الاستعمار والسيطرة على المنطقة [٤].

الدافع الاقتصادي:

وهو من الدوافع الرئيسة في العلاقات بين الشرق والغرب؛ إذ كان الشرق ذا أهمية كبيرة بالنسبة للاقتصاد الأوروبي، وبسبب هذه الأهمية حاول الغرب السيطرة على العالم العربي والإسلامي منذ زمن بعيد، فاهتم الغرب بدراسة علوم العالم العربي الإسلامي، وثقافته، وفلسفته، وتعلم لغته للوصول إلى مكامن قوة الشرق، والسيطرة على هذا الموقع الاقتصادي[٥].

فعندما بدأت أوربا ثورتها الصناعية، احتاجت إلى المواد الخام لتشغيل مصانعها، ومناطق استهلاكية لتصريف منتوجها، فكان الشرق هو الهدف؛ فعملت استكشافاتهم

١-النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات-بروكلمان-فلهاوزن)، ص٢٢؛ الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٢٩.
٢-ساردار: ضياء الدين، الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، (ترجمة فخري صالح، مراجعة د. أحمد خريس، ط١، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص٢٧.
٣-النبهان: الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، ص١٥.
٤-فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص٣٦.
٥-مراد: ردود على شبهات المستشرقين، ص٤٨-٤٩.

على معرفة حاجة السوق العربية، والإسلامية، فأغرقوا أسواقها بمنتوجاتهم، مما أدى إلى اعتماد المنطقة العربية على المستورد الغربي دون استغلال الموارد والتصنيع المحلي[١].

وما تزال هذه السيطرة الغربية، إذ نلاحظ أن أغلب الشركات الغربية هي صاحبة الأولوية في جميع القطاعات الاقتصادية، واستمرار ضعف الاقتصاد المحلي.

الدافع العلمي:

كان بعض المستشرقين ذوي دوافع علمية متجردين من الاتجاه الديني، أو الاستعماري، وتوجههم فكري بحت لا غير، لدراسة تاريخ الشرق من أجل العلم فقط، ونجد منهم من شَهِد بدور الحضارة العربية في تطور الحضارة الأوربية، وبعضهم اكتشف الحقيقة وآمن بها، وأعلنها[٢].

إن العديد من الكتب التي ألفها المستشرقون البارزون في مختلف العلوم شكلت عطاءً إيجابياً، وتميزت كتاباتهم بالبحث عن قوة الدين الإسلامي، والمسلمين، للإفادة من هذه التجربة، فدرسوا علوم الشرق الإسلامي، ونهلوا من حضارته، وتعلموا اللغة العربية، وأفادوا من العلماء المسلمين، ورحلوا في طلب العلم، ونقلوا إلى الغرب ما أخذوه عن المسلمين من العلوم[٣]، وهؤلاء كانوا أقل خطراً على الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس، والتحريف، على الرغم من وجود الأخطاء في دراساتهم عن الشرق[٤].

١-الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٤٥.
٢-الجليند: الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، ص٢٤.
٣-ال حميد: سعد، أهداف الاستشراق ووسائله، (جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، د.ت)، ص٦.
٤-ال حميد: أهداف الاستشراق ووسائله، ص٦.

المبحث الثالث

الاستشراق الإيطالي وأبرز مستشرقيه ومدارسه

*** الاستشراق الإيطالي**

إيطاليا هي إحدى دول القارة الاوربية، وعاصمتها مدينة روما، تقع في الجهة الجنوبيّة من أوروبا، وتطل على البحر الأبيض المتوسط في الحدود الجنوبية، وتشترك حدودها مع فرنسا، والنمسا، وسويسرا، وسلوفينيا في الحدود الشماليّة من جبال الألب، وكانت إيطاليا مهداً للثقافات، والشعوب مثل الرومان وغيرهم، وكانت عاصمتها روما مركز الحضارة الغربيّة لمئات السنين؛ لكونها عاصمةً للإمبراطوريّة الرومانية[١]، وكانت لإيطاليا خصوصية بالعالم العربي، وبالأدب، والثقافة العربية، ليس بسبب سيطرة إيطاليا على أجزاء من المنطقة العربية في القرنين التاسع عشر، والعشرين الميلاديين، وإنما لعلاقة تاريخية تمتد لعدة قرون سواء قبل ظهور الإسلام، أم بعده، فضلاً عن سيطرة العرب المسلمين على صقلية[٢] مدة طويلة من الزمن[٣]، ازدهرت بسببها الثقافة العربية فيها، حتى بعد مغادرتهم لها، فوجدت فيها خمسة شعوب لكل منها دينه، ومذهبه، ولغته[٤]، وأقاموا فيها حضارة علمية عريقة، وكانوا فيها أساتذة الإفرنج[٥]، وكان لهذه السيطرة دور في انتشار التراث الفكري العربي والإسلامي ونقله إلى بلدان أوروبا، وظلت صقلية ميدان التواصل بين العرب المسلمين والعالم الغربي، وثمرة هذا التواصل قيام حركة نهضوية مبكرة في أوروبا[٦].

١-مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الميسرة، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ)، ص٥٥٩-٥٦٣.

٢-صقلية: إحدى جزر البحر الأبيض المتوسط مقابلة لأفريقيا، فتحت في زمن بني الأغلب على يد القاضي أسد بن الفرات عام (٢١٢هـ)، زمن المأمون العباسي، وصار أكثر أهلها مسلمين وبنوا فيها الجوامع والمساجد. ينظر ابن حوقل: أبو القاسم الصيبي (٣٦٧هـ-٩٧٧م)، صورة الأرض، (ط٢، قس١، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٢٨م)، ص١١٨-١٣٠؛ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ-١٢٢٩م)، معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، ٣/ ٤١٦-٤١٧؛ وات: مونتمجري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، (ترجمة حسين أحمد أمين، ط١، مطبعة مدبولي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص١١.

3-:Davide, Gli Arabi In Italia, (Torino, Dalla Tipografia Baglion L Comp, 1838), p22-23.

٤-العقيقي: المستشرقون، ج١، ص١٠٧.

٥-سري: طارق، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، (ط١، مكتبة النافذة، الجيزة، ٢٠٠٦م)، ص٢٠ ؛ الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٨١.

٦-أحمد: محمد، إسهامات العرب في النهضة الاوروبية الحديثة رؤية جديدة، (مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد ١١٥-١١٦، أيلول- كانون الأول، ٢٠١١م)، ص٢٩٠.

وتعدّ إيطاليا من أوائل المهتمين بالاستشراق؛ لأنها مركز للديانة المسيحية، وحاضنة لها إلى جانب إسبانيا، فضلاً عن وجود صلات وثيقة بين إيطاليا والعرب، تعود بالقدم إلى ما قبل ظهور الإسلام؛ لذلك نالت الثقافة العربية -وبفضل الفاتيكان- حظوة كبيرة، فعنيت جامعة بولونيا بعلوم العرب، وجامعة نابولي بالثقافة العربية، وجامعة سيينا بالأدب، وجامعة روما بدراسة الآثار، واللغة، والآداب العربية[١].

ونظراً لميول الاستشراق الإيطالي إلى الجانب الديني نلاحظ اهتمام دراساته، وأبحاثه بالإسلام والمسلمين، فضلاً عن ذلك الاهتمام باللغة العربية، وتأليف الكتب فيها، وفي بعض لهجاتها، فقد تمكن بعض الدارسين الإيطاليين من الرحيل إلى المشرق، والعيش فيه، والتدريس في جامعاته، وتتلمذ عدد من قادة الفكر العربي على أيديهم[٢].

بدأ الاستشراق الإيطالي في جنوب إيطاليا على يد الراهب الملقب بقسطنطين الإفريقي[٣] عام ١٠٨٧م، الذي يعد أول رائد لحركة الترجمة في جنوب إيطاليا، وقد زار سوريا، والعراق، والهند، وجمع كثيراً من الكتب، وانكب على ترجمتها من العربية إلى اللاتينية، وترجم كذلك قسماً كبيراً من كتب الطب عند العرب، كما ترجم عن العربية كُتباً يونانية الأصل[٤].

١-العمارتي: د. محمد، صورة الرسول محمد ﷺ في عيون الاستشراق الإيطالي (دراسة في النشأة والتطور والامتداد) (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد١١، ٢٠١٧م)، ص١٢-١٣.
٢-الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٨٢.
٣-قسطنطين الافريقي: من أصل تونسي، اعتنق النصرانية وترهب في دير موني كاسينو وأخذ يترجم كتب الطب والفلك إلى العربية، انتحل بعض ما ترجم مثل كتاب المقالات العشر في العين لحنين بن اسحاق، فجعل عنوانه كتاب قسطنطين الأفريقي في طب العيون. ينظر العقيقي: المستشرقون، ج١، ص١٢١؛ مراد: معجم أسماء المستشرقين، كتب عربية، ص٨٣٤.
٤-أحمد: إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة رؤية جديدة، ص٢٩٠.

وممن عُني بدراسة اللغة العربية أيضاً جيرار دي كريمونا (١١١٤- ١١٨٧م)[١]، الذي قضى معظم حياته في مدينة طليطلة، عكف فيها على دراسة المصنفات العربية، وترجمتها، وبفضله انتشر الوعي الاستشراقي في أوربا، وكان لمثابرته في ترجمة كتب الطب، والأدوية العربية الدور الكبير في نشر العلوم العربية في أوربا[٢]، ومن الإيطاليين الذين قدموا للاستشراق الإيطالي خدمات جليلة أيضا ودفعوا به إلى الأمام، توما الأكويني (١٢٢٥ – ١٢٧٤م)[٣] الفيلسوف المسيحي الأكبر، وأشهر المهتمين بالدراسات الفلسفية، وكان باحثا في الفلسفة العربية بشكل خاص، وعلاقتها بالفلسفة اليونانية، وأسهم في نشر فلسفة ابن رشد[٤]، وغيرها من الأعمال[٥].

كذلك طبع القرآن الكريم باللغة العربية لأول مرة في أوربا، وفي مدينة البندقية الإيطالية بالذات سنة (١٥٣٧ أو ١٥٣٨م)، قبل أن يطبع في أي بلد إسلامي بمدة طويلة، وفي وقت مبكر جداً من اختراع فن الطباعة[٦]، وطبع كثير من المؤلفات العربية مثل كتابي (القانون)، و(النجاة) لابن سينا عام (١٥٩٣م)، وكتاب (نزهة المشتاق) للإدريسي[٧].

١-جيرارد دي كريمُونا (١١١٤- ١١٨٧م): من علماء إيطاليا مولده ووفاته في كريمونا من مدن إيطاليا الشمالية، أقام زمناً في طليطلة (بالأندلس) فترجم عن العربية إلى اللاتينية أكثر من سبعين كتاباً من كتب الهيئة، وأحكام النجوم، والهندسة، والطب، والطبيعة، والكيمياء، والفلسفة، طبع بعضها. ينظر الزركلي: خير الدين، الأعلام، (ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، د.ت)، ٢/ ١٤٩.

٢-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٤٩-٥٠.

٣-توما الأكويني (١٢٢٥– ١٢٧٤م): قسيس وقديس كاثوليكي إيطالي من الرهبانية الدومينيكانية، وفيلسوف ولاهوتي، له مؤلفات فلسفية منها تفاسير لما بعد الطبيعة، وحدة العقل، أزلية العالم. ينظر العقيقي: المستشرقون، ١/ ١٣٠؛ مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٣٥٩.

٤-ابن رشد: القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، مولده ومنشؤه بقرطبة، كان متميزاً في علم الطب، نشأ في دولة الموحدين في الأندلس، له مصنفات عديدة. ينظر ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس (ت٦٦٨هـ-١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت)، ص٥٣٠.

٥-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٥٠.

٦-العمارتي: صورة الرسول محمد ﷺ في عيون الاستشراق الإيطالي، ص١٥-١٦.

٧-القاضي: فرانشيسكو غابرييلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٧.

وتطورت الحركة الاستشراقية في إيطاليا بعد ذلك، ففي القرن التاسع عشر تم تأسيس المدارس، والجمعيات، والمجلات التي تعنى بالدراسات الشرقية، واللغة العربية، مثل المجلة الشرقية عام (١٨٧١م)، فضلاً عن ذلك (مجلة المشرق) التي تعنى عناية فائقة بالأبحاث الاستشراقية[١]. فإيطاليا عنيت بالحياة العامة في البلدان العربية، وركزت دراساتها على الجوانب الاقتصادية، والتجارية، والصناعية في الوطن العربي، لذلك قامت بغزو ليبيا عام (١٩١٢م)[٢].

أما عن كتابات الإيطاليين الأوائل في السيرة النبوية، فنجد أسلوبهم يتفق مع أسلوب دول أوربا وتوجهها في كتاباتها عن رسول الله ﷺ، فلم يمتازوا بالنزاهة في تصوير حقيقة الدين الإسلامي، ونبيه ﷺ، إلا ما ندر، فترجماتهم للقرآن الكريم كانت تهدف إلى تشويه صورة هذا الكتاب، وصورة رسول الله ﷺ وسيرته، فصوروا للغرب أن القرآن الكريم من تأليف رسول الله ﷺ، فيقولون: (كتاب محمد)، و(قرآن محمد[٣]، وخير مثال على ذلك النفور الذي نجده من سيرة رسول الله في كتابات الأب ماراتشي[٤]، الذي أمضى أربعين سنة يدرس القرآن ليحارب به المسلمين، وألف كتاباً في نقض القرآن عام (١٦٩١م)، الذي برهن فيه -بحسب ادعائه- بطلان الإسلام وبطلان ادعاء نبيه ﷺ[٥].

ومما نقلوه أيضا: ان رسول الله ﷺ كوّن دينه من رجال، وعبيد سراق كانوا قاطعي الطرق التي يتردد عليها المسافرون فيسلبونهم، وينهبون بضائعهم، ويقتلون كل من يُبدي مقاومة، وزُرع الخوف من رسول الله ﷺ وأصحابه في تلك البلاد التي يقطنونها،

١-سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ص٦٨.
٢-الساموك: سعدون، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، (ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص١٢٣-١٢٤.
٣-العمارتي: صورة الرسول محمد ﷺ في عيون الاستشراق الإيطالي، ص٢٠.
٤-الأب ماراتشي: راهب إيطالي ولد في ضاحية لوكا وأصبح من علمائها، كذلك تعلم اللغة العربية وعلمها، وعني بدراسة الإسلام وكتب كثيرا عنه، من آثاره: دراسة عن الإسلام وترجمة القرآن الكريم. ينظر العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٦١.
٥-بفانمولر: جوستاف، سيرة الرسول في تصورات الغربيين، (ترجمة: محمود حمدي زقزوق، د.ت)، هامش ص٨١.

ووصفوه بأنه ساحر أراد هدم الكنيسة في الشرق، وأنه قد أباح الاتصالات الجنسية[١] (حاشا نبينا ذلك).

إن الأفكار المشوهة التي كتبوها عن الإسلام قد أثرت في الفرد الأوربي بصورة عامة، والفرد الإيطالي بصورة خاصة، فنجد الشاعر الإيطالي (دانتي)[٢] هو الآخر قد صور رسول الله ﷺ تصويراً سيئاً في مسرحيته الكوميديا الإلهية، إذ يصور دانتي أن ظهور محمد بدينه الجديد أدى إلى انقسام العالم، وأن عليا بن أبي طالب عليه السلام قد قُسم الإسلام في عهده إلى ثلاثة أجنحة متعادية كبرى، وجعلهم -حسب تصوره- في الدرك الأسفل من الجحيم[٣].

وتجاوز تأثير هذه الأباطيل حتى امتد إلى القرن السابع عشر للميلاد[٤]، وسبب هذه التخبطات، والتشويه الذي مارسوه؛ هو اختيارهم المصادر التي ضجت بالدس اليهودي، والروايات الضعيفة والموضوعة، فاقتنصوها لأنها تخدم أهدافهم العدائية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، فضلاً عن ذلك قاموا بتحليل الأحداث والوقائع على وفق أهوائهم بعيداً عن المقاييس المنطقية، والثوابت التاريخية، استجابة لمواقف الكنيسة آنذاك من الإسلام، وعدم الاعتراف به بوصفه دينا سماويا، ولم تعترف برسول الله ﷺ خاتماً للأنبياء[٥].

١-العمارتي: صورة الرسول محمد ﷺ في عيون الاستشراق الإيطالي، ص٢٣.
٢-دانتي (١٢٩٥-١٣٢١م): أعظم شعراء إيطاليا ومن رجالات الأدب العالمي، خلد اسمه بملحمته الشعرية (الكوميديا الإلهية)، وصف فيها طبقات الجحيم والمطهر والفردوس في سفرة وهمية قام بها بقيادة فرجيليوس وحبيبته بياتريس. ينظر مجموعة مؤلفين: المنجد في اللغة والأعلام، (ط٤٣، دار المشرق، بيروت، د. ت)، ص٢٣٨.
٣-اليجيري: دانتي، الكوميديا الإلهية، (ترجمة: حنا عبود، ط٢، ورد للنشر والتوزيع، سورية-دمشق، ٢٠١٧م)، ص٢٦٤-٢٦٥؛ جورافسكي: اليسكي، الإسلام والمسيحية، (ترجمة: د. خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر ١٩٩٦م)، ص٥٧-٥٨؛ ارمسترونج: كارين، محمد نبي لزماننا (ترجمة: فاتن الزلباني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص١١.
٤-الفيومي: محمد إبراهيم، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص٣٢؛ العتابي: ليث عبد الحسين، الاستشراق التاريخ والنشأة والاهتمامات، (بحث منشور في مجلة الهدى، العدد٦، كانون الثاني، ٢٠١٦م)، ص١٠٨.
٥-الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص١١٦-١٢٣.

وعلى الرغم من ذلك برز لنا في الاستشراق الإيطالي بعض المستشرقين الإيطاليين الذين امتازوا بدقة كتاباتهم نوعاً ما، باعتمادهم المصادر العربية الصحيحة، رغم الهفوات، والدس الذي وقعوا فيه، فمثلا الأمير كيتاني[1] الذي يعد من أبرز المستشرقين الإيطاليين، يعبر عن حبه وإعجابه برسول الله ﷺ وذلك بقوله: «ولا أخفي عليكم أن حبي الجارف للإسلام، وتاريخه المشرف نابع من شدة حبي وإعجابي برسول الإسلام الذي أوقف حياته ليهدي البشرية بتعاليمه التي كان تأثيرها في نفسي هو الدافع الحقيقي لكي أساهم في دعم هذه الدعوة الخالصة ... أليس ذلك الرجل العظيم جديراً بأن نقدم للعالم سيرته، وتاريخ فتوحاته، وانتشار ونشر رسالته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه، وعلى دعوته التي جاء بها لينشر على العالم الحب، والسلام وأكثر الناس لا يعلمون»[2]، كذلك المستشرق الكبير نيللو[3] الذي يقول: «ابنتي ماريا كانت تعجب لما أحمله من حب الإسلام ورسوله، لكن حبي للقرآن، والإسلام، ورسول الإسلام، جعل أقراني، يصفوني بأني نصف مسلم»، وقوله: «لم أجد بلاغة، ولا جزالة في اللفظ، والأسلوب، كما وجدت في القرآن»[4].

*** أبرز المستشرقين الإيطاليين وممن اهتم بسيرة رسول الله ﷺ:**

برز لنا مجموعة من المستشرقين الإيطاليين الذين كان لهم الدور البارز في دفع حركة الاستشراق إلى الأمام في أوربا، بمثابرتهم في ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية، وكذلك اهتمامهم بالفلسفة العربية، حيث قضوا جلّ حياتهم في البحث، والاستقصاء، والنشر،

١-كيتاني: ولد ليون كايتاني في روما في ١٢ سبتمبر ١٨٦٩م، وتعلم في جامعة روما، وحصل على الإجازة منها، كانت ثروته تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية صرفها على إجراء البحوث والدراسات العلمية والأدبية، من أهم أعماله (حوليات الإسلام). ينظر العقيقي: المستشرقون، ١/ ٤٢٩.

٢-الموسى: سعد بن موسى، الأمير كيتاني والسيرة النبوية، (بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٠، سنة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص١١.

٣-نيللو: من أكابر المستشرقين الإيطاليين تعلم اللغة العربية، وتميزت كتاباته بالاعتدال والإنصاف حتى اتهم بأنه مسلم، من مؤلفاته: العقيدة الإسلامية، حياة محمد الذي نشر بعد وفاته في روما. ينظر مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص١٠٤٨-١٠٤٩.

٤-حامد: أحمد، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، (دار الشعب، القاهرة، د.ت)، ص١١٦-١١٧

ومن هؤلاء المستشرقين الإيطاليين:

١.ريكولدو (١٢٤٣-١٣٢٠م)

راهب دومنيكي إيطالي، ومبشر شديد الخصومة ضد الإسلام، عمل مدرساً في مدينة فيرنتسه، بعدها أرسل إلى الشرق، فزار فلسطين، وأرمينية الصغرى، والعراق، يدعو الناس إلى الانضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية في روما، استمر عشر سنوات في هذه الرحلة، ودخل في مجادلات مع المسلمين، كان يجريها بالعربية، ثم عاد إلى روما في عام ١٣٠٠م، وله كتاب بعنوان: الجدال ضد المسلمين والقرآن، أو بعنوان ضد قرآن محمد كما في مخطوط المتحف البريطاني، أو الرد على القرآن، وقد ترجم كتابه هذا إلى اللغات الفرنسية والإسبانية[١].

٢.الباجو، ا (ت١٥٢٠م)

تعلم اللغة العربية وأتقنها في سفره إلى الشرق الأوسط، وبعد عودته إلى إيطاليا عمل في تدريس اللغة العربية، وفلسفة ابن سينا في جامعة بادوي، من أعماله ترجمة كتب ابن سينا إلى اللاتينية، ومقالة في النفس، وتقاسيم الحكمة والعلوم الذي طبع في البندقية عام (١٩٤٦م)[٢].

٣.الأب أوبتشيني (ت١٦٣٢م)

انضم إلى الرهبانية، وعين رئيساً على دير حلب عام (١٦١٣م)، والقدس (١٦٢٠م)، وأوفد قبل ذلك إلى ديار بكر (١٦١٦م)، ثم عين أستاذاً للغة العربية في معهد في روما (١٦٢٢م)[٣]، فقام بتدريس اللغة العربية، والسريانية، والقبطية سنوات طويلة، ومن أعماله: مدخل إلى المنطق، وتفسير للعقيدة المسيحية في ٢٢ باباً، وقاموس عربي – سرياني – لاتيني في ٢٣ بابا، وقد وقعت في الترجمة أخطاء كثيرة نقحت وطبعت

١-بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٣٠٦.
٢-العقيقي: المستشرقون، ج١/ ٤١٦-٤١٧ ؛ مراد: معجم أسماء المستشرقين ، ص١٩٣.
٣-بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٥٥.

في روما عام (١٦٣٦ – ١٦٤٠م)، وعاون على تحقيق الكتاب المقدس بالعربية، وطبع في روما (١٦٧٠م)، ووضع كتاب الترجمان في تعلم لغة السريان[١].

٤.أماري، ميشيل (١٨٠٩ – ١٨٨٩م)

ولد في بالرمو، وخصه أبوه بمدرسين يعلمونه، ثم أدخله الجامعة فحصل الجبر، والبلاغة اللاتينية، والإيطالية ثم درس الطبيعة، والحقوق، والاقتصاد السياسي، وفاز في امتحان وزارة الداخلية، والتحق بها وهو يتابع دروسه الجامعية، وفي سنة (١٨٢٠م) اندلعت الثورة، وحكم على أبيه بالموت (١٨٢٢م)، ثم أبدل الحكم بالأشغال الشاقة ثلاثين سنة، انتخب عضواً في مجمع العلوم والآداب (١٨٣٥م)، وكلف بتدريس التاريخ فأصدر تاريخه المشهور: حقبة من تاريخ صقلية في القرن الثالث عشر[٢]، ودرس اللغة العربية حتى أجادها، ترجم عنها إلى الفرنسية، والإيطالية، وصنف فيها، ونشر عنها شيئا كثيراً، وأعاد طبع تاريخ صقلية بعنوان: ليلة المذبحة في صقلية، عيُن أستاذاً في جامعة بالرمو، ومؤرخاً لصقلية (١٨٦٠م)، وعضواً في مجلس الشيوخ، ووزيراً للمعارف (١٨٦٢م)، وترأس مؤتمر المستشرقين في فلورنسا (١٨٨٧م)، وقد توفي فيها، من أعماله: حقبة من تاريخ صقلية في القرن الثالث عشر، والجزء الخاص ببالرمو من المسالك والممالك لابن حوقل، ودراسات عن الشرق، وله مقدمة وتعليق على تاريخ صقلية، ومباحث لمؤرخي العرب عن صقلية في عهد المسلمين، وصنف كتاباً في تاريخ مسلمي صقلية، مستعيناً بالمصادر العربية في ثلاثة أجزاء، اشتملت على تاريخ فتح المسلمين صقلية وإقامتهم فيها وجلائهم عنها (فلورنسا ١٨٥٤ – ١٨٧٢م) وهو خير مصنفاته، وصنف كتاباً في المكتبة العربية الصقلية[٣].

١-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص١٦٦.
٢-بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٥١ ؛ مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص١٥٧-١٥٩.
٣-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٤١٩-٤٢١ ؛ مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص١٥٩.

٥.جويدي الكبير أو اجنتسيو جويدي (١٨٤٤ – ١٩٣٥م)

المولود في روما عام (١٨٤٤م) من أسرة معروفة، ومشهورة برجالاتها من العلماء، وأرباب المهن، ورجال الدين، زار جويدي مصر، وفلسطين، ودمشق، وألقى دروسا في الأدب، وفقه اللغات العربية القديمة في الجامعة المصرية القديمة، وتميزت أبحاثه بأنها عنيت بالأدب العربي الإسلامي، والآداب المسيحية في المشرق، واللغة العبرية والكتاب المقدس[١]. توفي جويدي عام (١٩٣٥م)، وترك مجموعة من المؤلفات منها: قاموس اللغة الامهرية (لغة الحبشة)، وأدبيات الجغرافية، والتاريخ واللغة عند العرب، نشر نصوصا تتعلق بأهل الكهف، أو النائمين السبعة في كهف بافسوس[٢].

٦.الأمير ليوني كيتاني (١٨٦٩- ١٩٢٦م)

الأمير ليون كيتاني من أسرة من كبار الأمراء في روما، وكان لهذه الأسرة شأن كبير في تاريخ إيطاليا، ولد ليون كايتاني في روما عام (١٨٦٩م) وتعلم في جامعتها، وحصل على الإجازة منها في سنة (١٨٩١م)، برسالته عن مدير المراسم البابوية، ودرس الآداب[٣]، وأتقن اللغة العربية في مصر، وسوريا، ولبنان في أثناء سفره إلى هناك، والتقى بفقهاء اللغة، والدين، وكبار الشخصيات الأدبية، والعلمية، والإسلامية[٤]، كانت ثروته تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية علاوة على ثروة زوجته، وكان شغوفا بالعلوم، والآداب، وخصص من ثروته مبلغا هائلا من الليرات الذهبية كل عام يقدر بعشرة آلاف ليرة ذهبية؛ وذلك لصرفها على إجراء البحوث، والدراسات العلمية والأدبية، جمع مائتي مخطوط من نوادر المخطوطات، لتحقيقها، وإعدادها بالطريقة المناسبة، ليراها العالم، ويتعرف اليها، وقف حياته على البحث والدرس، لإبراز ما خفي عن الناس، فقد كانت المعرفة عنده تمثل أهمية كبيرة، أنشأ مؤسسة باسمه للعناية بالآداب والعلوم وإرسال

١-بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢١٢-٢١٣.
٢-بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٢١٤-٢١٥.
٣-الموسى: الأمير كيتاني والسيرة النبوية، ص٨.
٤-حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١١٣-١١٤.

البعثات للبحث، ولكتابة التاريخ الإسلامي في مناطق الفتح الإسلامي[١].

عمل نائباً في البرلمان في روما، فلما احتلت دولته ليبيا قال: «إن عمل إيطاليا باكتساح أرض قوم كانوا آمنين في ديارهم، هو عمل قرصان بحر، لا عمل دولة قامت في ربوعها النهضة الغربية الحديثة»، عمل سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة[٢]، توفي عام (١٩٢٦م)[٣].

ومن أهم أعماله: سيرة الرسول، وحوليات الإسلام من العام الأول الهجري نشر عام (١٩٢٢م)، وانتشار الإسلام، وتطور الحضارة، ودراسة التاريخ الشرقي[٤].

٧.كارلو نيللينو (١٨٧٢-١٩٣٨م)

تعلم اللغة العربية في الجامعة الإيطالية، وأرسل مبعوثا إلى مصر ستة أشهر، أتقن نطق اللغة العربية، وتعلم اللهجة المصرية، قامت الجامعات المصرية باستدعائه ليحاضر فيها في علم الفلك، والأدب العربي، وتاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكان عضواً بمجامع علمية ولغوية عديدة، منها المجمع العلمي العربي، وله دراسات في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام[٥].

من أهم أعماله: حياة محمد، الذي نشر بعد وفاته في روما، ومنتخبات من القرآن، وعلاقة العالم الإسلامي بأوروبا، والعقيدة الإسلامية، وغيرها كثير[٦]، يقول نيللينو: «انتصر محمد بالعقيدة الراسخة، والحقيقة الواضحة، فاجتمع حول دينه القاصي والداني، وبذل المقربون من محمد، كل جهودهم، ليصبحوا بالخلق الذي عليه الرسول، وكانوا نعم المقربين، والتلاميذ، الذين استطاعوا أن يضربوا أروع الأمثلة في الإسلام، ونشره»[٧].

١-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٤٢٩ ؛ حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١١٤.
٢-الموسى: الأمير كيتاني والسيرة النبوية، ص٩.
٣-حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١١٥.
٤-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٤٢٩-٤٣٠.
٥-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص١٠٤٨-١٠٤٨؛ حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١١٦.
٦-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٧٧و٣٧٨.
٧-حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١١٦و١١٧.

٨.ليفي دلا فيدا (المولود عام ١٨٨٩م)

أستاذ متخصص في اللغة العربية واللغات السامية المقارنة في جامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الإسلامي، ومن آثاره: دراسة حديثة عن الرسول ﷺ، وأصل الإسلام (١٩٢٣م)، وكتاب فحولة الشعراء المنسوب للأصمعي (مجلة الدراسات الشرقية)، وخلافة علي، وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري، وطبقات الشعراء لابن سلام، ومحمد بن حبيب وغيرها[١].

٩.ميكلانجلو جويدي (١٨٨٩ – ١٩٤٩م)

ولد في روما وتعلم اللغة العربية على كبار مستشرقيها، وعين أستاذاً للغة العربية وآدابها في جامعة روما (١٩٢٢م)، ثم قام بالتدريس في الجامعة المصرية (١٩٢٦–١٩٢٩م)، فكانت محاضراته باللغة العربية الفصحى، تخصص في الأدب العربي، والدين الإسلامي فكتب عن الإسلام، وبسبب موته المفاجئ لم ينجز كتابه تاريخ العرب وثقافتهم، الذي استمر بتأليفه حتى آخر يوم من حياته، والذي خصص الجزء الأول منه عن الرسول محمد ﷺ حتى وفاته[٢]. من آثاره: صقلية (١٩١٩م)، وكتاب الزيدية، وشرح المعتزلة للقرآن (١٩٢٥م)[٣].

١٠.انساباتو انريكي

من المهتمين بالتاريخ الإسلامي والسيرة، وكان أحد مديري مجلة الشرق، من آثاره: محمد والإسلام الحديث (١٩٣٠م)، ودراسة عن اليمن وإيطاليا (مجلة الشرق ١٩٥٣م[٤].

١-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٩٠و٣٩١.
٢-العقيقي، المستشرقون، ١/ ٣٨١.
٣-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٤٥٨.
٤-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٤٠٠.

ويجب أن لا نغفل فقد كان للاستشراق الإيطالي بعض المستشرقات الإيطاليات البارزات اللاتي أكملن مسيرة المعرفة في إيطاليا، وأوربا منهن:

١١.لورا فيشيا فاغليري:

المستشرقة لورا فاغليري من المستشرقين المحبين للإسلام، ونبيه ﷺ، درست الإسلام بروح خالية من التعصب، وأعجبت كثيرا بالأصول، والأخلاق الإسلامية، فردت على آراء المستشرقين المتعصبة، التي عدَّت صدورها بسبب جهل أو تجاهل مقصود لقيم الإسلام وحقيقة النبوة المحمدية، وعمدت لورا فاغليري إلى التأليف عن الإسلام، والرد على جميع الاتهامات الاستشراقية، فكتبت مؤلفها الشهير (دفاع عن الإسلام)[١].

٢١. ماريا نللينو

ابنة المستشرق الكبير كارلو نللينو، وواحدة من أشهر المستشرقات الإيطاليات، ولدت سنة (١٩٠٨م)، تعلمت من والدها، وسافرت معه في رحلاته، وأكملت نشاطه البحثي بعد وفاته، أصبحت عضواً في المجمع اللغوي في مصر، لها أعمال عديدة منها: مجموعة آثار كارلو نللينو، الإسلام والأقليات الدينية في الدستور السوري الجديد[٢].

١٣.اكا فرجينيا

ولدت في روما عام (١٨٩١م)، وأقامت مدة في القاهرة، تعلمت اللغة العربية، وحصلت على الدكتوراه عام (١٩١٧م)، أصبحت بعد ذلك محررة لمجلة الشرق الحديث لعدة أعوام، من آثارها: ابن إسحاق والواقدي في الهند، ورأي مسلم في المسلمين السنيين، وآيات من القرآن، وترجمة القسم الرابع من ألف ليلة وليلة (تورينو ١٩٤٩م)، والمظهر السياسي والاجتماعي للصوفي المسلم (١٩٥٥م)، وبمعاونة

١-شايب: لخضر، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (مكتبة العبيكة، د.ت)، ص٢٠٢.
٢-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٩٧.

فرانشيسكو غابريلي كتبت: أروع صفحات الأدب العربي[1].

*** المدارس والمجلات الإيطالية الاستشراقية**

١.مدرسة تعليم اللغة العربية في إيطاليا: أنشئت في إيطاليا عام (١٢٠٧م)، وكان لها الأثر الكبير في تشويه صورة الإسلام، وقد ضمت فئة من المدرسين النصارى، واليهود المتعصبين ضد الإسلام، فحاولوا تغيير صورة الإسلام، وتخريج أجيال لا تعرف الإسلام الحقيقي[2].

٢.الكلية المارونية: أنشئت في روما عام (١٥٨٤م)، واهتمت بتدريس اللغات الشرقية[3].

٣.مدرسة اللغات الشرقية في مدينة فلورنسا: أسست عام (١٦٢٣م)، واهتمت أيضا بتدريس اللغات الشرقية، وبالخصوص اللغة العربية منها[4].

٤.مجلة المشرق: مجلة تصدر باللغة العربية في بيروت مرتين في السنة بموافقة البابوية الكاثوليكية في روما، أنشئت عام (١٨٩٨م)، أي في بداية الاستعمار الغربي للمنطقة العربية، وكانت الكتابات في هذه المجلة متطرفة بشكل كبير، وحاولت تشويه صورة الحركات الإسلامية، وتجميل صورة الغرب، وتفكيك العالم الإسلامي[5].

١-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٧٦٧.
٢-سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ص٦٨.
٣-الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٨٢.
٤-الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، ص٨٢.
٥-سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، ص٨٧-٨٨.

المبحث الرابع

المستشرق غابريلي

(مؤلفاته، منهجه، مصادره في كتابة السيرة النبوية)

*** فرانشيسكو غابريلي**

ولد المستشرق فرانشيسكو غابريلي في روما عام (١٩٠٤م)، ودرس في جامعة روما على كبار المستشرقين من أمثال نيللينو، وجويدي، ولافي بيلافيدا[١]، فضلاً عن والده المستشرق الكبير جوزيه، أو جوزيبي غابريلي[٢]، وتخرج عام (١٩٢٥م)، وبدأ دراسة العلوم الإسلامية، والأدب العربي في جامعة نابولي عام (١٩٣٨م)، ثم حصل على مقعد للدراسة في جامعة المعرفة في روما، وبدأ ينهال عطاؤه المعرفي على مكتبات إيطاليا، وساعد ساسة بلاده في فهم العالمين الإسلامي، والعربي، وتحليله لهم[٣].

أصبح فرانشيسكو غابريلي من أكابر أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعة روما، وبرز في دراسة الشعر العربي الجاهلي وتطوره، وكان محققاً كبيراً في التاريخ الإسلامي[٤]، ونشر كثيراً من المقالات في الصحف، والمجلات، والجرائد اليومية، وكان له أثر في المداخلات الإذاعية والتلفزيونية، وأسهم في ظهور الاستشراق الإيطالي وتطوره في القرن العشرين، ودافع عنه لإنصاف بعض المستشرقين؛ لأنّ لهم أبحاثاً جليلة، ودافع عن الإسلام، وتعاليم القرآن الكريم، ورفض الربط بين الإسلام والعنف[٥].

وعُدَّ فرانشيسكو غابريلي واحداً من ألمع العارفين بالقضايا العربية والإسلامية، وأحد أعلام الثقافة الإيطالية، والاوربية في القرن العشرين، تبوأ عدة مراكز علمية في عدد من المؤسسات الإيطالية، وتمكن من نيل شرف عضوية أكثر من مجمع علمي في وقت واحد[٦].

١-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.
٢-جوزيه أو جوزيبي غابريلي: كان أمينا لمكتبة اكاديمية لنشاي في روما، وأمينا لخزانة كتب المستشرق الإيطالي كيتاني بعد أن ضُمّت هذه الخزانة إلى مكتبة الاكاديمية، له نتاجات علمية مميزة منها: عصر وحياة الشاعرة الخنساء، وكتابات في تاريخ العلوم العربية. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٧٦.
٣-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.
٤-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٩٤ ؛ حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١٢٠.
٥-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.
٦-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.

حاز غابرييلي على جائزة (فلترنيللي)[١] عام (١٩٥٥م)[٢]، وجائزة بالزان للدراسات الشرقية عام (١٩٨٣م) لإسهاماته الكبيرة في المعرفة، والبحث في العالم الإسلامي، وتحقيقه للشعر العربي بدءاً من العصر الجاهلي إلى أدب العصر الحاضر، كما أنه حاز على جائزة جيورجيو ليوى ديلا فيدا[٣].

نال العديد من المناصب العلمية منها تعيّينه كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها في جامعة روما، ومديراً لمعهد الدراسات الإسلامية في روما[٤]، ومراسلاً لأكاديمية لنشاي عام (١٩٤٧م)[٥]، وعضواً مراسلاً في المجمع العلمي في دمشق عام (١٩٤٨م[٦]، فضلاً عن المجمع اللغوي في القاهرة، وبغداد، وعمان، وتولى منصب رئيس المعهد الشرقي منذ عام (١٩٦٩م)[٧].

توفي المستشرق الإيطالي فرانشيسكو غابريلي عام (١٩٩٧م)[٨]، بعد أن قدم إسهامات علمية كبيرة، وكانت حياته زاخرة بالكتابات.

*** آراؤه في الحضارة الإسلامية والاستشراق**

يُعدّ غابريلي من المستشرقين المحبين، والمجيدين بشكل كبير للغة العربية، وآدابها، وكان من المدافعين عنها، وحرص على توجيه كل المستشرقين لتعلم اللغة العربية؛ لفهم حضارة الإسلام والعرب، وقد عبّر عن ذلك بكثير من المناسبات، وحاول غابريلي دراسة الحضارة العربية بكل جوانبها بمنهج علمي صحيح بعيداً عن الآراء المتعصبة

١-جائزة مشابهة لجائزة نوبل في الآداب، وتعدّ من أكبر الجوائز في الأدب الإيطالي. ينظر القاضي: محمد، في الأدب الاسباني جيل ١٩٢٧، (بحث منشور في مجلة الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد٢٩، ١٩٧٩م)، ص١٢٠.

٢-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.

٣-ياسين: أكرم الحق، منهج فرانشيسكو جابريلي في كتابة السيرة النبوية دراسة نقدية حول كتابه محمد والفتوحات الإسلامية، (بحث منشور في مجلة جهات الإسلام خاص بالسيرة، مج٤، ٢٠١٠-٢٠١١، العدد١-٢)، ص٣٧٢.

٤-ياسين: منهج فرانشيسكو جابريلي، ص٣٧٠.

٥-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.

٦-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٣٧٥؛ حمدان: نذير، مستشرقون (سياسيون، جامعيون، مجمعيون)، (ط١، مكتبة الصديق للتوزيع والنشر، الطائف- المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ص١٦٤.

٧-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.

٨-ياسين: منهج فرانشيسكو جابريلي، ص٣٧٠.

ضد الإسلام، وحضارته، أو آراء المسلمين أنفسهم، ففي إطار ذلك يقول غابريلي: «في البداية، الذي يود التحدث من غير المسلمين عن الإسلام يجب عليه أن يكون عارفاً ممتازا باللغة العربية، ولا آخذ في اعتباري آراء المستشرقين ممن لم يدرسوا اللغة العربية، وآدابها، وأستطيع القول: إن كلمة يقولها مستشرق عرف العربية لغةً، سيكون لها وقع طيب، لأنه سيتعرف على الإسلام، بل سيقرأ القرآن الكريم باللغة التي أنزله الله بها على رسوله»[١].

وعن القرآن الكريم وإعجازه يتحدث غابريلي فيقول: «القرآن العظيم، معجزة السماء، أرسله الله ليكون كتاب العالم، والوقوف أمام إحدى سورهِ في إجلال للتعرف على المعنى، يكفي كي تؤمن أن هذا كتاب من عند الله»، وفي تصريحه عن رسول الله ﷺ يذكر: «ان الأقاويل غير المسؤولة من بعض المستشرقين، بأن محمداً مؤلف القرآن، أقاويل باطلة لا صحة لها، وما افتراءاتهم إلا محاولة فاشلة للنيل من هذا الدين، ومن نبيه»[٢].

أما عن موقفه من الاستشراق وعن الآراء التي نقدت الاستشراق باعتباره منهجاً سياسياً استعمارياً فقد رد غابريلي على ذلك: «ان الاستشراق الذي كان في طريقه إلى الضياع، أو بالأحرى إلى الانحلال، والذوبان في تخصصات فرعية دقيقة أكثر فأكثر، وذلك من وجهة نظر علمية بحتة، أصبح الآن موحداً من جديد ومتحلياً بشخصية أيديولوجية، وسيسيولوجية، وسياسية، ولكن هذه الصورة المقدمة عنه غير مقبولة من وجهة نظرنا؛ وذلك لأنه من خلال هذه الصورة بالذات وضع في قفص الاتهام، وراحوا يحاكمونه على أصوله، ومقاصده، ومناهجه، ونتائجه»[٣].

١-حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء، ص١٢١.
٢-حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء ، ص١٢١.
3-Gabrieli: Francesco, Apology for Orientalism, (translated Victor A. Velen, Issue published: June, 1965), p81-82.

ويؤكد بقوله: «فالواقع أنه يحق للغرب أن يطبق على الشرق مفاهيمه، ومناهجه، وأدواته الخاصة التي كان قد بلورها في تاريخه الحديث، كما يحق له أن يطبق معاييره الخاصة على ما ندعوه بالتاريخ، والحضارة، والثقافة، والفلسفة، والشعر، بمعنى آخر فإنه إذا كان البعض يحلمون بإمكانية جعل الفكر الغربي يتراجع عن نتائج دراساته التاريخية الطويلة للبشرية، وتفسيرها فإنهم واهمون»[1].

وينقل عن غابريلي: انه ما يزال الطريق إلى التقدم العلمي، والنضج الفكري في دراسة الحضارة الشرقية يمر عبر الغرب، أي عبر الفكر الاجتماعي، والفلسفي الأوروبي؛ لذلك أصبح الاستشراق الأوروبي مجرد كبش فداء في الشرق؛ لأن الشرق فشل في حل المشاكل، والقلق، والآلام اللائي يعانيها، ولم يتغلب ولفترة طويلة على عقدة الشك، والشعور السيء الذي أضر باحتمالية التعاون الودي مع الغرب، لذلك لا ينبغي للعرب أن تتحدث عن كثير من التعاون الودي مع الغرب، ولا ينبغي أن تتحدث عن «الاستشراق كأزمة»، ولا تلقي باللوم على الاستشراق في معاناتها، وأزمتها المؤلمة[2].

*** مؤلفاته**

تميزت كتاباته بالغزارة حيث وصلت مؤلفاته إلى ما يقارب مئة وخمسين مؤلفاً ما بين كتاب مطبوع، وبحوث منشورة[3]، وتميز غابريلي بتنوع كتاباته، فنجد له العديد من المؤلفات في الأدب العربي، والإسلامي، وكذلك الأدب الإ يطالي، فضلاً عن ذلك تخصصه في مجال التاريخ، وكتاباته المتنوعة في حقب متعددة، منها في تاريخ الإسلام، ومنها في العصور الوسطى، والحروب الصليبية، وله كتابات أيضاً في العصور المعاصرة، والحديثة، فقد جمع في هذه المؤلفات كنزاً لخدمة الاستشراق، وأسس بذلك مدرسة

١-مطبقاني: مازن، هل انتهى الاستشراق حقا؟، (بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، تصدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد٤٣، د. ت)، ص٢٩١.

1- Macfie: Alexander Lyon, Orientalism, 2002, chapter6, p15.(4)

٣-القاضي: فرانشيسكو غابريلي ألمع المستشرقين الإيطاليين، ص١١٥.

استشراقية قائمة بذاتها، وكون أجيالا من الدارسين في العالمين العربي والإسلامي.

- مؤلفاته وأبحاثه في مجال التاريخ:

١. الوثائق المتعلقة بخلافة الأمين، عن الطبري (لنشاي ١٩٢٧م)

٢. خلف هارون الرشيد والحرب بين الأمين والمأمون (١٩٢٨م)

٣. كتاب أخلاق الملوك (مجلة الدراسات الشرقية، ١٩٢٦م)

٤. جامعة القديس يوسف في بيروت (روما ١٩٢٨م)

٥. تاريخ المسلمين للحروب الصليبية (١٩٢٩م)

٦. الشيعة في عهد المأمون (ليبزيج ١٩٢٩م)

٧. العصبية لدى ابن خلدون (١٩٣٠م)

٨. أصل الخوارج (١٩٤٢م)

٩. محمد والإسلام (تاريخ العالم)

١٠. سيرة كارلو نللیو (الشرق ١٩٧٠م)

١١. المجتمع البدوي القديم (روما ١٩٥٩م)

١٢. تاريخ وحضارة الإسلام (نابولي ١٩٤٧م)

١٣. رسالة فارسية في تاريخ الأديان (١٩٣٢م)

١٤. سياسة النورمان العربية في صقلية (١٩٥٨م)

١٥. ترجمة رحلات ابن بطوطة بالإيطالية (١٩٦٢م)

١٦. خلافة هشام بن عبد الملك (الإسكندرية ١٩٣٥م)

١٧. مؤرخو العرب للحملات الصليبية (تورينو ١٩٥٧م)

١٨. الزندقة في العصر العباسي (نضج الإسلام ١٩٦١م)

١٩. عرب صقلية وعرب اسبانيا (مجلة الأندلس، ١٩٥٥م)

٢٠. ابن حوقل وعرب صقلية (مجلة الدراسات الشرقية ١٩٦١م)

٢١. محمد والفتوحات الإسلامية (١٩٦٧م)[١]

٢٢. الخلافة الأموية في الشرق (الأندلس ١٩٧٤م)

٢٣. الإمامة والأدب (إمامة الشيعة ١٩٦٨، ١٩٧٠م)

٢٤. سيرة الحسن البصري من تذكرة الأولياء لابن العطار

٢٥. الخلافة الأموية (حولية معهد الدراسات الشرقية في نابولي ١٩٧٤م)

وغيرها كثير من المؤلفات والأبحاث[٢].

- في مجال الأدب:

١. عمر الخيام (١٩٣٠م)

٢. كوميديا إلهية إسلامية (١٩٢٨م)

٣. ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوربية (١٩٤٤م)

٤. أبو نواس العباسي (الشرق الحديث، ١٩٥٣م)

٥. سيرة ميخائيل نعيمة (الشرق الحديث ١٩٦٩م)

٦. علقمة الفحل (مجلة الدراسات الشرقية ١٩٧٢م)

٧. التفسير الشرقي الجديد لرسالة الغفران (١٩٢٩م)

٨. ديوان جميل (مجلة المجمع العلمي العربي، ١٩٣٧م)

٩. ديوان الوليد بن يزيد (مجلة الدراسات الشرقية ١٩٣٤م)

١٠. ملحمة الفردوسي والأدب العربي (فارس في العصر الوسيط ١٩٧١م)

والعديد من المؤلفات الأدبية الأخرى الرائعة(١).

١-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٩٤-٣٩٦ ؛ مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٣٧٦ - ٣٧٨.
٢-العقيقي: المستشرقون، ١/ ٣٩٤-٣٩٦ ؛ مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٣٧٦ - ٣٧٨.

منهجه في كتابة السيرة النبوية

تدفقت جهود المستشرقين في دراسة سيرة رسول الله ﷺ، ونبوته منذ بداية تاريخ الاستشراق، وتواصلت هذه الجهود حتى اليوم؛ لذلك تنوعت مناهج المستشرقين في دراسة سيرة رسول الله ﷺ، ولكنهم توحدوا في النتائج، فلم يتحلّوا بالموضوعية، والحيادية العلمية.

فقد أدت هذه المناهج، والنتائج إلى غرس الشكوك، والأوهام في نفوس المستشرقين الآخرين، والقراء كذلك، وغذّت مناهجهم الشعوب الأوربية بمعلومات عدائية، وحاقدة على الإسلام، ورسوله ﷺ، وقد قامت مناهجهم على أساطير ترسخت في عقول الرهبان المسيحيين منذ الحروب الصليبية حول شخصية رسول الله ﷺ[1]، ومع هذا فإن معظم المستشرقين المعاصرين ينظرون إلى أقرانهم القدماء بوصفهم رواداً في هذا المجال، وعلى الرغم من عدم قبولهم بما نقله معظم المستشرقين القدماء الذين خاطبوا عقلية أبناء زمانهم، وقدموا صوراً مشوهة عن الإسلام ونبيه ﷺ ما زالت ماثلة في عقول الغربيين وأفكارهم؛ لذلك لا بد لنا من الاطلاع عليها، ومعرفتها[2].

ويجب أن نذكر حقيقة واقعة، أن المنهجية التي تبناها الاستشراق الإيطالي في بداياته حول رسول الله ﷺ، ما هي إلا إفرازات لمواقفه العدائية للإسلام في مرحلة العصور الوسطى، فهذه الكتابات التي تعد بداية الاستشراق لم تعتمد منهجاً علمياً موضوعياً، وان الأوائل الذين كتبوا عن حياة رسول الله ﷺ من الإيطاليين هم رجال دين، ورهبان، واستمر تأثيرهم في كتابات بعض المستشرقين في التاريخ الحديث والمعاصر[3]، هكذا استعملوا منهجاً يهدفون من ورائه إلى النيل من شخصية رسول الله ﷺ، وتفنيد

١-الجيزاني: قاسم جواد، موقف المستشرقين من السيرة النبوية، (بحث منشور في مجلة العميد العدد٢، السنة الثانية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص٢٦٣.

٢-النملة: علي بن إبراهيم الحمد، الاستشراق والدراسات الإسلامية، (ط١، مكتبة الوثبة، الرياض ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، ص١٣٣.

٣-العمارتي: صورة الرسول محمد ﷺ في عيون الاستشراق الإيطالي، ص١٤.

رسالته، فاعتمدوا الأحاديث الضعيفة، والروايات التاريخية الملفقة، والموضوعة، فأنكروا تلقيه الوحي الرباني، وإنما الذي كان يظهر له من علامات نزول الوحي ما هي إلا حالات نفسية شاذة، أو نوبات من الصرع، وهذه الأفكار سادت، وانتشرت في أغلب الكتابات الاستشراقية[1].

أما في العصر الحديث والمعاصر فقد تحرر المستشرقون الإيطاليون إلى حد كبير من توظيف كتاباتهم لخدمة الكنيسة، والتعصب الديني الذي كان سائداً سابقاً، فتطورت مناهجهم، وتحسنت صورة رسول الله ﷺ في كتاباتهم نوعا ما؛ بسبب اطلاعهم الواسع وفهمهم لماهية الإسلام، ولكن ما يزال بعض المستشرقين إلى اليوم يحملون رؤية العصور الوسطى عن الإسلام ورسوله ﷺ[2].

ما يهمّنا مما تقدم إعطاء فكرة عن منهجية المستشرقين الإيطاليين في تناولهم لسيرة رسول الله ﷺ، وموقفهم من هذه المنهجية، والآن نأتي على المستشرق فرانشيسكو غابريلي، وكتابه (محمد والفتوحات الإسلامية) الذي هو مدار بحثنا في دراسة الاستشراق الإيطالي في السيرة النبوية، ولا بد أن نقدم عرضاً موجزاً عن هذا الكتاب وفهارسه.

(محمد والفتوحات الإسلامية) كتبه مؤلفه بلغته الأم الإيطالية، ثم ترجمته للإنكليزية كل من فرجينيا لولنغ وروزامند لينل تحت عنوان (Muhammad and the Islam Of Conquests)، وقام بترجمته إلى اللغة العربية، وتقديمه والتعليق عليه الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي عام ٢٠١١م، وهي النسخة التي اعتمدناها في دراستنا.

اشتمل الكتاب على (٤١٦) صفحة، وفهارس الكتاب تضمنت اثني عشر فصلاً، فضلاً عن مسح وتحليل للمصادر والمراجع المعتمدة، وهذا عرض لفصول الكتاب:

١-العمارتي: صورة الرسول محمد ﷺ في عيون الاستشراق الإيطالي، ص٢٩.
٢-الشرقاوي: محمد عبد الله، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، (دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦)، ص١٨.

الفصل الأول: محمد في التاريخ، تحدث فيه المستشرق غابريلي عن (شخصية محمد وسيرة حياته، والحكم المسيحي في العصور الوسطى، وإعادة تقويم محمد، ووجهة النظر الحديثة المنطوية على تناقض ظاهري).

أما الفصل الثاني فعنوانه (الجزيرة العربية قبل ظهور محمد)، وقد تناول الجزيرة العربية قبل ظهور رسول الله ﷺ متطرقا إلى (العصبية القبلية، والخلفية التاريخية، والروايات التاريخية، والتراث الثقافي للجزيرة العربية الوثنية، والوثنية واليهودية والمسيحية).

والفصل الثالث (محمد في مكة)، ولادته ونشأته، حياته قبل البعثة. وجاء الفصل الرابع تحت عنوان (الابتهاج بالنصر في المدينة)، متناولاً هجوم مكة المعاكس، وفتوحات رسول الله ﷺ الأخيرة ووفاته[1]. وهذه الفصول موضوع بحثنا في السيرة النبوية.

أما بقية الفصول: ففي الفصل الخامس (الإسلام والدولة العربية الإسلامية) تناول غابريلي انتشار الإسلام وتوسع الدولة الإسلامية من خلال تعاقب الخلافة، وفترة الحكم الأموي.

والفصل السادس (صنع الإمبراطورية وبناؤها) يوضح فيها معالم الإمبراطورية الإسلامية من خلال مناقشة الدوافع وراء ذلك.

وفي الفصول السابع (الفتوحات الإسلامية في المشرق والعراق وبلاد فارس). والثامن (الفتوحات الشمالية: سوريا وبلاد ما بين النهرين وأرمينيا). والتاسع (الفتوحات الغربية: مصر وشمال افريقيا). والعاشر (الإسلام في أوربا: اسبانيا وفرنسا وإيطاليا). والحادي عشر (الحدود تلقاء الشرق). والثاني عشر (الإنجازات العربية الإسلامية). بعدها مسح كامل للمراجع الأجنبية المعتمدة وتحليلها[2].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٤١٤-٤١٥.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٤١٥-٤١٦.

اتبع المستشرق غابريلي ترتيباً زمنياً في نقل الأحداث التاريخية، فمنهجه في تناول سيرة رسول الله ﷺ هو منهج تحليلي، نقدي، فهو لا يقوم بنقل الوقائع التاريخية نقلاً سلبياً، كما هو متداول عند العديد من المؤلفين، بل يعمل على تحليلها، ولا يبالي بأصالة النصوص التي يناقشها[1]، فمثلا ينقل غابريلي حادثة الإسراء «والإيمان بمعجزاته في الرحلة الليلية من مكة إلى القدس، ومن ثم إلى السماء، التي استند إليها الكثير من الإيمان بالأخرويات كالبعث والحساب، قد وجدت في بضع آيات قرآنية، التي في الواقع يمكن تفسيرها على أنها وصف لحلم، أو رؤيا أكثر من أن تكون رحلة جسدية ومادية»[2].

فتناوله لحادثة الإسراء لم يشر إلى المصادر التي نقل عنها، كذلك لم ينقل نص الحادثة بشكل كامل، ومن المتعارف أن حادثة الإسراء قد اتفقت عليها أغلب الروايات التاريخية على أنها حقيقة حدثت لرسول الله ﷺ، عدا رواية، أو روايتين ذكرت أنها حلم، فتذكر هذه الرواية كيف أن رسول الله ﷺ قد تغيب تلك الليلة، وخرج أهله وعشيرته يبحثون عنه، فلما عاد أخبرهم بأمر الإسراء، وما حصل له من زيارة بيت المقدس، وكيف عرج به إلى السماء، فتعجبوا لذلك[3].

وكذلك اتبع المؤلف نهج من سبقه من المستشرقين في محور كلامه عن طفولة رسول الله ﷺ وذكر أنه كان حزيناً، وكئيباً في طفولته؛ بسبب فقده لأبيه ثم أمه من بعده ، فيقول غابريلي: «ووالده عبد الله قد توفي قبل مولده حينما كان بعيداً عن مدينته في رحلة تجارية، وحينما بلغ الطفل من العمر ست سنوات فقد والدته أيضاً، وتعهد بعدئذ بتربيته، والعناية به جده (لأبيه) عبد المطلب أولاً، ثم تعهده عمه أبو طالب، ويبدو أن كليهما قد رعيا الصبي بحنان دافق، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الحزن، أو الكآبة sadness لطفل، وشاب يتيم قد أحاطتا السني الأولى من حياة محمد، وإن إشارة مؤثرة من هذا

١-ياسين: منهج فرانشيسكو غابريلي، ص٣٨٢-٣٩٠.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٥٩.
٣-ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢١٠هـ-٨٢٥م)، الطبقات الكبرى، (تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ١/ ١٦٧.

قد بقيت في آية من سور القرآن الأولى سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[1]، فإن هذه العبارات الموثقة تعطينا رؤية ثاقبة عن مدى حزن (استخدم المؤلف كلمة unhappy)، أو تعاسة شباب النبي أكثر مما تعطيه أي زخرفة لسير القديسين»[2].

بنى كثير من المستشرقين على حالة حزن رسول الله ﷺ أفكارهم التي حاولت النيل من شخصه، لذلك فسروا هذا الحزن إلى كآبة، ثم رسموا في شخصه الكريم ﷺ أنه تنتابه حالات من الصرع، محاولين نفي الوحي، وإثبات أن الحالات التي كانت تصيبه في أثناء نزول الوحي، ما هي إلا حالات صرع، لذلك نرى غابريلي ما يزال يبني آراءه على تلك الأفكار، على الرغم من نقده للعديد من طروحات مستشرقي القرون الوسطى الذين سبقوه.

واستمر المستشرق في محاولة إثبات عدم عصمة رسول الله ﷺ، ونفي المعجزات عنه؛ مبرراً ذلك بأنه لا تقبله الحقيقة التاريخية، وحاول تصوير شخصه الكريم ﷺ بأنه بشر غير معصوم، معرض للخطأ والصواب مستنداً بذلك إلى سورة (عبس) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾[3]، فيذكر أن هذه السورة نزلت في توبيخ رسول الله ﷺ[4]، (حاشا نبينا ذلك).

وعلى الرغم من أن غابريلي عدَّ القرآن الكريم مصدراً موثوقاً به[5]، لكنه تجنب الإفادة منه، ومن شواهده، فضلاً عن ذلك إشكالية المستشرقين على كتب السيرة النبوية، وعدم اعتمادهم عليها[6]، إلا أن المستشرق غابريلي قد اعتمدها في نقل النصوص التي تخدم شكوكه في سيرة رسول الله ﷺ التي تبناها أغلب المستشرقين دون أن يذكرها.

١-سورة الضحى: آية ٦-٨.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢١.
٣- سورة عبس: آية ١-٤.
٤-ياسين: منهج فرانشيسكو غابريلي، ص٣٨٦.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٥٩.
٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص١١٩.

*** مصادره في كتابة السيرة النبوية**

نلاحظ أن المستشرق غابريلي يستشهد بآيات القرآن الكريم بشكل انتقائي، فإن لم تعارض فكرته، أو رأيه ذكرها، مثل سورة عبس التي يفسرها بأنها توبيخ لرسول الله ﷺ، ويشير مترجم الكتاب إلى أن غابريلي قد اعتمد على مؤلفات السيرة النبوية لتزويده بالمعلومات عن حياة رسول الله المبكرة[١].

ولكن عند القيام بمسح مصادر الكتاب، ولا سيما المصادر التي تناولت السيرة النبوية، لم نجد ذكراً لهذه المصادر، ماعدا سيرة ابن إسحاق (طبعة لندن ١٩٥٥م) التي اعتمدها، وابن إسحاق في سيرته اعتمد بشكل كبير على روايات عروة بن الزبير[٢]، الذي كانت ميوله أموية، وعروة نفسه أقر بمداراته لبني أمية، وتعاونه معهم، فقد نُقل عنه أنه قال: «أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء، فيتكلمون بالكلام، نعلم أن الحق غيره؛ فنصدقهم، ويقضون بالجور، فنقويهم، ونحسنه لهم؛ فكيف ترى في ذلك؟ فقال: يا بن أخي، كنا مع رسول الله نعد هذا النفاق؛ فلا أدري كيف هو عندكم»[٣].

كما أن غابريلي قد اعتمد بشكل كبير جداً على مؤلفات المستشرقين الغربيين، وبحوثهم فقط، وفي الوقت نفسه نَقَدَ -في بداية كتابه- العديد من المستشرقين الغربيين الذين تناولوا السيرة النبوية على وفق منهج التشكيك والتكذيب، إلا أنه قد اعتمد مؤلفات هؤلاء المستشرقين بشكل كبير، ففي محور حديثه عن إعادة تقويم رسول الله ﷺ من خلال نقد المؤلفات التي كتبت في سيرته تحدث غابريلي عن المستشرق

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص٣٩.

٢-عروة بن الزبير: بن العوام، من كبار التابعين، وأحد فقهاء المدينة السبعة، وأحد المكثرين في الرواية خصوصاً عن خالته عائشة، ومن الذين اعتمد عليهم ممن جاء بعدهم، توفي في المدينة سنة ٩٤ للهجرة. ينظر ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت٣٥٤هـ - ٩٦٥م)، مشاهير علماء الأمصار، (تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، د.ت)، ص١٠٥.

٣-البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ -١٠٦٦م)، السنن الكبرى، (دار الفكر، د. ت)، ٨/ ١٦٥.

(هنري لامنس) Lammens Henri[1]، وكتاباته النقدية عن الإسلام ورسوله، وشدة تحامله، فيذكر غابريلي: «ما تمت ملاحظته سابقاً، لامانس مع موضوع محمد، وعائلته، ومحيطه، في سلسلة من الدراسات العلمية، والبارعة (على الرغم من أنها لم تقدم أي ترجمة مفردة مترابطة)، ففي الوقت الذي دحض فيه، بل هدم الثقة بالحديث الإسلامي من جهة، فإنه من جهة أخرى يقبل كثيراً من الأحاديث التي تلائم وتناسب أطروحته، وقدّم أصول الإسلام على أنها أصول مركبة من خدع، وحيل، وألغاز ظالمة، واستبدادية، وكان محمد بالنسبة إليه ((نبي كذابFalse Prophet)) الوصف الذي كان سائداً في أوربا العصور الوسطى، باستثناء مسألة مهمة، وهي أن تحامل كتاب العصور الوسطى، وتحيزهم كان مدعوماً بجانب من الخرافات، والتلفيقات الصبيانية، في حين إن مؤرخ القرن العشرين قد أسس، وغذّى، وأشبع موقفه التحاملي، بمعرفة تامة، وشاملة بالمصادر الإسلامية الأصيلة المباشرة، إلا أنها جميعاً قد فسّرت، وأولت بالميل المعادي نفسه، والنية المعادية، وكان استنتاجه المحتوم الذي لا يمكن تجنبه هو أن الإسلام كأن خطأ، وغلطة في التاريخ، وانه انحراف عن أمر العناية الإلهية للعقيدة المسيحية المغروسة، والمثبتة حديثاً... وعلى أية حال فإن صوت لامانس على الرغم من أنه صوت ضد الإجماع المعاصر للحكم التاريخي على محمد، لكنه يبقى صوتاً منعزلاً»[2]، فعلى الرغم من نقد غابريلي لكتابات هنري لامنس، إلا أنه يعتمد مؤلفاته بشكل كبير، حتى وصل عدد هذه المؤلفات المعتمدة إلى خمسة ما بين كتاب وبحث.

فضلاً عن ذلك فإن الدراسات العربية الاستشراقية عدت لامنس متفوقاً على مَنْ سبقه في عدائه لرسول الله محمد ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام، مستخدماً مناهج البحث العلمي

١-هنري لامنس: مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام يفتقر إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ويعدّ نموذجا سيئا من بين المستشرقين، وقد تحامل لامنس تحاملا شديدا على كتب السيرة النبوية. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٥٠٣-٥٠٤.

٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص٧٤.

الحديثة لتوظيف عدائيته تلك، وبينت هذه الدراسات أن لامنس وظف الروايات الضعيفة، والموضوعة، من أجل أن يقدم صورة سيئة عن رسول الله ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام[1]. وممن نقل عنهم غابريلي المستشرق الالماني (دبليو كاسكل Caskel)[2]، الذي ادّعى أن أغلب أخبار العرب قبل الإسلام هي أساطير لا يمكن الوثوق بها[3]، ومن المصادر التي اعتمدها كتاب دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام للمؤلف (كوسين دي برسيفال)[4]، ونقل أيضا عن (مونتغري واط)[5]، في كتبهِ (محمد في مكة)، و(محمد في المدينة)، وكتابه المختصر (محمد النبي ورئيس الدولة)، فضلاً عن ذلك فإنه أخذ عن نيللينو، والأمير كيتاني، وغيرهم من المستشرقين، ونلاحظ في المراجع التي اعتمدها المؤلف أن هناك تنوعاً في جنسيات مؤلفيها، إلا أنه لم يعتمد أي مصدر أو مرجع إسلامي، أو عربي في كتابه هذا، ولا نعرف سبب ذلك؛ على الرغم من اطلاعه الواسع على الكتب العربية، وإجادته وإتقانه اللغة العربية.

١-الكعبي: صورة أصحاب الكساء، ص١٤.

٢-دبليو كاسكل: مستشرق الماني ولد ١٨٩٦م، ودرس اللاهوت في جامعة توبنجن ودرس القرآن أيضا، زار تركيا وفلسطين والعراق، تأثر كاسكل بأستاذه فشر وقد نادى بأن كل أخبار العرب قبل الإسلام هي أساطير. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٤٥٠-٤٥١.

٣-بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٤٥١.

٤-كوسين دي برسفال: مستشرق فرنسي ولد عام ١٧٥٩م في مونديه، ودرس اللغات الشرقية في باريس وصار أستاذا وعضوا في معهد فرنسا، أهم أعماله: بحث في تاريخ العرب قبل الإسلام، وفي عصر النبي محمد في ثلاث مجلدات. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٤٨٨.

٥-مونتمغري وات: عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا، له كتابات واسعة أبرزها: (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) وكتابه المختصر (محمد النبي ورئيس الدولة) وغيرها. ينظر العقيقي: المستشرقون، ١/ ٥٥٤.

الفصل
الثاني

المبحث
الأول

سيرة رسول الله ﷺ عند المؤرخين المسلمين والغربيين

*** نظرة إلى سيرة رسول الله ﷺ**

حاول المستشرق غابريلي من خلال تقسيمه لموضوعات كتابه أن يعرض وجهات النظر المختلفة عن شخصية رسول الله ﷺ بدراسته للمصادر العربية الإسلامية التي لم يشر إليها، فضلا عن نقده لبعض هذه المصادر، ثم يعرج إلى إيضاح صورة رسول الله محمد ﷺ في مجتمعات العصور الوسطى، وكيف شوهت هذه الصورة في تلك المجتمعات من مؤرخي هذه العصور متهماً إياهم بعدم استقلالية آرائهم، وانقيادهم لآراء الكنيسة، فالاتجاه الديني كان سائداً ومسيطراً في تلك الحقبة على حساب المنهج العلمي الصحيح في نقل شخصية رسول الله ﷺ.

ثم ينتقل في محور حديثه إلى التصورات الغربية الحديثة عن شخصية رسول الله ﷺ، مؤكداً أن نظرة القرون الوسطى قد انمحت وتغيرت وأصبح لديهم الآن منهجٌ علميٌ صحيحٌ في دراسة سيرة رسول الله ﷺ.

*** سيرة رسول الله ﷺ عند المؤرخين المسلمين**

يذهب غابريلي برأيه في بداية حديثه عن شخصية رسول الله ﷺ لدى المؤرخين العرب والمسلمين، إلى ان المعلومات المتوافرة عن شخصية النبي ﷺ غير دقيقة تماماً على الرغم مما تمتعت به من موقع تأريخي مهم، مشيراً إلى أنها تشوبها بعض التحريفات، والتشويهات، وتدخل فيها الجوانب الأسطورية، وينقد الرواية التاريخية الإسلامية معللاً أن بعض الروايات تمجّد، وبعضها الآخر تشوّه شخصية رسول الله ﷺ في مجتمعه الخاص[1].

يحاول المستشرق بذلك إظهار عدم مصداقية بعض المصادر التي كتبت في السيرة النبوية وزيفها، فعلى الرغم من أن غابريلي يعد أستاذا للغة العربية في إيطاليا، وكان قد زار المنطقة العربية مثل سوريا، والعراق، ومصر، وعمل فيها، وكان عضواً في المجمع

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٥٧.

العلمي في دمشق، وهو يجيد اللغة العربية بشكل تام[1]، إلا أنه لم يعتمد المصادر والمراجع العربية والإسلامية في كتابه، وحاول تعليل ذلك بوجود التحريفات، والتشويهات في بعض الروايات العربية الإسلامية، وهذا ليس بجديد، بل هو منهج المستشرقين الذين سبقوه والذين عاصروه، فقد اتجهت الدراسات الاستشراقية نحو القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسيرة النبوية أكثر من غيرها من الدراسات الإسلامية، وقد انصبت الإرهاصات، والأكاذيب على تلك المحاور على وفق الاتجاه الانحيازي الديني، والمذهبي، والابتعاد عن المنهجية العلمية، والحقيقة الواقعة، وهذا ليس معناه خلو الساحة العلمية من دراسات دقيقة اتسمت بالدقة والواقعية[2].

والمعروف لدينا أن عدداً من المؤرخين المسلمين قد استندوا إلى قواعد علمية صحيحة في دراسة التاريخ، وضبط الروايات والأخبار، وهذه القواعد أنتجتها العقول الإسلامية نظراً لحاجتهم الماسة لها، وتُعدّ السيرة النبوية أول ما كتب في التدوين التاريخي بعد الحديث النبوي[3]، وهناك العديد من المصادر العربية والإسلامية التي تناولت سيرة رسول الله ﷺ، منها كتب السيرة النبوية، وكتب التاريخ العام، وكتب التراجم، وغيرها كثير.

وإذا كان غابريلي قد اعتمد أو بحث في بعض المصادر المعينة، فلا شك أنه تجاهل المصادر المعتمدة لدى مدرسة آل البيت، فهم أقرب إلى الصواب من غيرهم، فإذا كان كذلك فالذنب ذنبه عندما استقى معلوماته من هذه المصادر غير الموثوقة، ولا يحق له أن يعمم التحريفات والتشويهات على جميع المصادر الإسلامية.

١-مراد: معجم أسماء المستشرقين، ص٣٧٥.
٢-الحكيم: حسن، المستشرق البريطاني مونتمجري واط وكتابه محمد في مكة دراسة تحليلية، (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد٥، عام ٢٠١٥م)، ص١١.
٣-البوطي: محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، (ط١٠، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ص٢٥-٢٦.

*** الإسراء والمعراج**

يشير المستشرق إلى الروايات التي تناولت المعجزات الإلهية التي حصلت لرسول الله ﷺ، مركزاً حديثه حول حادثة الإسراء والمعراج فيقول: «فالاعتقاد والإيمان بمعجزاته (الرحلة الليلية) من مكة إلى القدس، ومن ثم إلى السماء، التي استند إليها الكثير من الإيمان بالأخرويات كالبعث والحساب، قد وجدت في بضع آيات قرآنية، التي في الواقع يمكن تفسيرها على أنها وصف لحلم أو رؤيا أكثر من أن تكون رحلة جسدية ومادية»[1].

فلا بد لنا أن نشير أولاً إلى الآية الكريمة التي قصدها المؤلف وهي في سورة الإسراء: ﴿**سُبحانَ الّذي أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرام إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الّذي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَه مِن آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصير**﴾[2]، إن تفسير غابريلي لحادثة الإسراء والمعراج بأنها حلم، أو رؤية قد يكون معتمداً في ذلك على روايتين نقلتا هذه الحادثة متجاهلاً الروايات الأخرى:

أولا: الروايتان نقلتا عن عائشة بنت أبي بكر، ومعاوية بن أبي سفيان، حيث تذكر الرواية الأولى: «ان عائشة زوج رسول الله ﷺ كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله، ولكن الله عز وجل أسرى بروحه»[3]، والرواية الثانية قال ابن إسحاق: «ان معاوية كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله قال: كانت رؤيا من الله صادقة»[4].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص٥٩.
٢-سورة الإسراء: آية ١.
٣-ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت١٥١هـ- ٧٦٨م)، السيرة النبوية، (تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، ١/ ٣٠٩؛ ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ- ١٣٧٣م)، البداية والنهاية، (تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ٣/ ١٤١.
٤-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ١/ ٣٠٩ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٤١.

وعند الوقوف أمام ذلك نقول:

١.إن رسول الله ﷺ لم يعرج بروحه، بل بالجسد مع الروح، فمن الآية الكريمة نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يقدم لفظ الإجلال (سبحانه) وهو دليل على عظمته، وقدرته غير المتناهية، فإذا كان حلما، أو رؤية ما وجب هذا الإجلال. كذلك جاء في الآية الكريمة لفظ (سبحان الذي أسرى بعبده)[١]، فورود لفظ (عبد) هنا دليل على الجسد والروح، فإذا كانت الروح فقط هي التي صعدت إلى السماء، ومن المعلوم لدينا أن الله سبحانه وتعالى قد سخر لرسول الله ﷺ البراق وسيلة لنقله في أثناء رحلته من مكة إلى بيت المقدس[٢]، فما الحاجة إلى هذه الوسيلة؟، فالروح شيء غير مادي لا يحتاج وسيلة نقل[٣].

٢. إذا كانت الإشكالية في صعود الجسم إلى العرش، فيجب أن نستبعد نزول الجسم من العرش متمثلاً بنزول جبرائيل عليه السلام، إذ يقول تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[٤]، فضلاً عن ذلك فقد ورد في القرآن الكريم أن الرياح كانت تسير النبي سليمان عليه السلام كيفما شاء في وقت قصير، وإحضاره عرش بلقيس من اليمن إلى الشام بلمح البصر يدل على قدرة الله تعالى[٥]. فهذه دلائل ربانية على قدرة الخالق سبحانه، فليس من الصعب أن يعرج برسوله ﷺ إلى السماوات.

٣.ورد عن رسول الله ﷺ في عدة مواضع أن الإسراء والمعراج لم يكن رؤية، أو حلماً، إذ تذكر إحدى الروايات «عن ابن عباس قال: خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود، قالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذاب حتى نوبخه في وجهه ونكذبه، فإنه يقول: أنا رسول رب العالمين، وكيف يكون رسولا وآدم خير منه، ونوح خير منه؟ وذكروا الأنبياء. فقال النبي لعبد الله بن سلام: التوراة بيني وبينكم، فرضيت اليهود بالتوراة،

١-سورة الإسراء: آية ١.
٢-ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ١٣٦.
٣-المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ- ١٧٠٠م)، بحار الأنوار، (تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ١٨/ ٢٨٦.
٤-سورة الشعراء: آية ١٩٣-١٩٤.
٥-المجلسي: بحار الأنوار، ١٨/ ٢٨٦.

فقال اليهود: آدم خير منك؛ لأن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه. فقال النبي: آدم النّبي أبي، وقد أعطيت أنا أفضل مما أعطي آدم. قالت اليهود: وما ذاك؟ قال: إن المنادي ينادي كل يوم خمس مرات أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولم يقل آدم رسول الله، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة وليس بيد آدم. فقالت اليهود: صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة. قال: هذه واحدة. قالت اليهود: موسى خير منك. قال النبي ﷺ: ولم؟ قالوا: لأن الله كلمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء فقال النبي: لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك. قالوا: وما ذاك؟ قال: هو قوله ((سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)) وحملت على جناح جبرئيل حتى انتهيت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، حتى تعلقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤوف الرحيم، ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك. قالت اليهود: صدقت يا محمد وهو مكتوب في التوراة»[1]. فإذا كانت الإسراء والمعراج مجرد رؤية ما تفاخر بها رسول الله ﷺ أمام اليهود.

٤. ورد عن أم هانئ بنت أبي طالب[2] قالت: «ما أسري به إلا من بيتنا، نام عندنا تلك الليلة صلى العشاء ثم نام، فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح، فقام فلمّا صلى الصبح قال: يا أم هانئ؛ لَقد صَلَّيْتُ مَعَكُم العشاء كما رأيت بهذا الوَادِي ثم قد جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليتُ الغداة مَعَكُم، ثم قام ليخرج فقلتُ: لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك، فقال: والله لأحَدّثنهم، فأخبرهم، فتعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟»[3].

١-الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ق٦هـ)، الاحتجاج، (تحقيق وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م)، ١/ ٥٥-٥٧ ؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١٦/ ٣٢٧.

٢-أم هانئ بنت أبي طالب: اسمها فاختة وقيل: هند، بنت عم النبي أبي طالب، أخت عقيل وجعفر وعلي، تأخر إسلامها حتى عام الفتح، روت عدة أحاديث بلغ مسندها ستة وأربعين حديثا. ينظر خليفة بن خياط: أبو عمرو العصفري (ت٢٤٠هـ - ٨٥٤م)، طبقات خليفة، (تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ص٦١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣١١-٣١٢.

٣-ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت٢١٨هـ- ٨٣٤م)، السيرة النبوية، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)، ٢/ ٢٧٢ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٢١٣.

ثانيا: إذا كان المستشرق يذهب في شكه، وعدم قناعته بحادثة الإسراء والمعراج إلى أن قوانين الطبيعة لا تتلاءم مع هذه الحادثة بقوله: «المعتقد الشعبي ليس له مثل هذا التردد في أن ينسب إليه أعمالاً إذا ما انتهكنا قوانين الطبيعة... فهي تتعارض وتتقاطع مع المسلك الطبيعي لإذن الله أو تخويل منه، فإنها تضعه فوق الإنسانية والآدمية العادية»[1].

فنقول له إن التطورات العلمية الحديثة استطاعت أن تحل مشكلات عديدة للانطلاق في الفضاء مثل مشكلة الشهب والنيازك المتطايرة في الجو، ومشكلة الأشعة الفضائية، ومشكلة عدم وجود الغاز للتنفس، وتمكن العلماء من السفر إلى الكواكب كالقمر، والمريخ، بسهولة ويسر، وان رسول الله ﷺ عرج إلى السماء بعناية، وقدرة من الله خالق الوجود كله، ومنشئ هذا النظام، وهو الذي أعطى للأرض جاذبيتها، وللشمس أشعتها، وأوجد طبقات الهواء، وأنواع الغازات في الجو[2].

ويتحدث أحد المستشرقين الغربيين عن حادثة الإسراء والمعراج قائلا: «ولو أن علم الفيزياء لا يقبل هذا الأمر، إلا أنني احترم العقيدة الإسلامية، وأقبل كل ما جاءت به من الناحية الدينية، وكذلك نحن المسيحيون لدينا اعتقادات دينية لا يقبلها علم الفيزياء، مع ذلك نحن نؤمن بها، ونعتبرها من صلب عقيدتنا»[3].

*** الإعجـاز القرآني**

وفي محور حديثه عن معجزة القرآن الكريم يصرح غابريلي بقوله: «أما بخصوص القرآن ذاته، فإنه صفة إعجازية فذة، لا تضاهى كما يُستنتج ويُستدل به من الكثير من مقاطعه، بحيث انه قد تحدى الكفار بأن يقدموا أي شيء يماثله، وكأنه بوضوح أمر مستحيل عمله ... كان له تأثير هائل سواء كان في الميادين الدينية (اللاهوتية)، أم

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٥٩.
٢-السبحاني: جعفر، سيد المرسلين، (تعريب: الشيخ جعفر الهادي، ط٤، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٩هـ ق)، ١/ ٥٥١-٥٥٢.
٣-جورجيو: كونستانس، نظرة جديد في سيرة رسول الله، (تعريب: الدكتور محمد التونجي، ط١، الدار العربية للمطبوعات، ١٩٨٣م)، ص١٤٣.

الأدبية في الحضارة الإسلامية»[1].

في هذا النص يشير المؤلف إلى الآيات القرآنية التي صرحت بإعجازية القرآن الكريم وهي: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]. والآية الكريمة من سورة هود: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[3].

*** عصمة رسول الله ﷺ**

ويكمل المستشرق غابريلي الحديث عن الروايات التي تتحدث عن عصمة رسول الله ﷺ فيذكر: «ان جعل شخصية النبي شخصية أنموذجية، ومثالية، لا تشتمل فقط على ما ينسب إليه من قدرات في عمل المعجزات والأعاجيب. فقد اعتُرف وسُلم باللاعصمتية، وانه كإنسان عرضة للخطأ من قبل محمد نفسه حتى في مسألة الوحي، هناك سورة في القرآن وبخه الله فيها، لخشونته في طرد رجل أعمى فقير كان يريد أن يسأله توضيح أمر في العقيدة، في الوقت نفسه الذي كان فيه محمد يحاول الفوز بحظوة مع رجل مكي رفيع الجاه وعظيم المرتبة»[4].

يشير غابريلي إلى حادثة ابن أم مكتوم الأعمى[5]، الذي جاء إلى رسول الله ﷺ طالبًا منه تعليمه القرآن، وما نزل عليه من الآيات، في حينها كان رسول الله ﷺ منشغلاً بدعوة سادات قريشٍ إلى الإسلام طمعا في إسلامهم؛ فأعرض رسول الله ﷺ عن ابن

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص٥٩- ٦٠.
٢-سورة البقرة: آية ٢٣.
٣-سورة هود: آية ١٣-١٤.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص٦٠-٦١.
٥-ابن أم كتوم: وهو عمرو بن قيس بن زائدة، أمه أم مكتوم بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد، شهد ابن أم مكتوم القادسية، وكان معه اللواء، وقتل شهيداً فيها. ينظر الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت٢٣٦هـ- ٨٥١م)، نسب قريش، (تعليق وتصحيح: ا. ليفي بوفنسال، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د. ت)، ص٤٣٧.

أم مكتوم بوجهه، وغضب منه لإلحاحه، وهو منشغل بدعوة هؤلاء القوم[١]، فنزلت السورة القرآنية (عبس): ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الأعمى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾[٢].

فنلاحظ أن المستشرق قد:

١. تجاهل كل الآيات التي تؤكد على خُلُق رسول الله ﷺ وسجاياه الفاضلة كقوله تعالى: ﴿**وإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٣]، وقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[٤]، وقوله سبحانه وتعالى في سورة التوبة: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[٥].

٢. ذهب بعض المفسرين إلى إضعاف الروايات التي نقلت الحادثة المذكورة، وعدّوها غير مطمئنة فقَالوا: «نزلَت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى، أَتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول اللَّه أَرشدني، وعند رسول اللَّه ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أَترى بما أَقول بأسا؟ ، فيقول: لا، ففي هذا نزلت، قَال: هذا حديث غريب»[٦]. وكذلك نُقِلَتْ عن الحافظ أبي يعلى «في مسنده: حدثنا محمد – هو ابن مهدي – حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن قتادة عن أنس في قوله: (عبس وتولى، جاء ابن أم مكتوم إلى النبي وهو يكلم أبي بن خلف، فأعرض عنه،

١-ابن عبد البر: الاستذكار، (تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م)، ٢/ ٤٩٤.
٢-سورة عبس: آية ١-١٢.
٣-سورة القلم: آية ٤.
٤-سورة آل عمران: آية ١٥٩.
٥-سورة التوبة: آية ١٢٨.
٦-القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ- ١٢٧٣م)، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: مصطفى السقا، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ١٩/ ٢١١- ٢١٢.

فأنزل الله: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى)، فكان النبي بعد ذلك يكرمه». وأشار ابن كثير إلى هذه الرواية بالقول: «وأظنه مقحماً والله أعلم»[1].

٣. ظاهر الآية غير دال على توجُّهها إلى رسول الله ﷺ، ولا فيه ما يدلُّ على أنها خطاب موجه له، بل هي خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه، وفيها ما يدلّ –عند التّأمل– على أن المعني بها غير الرسول ﷺ؛ لأنه وصفه بالعُبُوس، وليس هذا من صفاته ﷺ في القرآن ولا في الأخبار، مع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين. وتصديه للأغنياء ليقربهم، ليس هذا من أخلاقه الفاضلة[2]، ولا عجب فالمستشرقون قد اعتادوا التركيز على الجزئيات التي تخدم منهجهم في تشويه صورة الإسلام ورسوله ﷺ، وترك الكليات التي تبين خُلق رسول الله ﷺ وأخلاقه ، ويذهب بعض علماء المسلمين إلى أن هذه السورة نزلت بحق رجل من بني أمية كان حاضراً عند رسول الله ﷺ، فلما أقبل ابن أم مكتوم نفر منه وعبس في وجهه[3].

ثم يسهب المستشرق غابريلي بعد ذلك في وصف شخص رسول الله ﷺ، بما تميز به من الفضائل الأخلاقية، والطيبة واللطف، وصبره غير المتناهي، وتواضعه وكرمه، والشجاعة والإقدام الذي تميز به، وعنايته بالضعيف والمريض، ويضيف: على الرغم من جلال منزلة النبوة، فإن محمداً لم يطمع بأي كسب مادي، ولم يظهر بمظهر الملوك، والسلطة الوحيدة التي نالها محمد هي التوسط والتشفع إلى الله، كشفيع للمؤمنين بطقوسهم الدينية[4].

١-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (تحقيق وتقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ٤/ ٥٠٢.

٢-الشريف المرتضى: أبو القاسم السيد علي بن حسين بن موسى (ت٤٣٦هـ- ١٠٤٥م)، تنزيه الأنبياء، (ط٢، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ص١٦٦.

٣-الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ - ١٠٦٨م)، التبيان في تفسير القرآن، (تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ١٠/ ٢٦٩.

٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية ، ص٦١.

*** سيرة الرسول ﷺ عند مؤرخي الغرب**

حاول غابريلي نقد مؤرخي الغرب الذين تناولوا سيرة رسول الله ﷺ مركزا نقده على مؤرخي العصور الوسطى، إذ يشير إلى أن موقف الغرب كان نقيضاً لموقف الشرق من رسول الله، وان الكنيسة بعد تمكنها من الوثنية، رأت في ظهور الإسلام، وامتداده، وتصاعد تعاليمه الإسلامية، أنه الخطر الأكبر الذي يهدد مكانتها ووجودها، فضلا عن ذلك دخول أعداد من العناصر المسيحية في الإسلام، وتوسع رقعة الدولة الإسلامية، وأصبح قوة تطوق حدود الدول المسيحية، وسيطرتها على عدد من أراضيها في المناطق التي كانت تدين بالمسيحية ومتأصلة في التأريخ، ومن بينها مكان ولادة السيد المسيح نفسه[1].

فصوَّرَ مؤرخو تلك الحقبة أن رسول الله ﷺ قد وجد من الإسلام هرطقة وبدعة، وأن مؤسس الإسلام مرتد عن الديانة المسيحية، هذا ما صورته الكنسية الغربية؛ لأنها رأت في الإسلام ورسوله ﷺ خطراً كبيراً عليها، وتوسع هذا الدين يحدث انشقاقات في الكنيسة، بسبب تعاليمه السمحة، ودعوته إلى تحرر الإنسان؛ لذلك وصفوا رسول الله ﷺ بهذه الأوصاف[2].

حاولت الرواية الغربية -في العصور الوسطى، وفي فترة سيطرة الكنيسة- ربط الإسلام بالديانة المسيحية، بافتراءاتها أن رسول الله ﷺ استمد تعاليم الدين الإسلامي من الديانة المسيحية، ويعزون ذلك إلى لقاءات رسول الله ﷺ مع رهبان مسيح في أثناء سفره إلى بلاد الشام، منهم بحيرا الراهب[3].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٣.

٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٣. (تعليق المترجم).

٣-بحيرا: اسمه جرجيس، راهب نصراني كانت له صومعة في بصرى، من أعمال بلاد الشام على طريق القوافل، مر به رسول الله وهو في سن الثانية عشرة من عمره الشريف مع عمه أبي طالب، فرأى بحيرا بعض ملامح النبوة فيه، وأوصى عمه بحمايته والحفاظ عليه لأنه سيكون له شأن عظيم. ينظر العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي (ت١١٦٢هـ - ١٧٤٩م)، كشف الخفاء ومزيل الالتباس، (ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/ ١٤١؛ مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، ص٦٣٩.

فضلاً عن ذلك فإنه تلقى تعاليم الديانة المسيحية على يد ورقة بن نوفل[1][2]، مستندين بذلك إلى الروايات الإسلامية التي ذكرت أن رسول الله ﷺ في أثناء رحلاته التجارية إلى بلاد الشام، التقى برهبان من النصارى، فقد نقلت الرواية «أن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجراً، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير صب له رسول الله فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلني؟ لا أب لي ولا أم، فرقّ له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبدا، فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، كان هناك راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريبا من صومعته، فصنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك -فيما يزعمون- عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة التي أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم، صغيركم وكبيركم، فاجتمعوا إليه،

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٤.

٢-ورقة بن نوفل: بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عم السيدة خديجة بن خويلد وقيل عمها، تنصّر حتى استحكمت نصرانيته، ثم خرج إلى الشام فمات هناك، وقيل مات بمكة بعد المبعث ودفن فيها. ينظر ابن حبان: الثقات، (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٣٩٣هـ)، ١/ ٥٠؛ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ-٨٩٣م)، أنساب الأشراف، (تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ١/ ١٠٦.

وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم – لحداثة سنه – في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم يرَ الصفة التي يعرف ويجد عنده، قال: يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سناً تخلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من القوم من قريش: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا!، ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام، وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله قال له: لا تسلني باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، قال: سل عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده. فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام»[1].

١-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج١/ ١٢٢ -١٢٤؛ البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ)، ١/ ٢٧-٢٩ ؛ ابن عساكر: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت٥٧١هـ-١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمروي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ٣/ ٥-٦ ؛ ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري (ت٧٣٤هـ-١٣٣٤م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ١/ ٦١-٦٣.

نلاحظ في هذه الرواية الآتي:

١.ان ابن إسحاق يكثر فيها من كلمة (يزعمون)، أو (كما زعم)، والزعم هو الشك في القول[١]، وهذا يعطينا انطباعاً ان الرواية مشكوك في صحتها، كما أن لقاء رسول الله ﷺ والراهب بحيرا كان لقاءً بسيطاً، وعابراً، لم يدم إلا بضع ساعات، إلا أن المستشرقين أرادوا اتخاذه وسيلة لتغيير جذرية الدين الإسلامي ومنبعه، بأن رسول الإسلام كان يتحصل تعاليم دينه من الرهبان المسيح.

وقد رد بعض المؤلفين على هذه الافتراءات الساذجة، وذلك بأن رسول الله ﷺ عند لقائه ببحيرا كان عمره الشريف لم يتجاوز الثانية عشرة بعد، فهل يستطيع من كان بهذا العمر أن يستوعب تلك الحقائق التي تتعلق بالتوراة والإنجيل التي ادعاها أعداء رسول الله ﷺ[٢].

٢.أما ما صرح به القرآن الكريم رداً على زعمهم فهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذي يُلْحدُونَ إِلَيْه أَعجَمِيَّ وَهذا لِسانٌ عَرَبِيّ مُبِيْنٌ﴾[٣].

ويسهب المستشرق في نقل افتراءات المستشرقين في العصور الوسطى الذين ادعوا أن بحيرا، أو ما يسمى لديهم (Serge) قد عمل ضد الكنيسة، وقام بالانشقاق عنها، ويقول غابريلي: «إن محمداً كانوا يسمونه (Mathomus ماثموس، أو Mamutius ميموتيوس، أو Machometis مخموتوس)، وهذه المسميات لم تأتِ من فراغ، أو من اختلاف اللغة بين الشرق والغرب، بل لها معان ومقاصد أخرى، فاسم ميميتوس يعني إله الظلام»[٤]، وعَدّ رسول الله ﷺ ما هو إلا أداة ووسيلة لانتقام بحيرا من الكنيسة، وانه كان مصاباً بالصرع[٥] مستندين في تأويلهم هذا إلى الحالة التي يتعرض لها رسول

١-الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت١٧٠هـ- ٧٨٧م)، العين، (تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ)، ١/ ٣٦٤.
٢-السبحاني: سيد المرسلين ،١/ ٢٣٣.
٣-سورة النحل: آية ١٠٣.
٤-ناجي: عبد الجبار، التشيع والاستشراق، (ط١، المركز الاكاديمي للأبحاث، ٢٠١١، بيروت)، ص١٣٧.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٥.

الله ﷺ من شدة الوحي في أول نزوله عليه، فتنقل الرواية عن عائشة أنها قالت: «كان أول ما ابتدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله، فيتزود لمثلها؛ حتى فاجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد، أنت رسول الله! قال رسول الله: فجثوت لركبتي وأنا قائم، ثم زحفت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة، فقلت: زملوني، زملوني! حتى ذهب عني الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد، أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله، فأتيت خديجة، فقلت لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري، فقالت أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، ووالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت اسمع من ابن أخيك فسألني فأخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ليتني فيها جذع»[1].

ويظهر في هذه الرواية شيءٌ لا يمكن قبوله وهو أنها:

١.تتهم رسول الله ﷺ بشكّه، وجهله بما يلقى إليه، إلا بعد أن طمأنته زوجته السيدة خديجة بنت خويلدﷺ[2]، وورقة بن نوفل، وكأنهم كانوا أكثر إدراكاً، وعلماً بالنبوة، وعلاماتها من رسول الله ﷺ نفسه[3].

١-الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ- ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك (راجعه وصححه وضبطه: نخبه من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، د.ت)،٢/ ٤٧ ؛ ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ- ١٢٠١م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ٢/ ٣٤٩-٣٥٠.

٢-خديجة بنت خويلد: بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية، زوجة رسول الله تلقب أم القاسم، أول من آمن بالرسول وصدقه، كانت عاقلة جليلة دينة، وأفضل أمهات المؤمنين وبشرت بالجنة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٠٩-١١٠.

٣-الحمداني: جمعة ثجيل عكلة، السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق، (ط٢، العتبة العباسية المقدسة- مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، ١٤٤٠هـ-٢٠١٦م)، ص٢٦٣.

٢. هناك اختلاف بين نزول الوحي بوساطة جبرائيل عليه السلام، وبين الوحي المباشر من الله سبحانه وتعالى، فيذكر عن زرارة بن أعين[١] عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه»[٢]. وعن زرارة أيضاً أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله عند نزول الوحي فقال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له، ثم قال تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع»[٣].

ويذهب بعض المفسرين إلى أن سورة المزمل قد نزلت بهذه الحادثة قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[٤]، وقد جاء في تفسير الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ من جبرائيل عليه السلام، ودخل على السيدة خديجة، قال لها زملوني[٥]، وبينما هو كذلك ناداه جبرائيل: «يا أيها المزمل» وقيل معناها: يا أيها الذي زمل أمراً عظيما، أي حمله يعني أثقال النبوة[٦]. لذا فحالات الروع، والخوف -إن وجدت- كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تكن حالات صرع كما صورها المستشرقون، فضلاً عن ذلك فإن بعض المستشرقين قد فنّد ذلك بقوله: «قيل: إن محمدًا كان مصاباً بالصرع، ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي، وكل ما في الأمر هو ما رواه معاصرو محمد، وعائشة منهم، من أنه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه احتقان وجهي فغطيط فغشيان، وإذا عدوت هوس محمد، ككل مفتون، وجدته حصيفا سليم الفكر»[٧].

١-زرارة بن أعين: اسمه عبد ربه، يكنى أبا الحسن، وزرارة لقب له، له روايات كثيرة عن الإمام زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام، وله مصنفات منها: كتاب الاستطاعة والجبر. ينظر الطوسي: الفهرست، (تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ)، ص١٣٤.

٢-المجلسي: بحار الأنوار، ١٨/ ٢٥٦.

٣-المجلسي: بحار الأنوار، ١٨/ ٢٥٦ ؛ العاملي: علي دعموش، السيرة النبوية برواية أئمة أهل البيت، (ط١، دار الهادي، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص٢٢٠.

٤-سورة المزمل: آية ١-٢.

٥-المزمل: من التزمّل، أي لف نفسه بغطائه أو تدثر. ينظر الجوهري: الصحاح، ٤/ ١٧١٨.

٦-الجزائري: السيد نعمة الله (ت١١١٢هـ- ١٧٠٠م)، عقود المرجان في تفسير القرآن، (تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، ط١، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، إيران- قم، ١٣٨٨هـ)، ٥/ ٢٥٩.

٧-لوبون: غوستاف، حضارة العرب (ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر- القاهرة، ٢٠١٢)، ص١١٨.

ويعرج المستشرق غابريلي على الصورة التي رسمها دانتي في مسرحيته الكوميديا الإلهية، وكيف صور رسول الله ﷺ بقوله: «وكان دانتي يراه من بين باذري، وناثري الفضيحة، والعمل المخزي، والشقاق»[١] (حاشاه الله من ذلك).

لذلك وضع دانتي رسول الله ﷺ في الدرك الثامن والعشرين من جهنم، وانه ينهش بيديه في جسمه عقاباً له على ما اقترف من آثام، ومن الادعاءات التي اتهم بها رسول الله ﷺ أنه كان كاذباً نشر تعاليم كاذبة من أجل غرائزه[٢].

ويرد فرانسيسكو غابريلي(Francesco Gabrieli) على ذلك مصوراً الرواية الغربية بأنها مضحكة فيقول: «إنها مضحكة، ودليل الجهل، والبغض والكره الكنسي، وهذا كله كان نتاج العصور الوسطى التي سيطرت عليها المسيحية، والتعصب الديني»[٣]، ويشير أيضا إلى أن عمل دانتي حذف منه الإساءة الخاصة بالعقيدة الإسلامية في النسخ المطبوعة للبلدان الإسلامية فقط، هكذا كان رسول الله ﷺ لدى مؤرخي العصور الوسطى، حتى في الأزمنة الحديثة هناك كتابات تتميز بالحقد، والبغض أمثال هنري لامنس وغيره[٤].

ويكمل المستشرق حديثه متطرقاً إلى آراء الغربيين الحديثة، فبعد أن عَدّ العصور الوسطى شيئاً من الذاكرة، وبدأ التنوير الأوربي برز تقويم جديد لرسول الله ﷺ، واعتبر الدين الإسلامي ديناً موازياً للديانة المسيحية، واتفق المترجمون وكتاب التراجم في العصور الاوربية الحديثة على عرض سيرة رسول الله ﷺ بشكل، وأسلوب آخر، باعتباره رجلا حكيما (Sage) وصاحب شريعة[٥].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٦.
٢-اليجيري: الكوميديا الإلهية، ص٢٦٤-٢٦٥؛ العمارتي: صورة الرسول محمد، ص٣١.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٧.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٨.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٦٩.

ويقدم غابريلي عرضاً لعدد من المؤلفات الغربية التي انتهجت نهجاً علمياً بعيداً عن العصور الوسطى وتأثيراتها[١] حسب قوله، مشيراً إلى المؤرخ الإنكليزي كارليل[٢] في كتابه (عبادة الأبطال)، الذي وصف رسول الله ﷺ -بوصفه مؤسساً للإسلام- بمظهر بطولي، ويعتبر كارليل رسول الله ﷺ ومضة سقطت من السماء لتكون شعلة وهاجة في رمال صحراء الجزيرة العربية التي كانت غير معروفة آنذاك، واستطاع أن يجمع القبائل البدوية الفقيرة في وحدة وقوة صلبة لا تقاوم[٣]، وكذلك يشير غابريلي إلى كتاب (حياة محمد) للمستشرق اشبرنجر[٤]، إذ يعدّه كتاباً علمياً كبيراً فيه فكرة فلسفية عميقة، وأنموذجاً للمادة العلمية المغربلة، ضم العديد من الموضوعات، والمسائل التي تحتاج إلى تفاصيل[٥].

ولكن -وبحسب ما يُنقل عن اشبرنجر في كتابه (حياة محمد)- فإنه يقول: «إن الإسلام مجموعة إلحاد من عمل الشيطان، وإن نبي الإسلام العربي الماكر الوسخ أفاق، وخادع، ولص نياق خليع، وساحر، كان رئيس عصابة من قطاع الطرق، وكان مصاباً بالهستيريا والجنون، مات في نوبة سكر، وأكلت جثته الخنازير [حاشا نبينا من ذلك]، وإن المسلمين مجموعة من الوحوش»[٦].

فلا نعرف كيف اعتبر غابريلي كتاب المستشرق اشبرنجر كتاباً علمياً وأنموذجاً للمادة العلمية الصحيحة، وان مستشرقي عهد التنوير قد انتهجوا نهجاً علمياً؟!.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٧١.
٢-توماس كارليل (١٧٩٥-١٨٨١م): مؤرخ إنكليزي درس اللاهوت ثم تحول لدراسة القانون، كتب في الأدب والفلسفة واهتم بالبطولات والقيادة السياسية الفردية الداعية للإصلاح هم مؤلفاته (عبادة الأبطال). ينظر العقيقي: المستشرقون، ٢/ ٤٨١ ؛ مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة، ص٢٦٢٦.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٧١.
٤-اشبرنجر: مستشرق نمساوي الأصل إنكليزي الجنسية ولد عام ١٨١٣م، درس الطب واللغات الشرقية، عين عميدا للكلية الإسلامية في دهلي، من مؤلفاته: حياة محمد، ترجمة لمروج الذهب، تاريخ محمود الغزنوي وغيرها. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين: ص٢٨.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٧٢-٧٣.
٦-النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية، ص٢٩.

ويعدّ غابريلي كتاب المستشرق جريم[1] عن رسول الله ﷺ من السير النظامية، والمرتبة، ودراسته يغلب عليها الجانب الاجتماعي بتحليله ان المشاكل الاجتماعية، والتوزيع غير العادل للثروة دفعت برسول الله ﷺ إلى قلب الأوضاع في بيئته، ويعلق أيضا ان هذا الطرح يحتوي على شيء من الحقيقة، إلا أن الأبحاث الدينية الحديثة رفضت هذا الطرح، أو قللت من شأنه[2].

وعليه فنحن نرفض هذه الفكرة التي بنى جريم عليها كتابه؛ لأنه يصور رسول الله ﷺ كقائد ثوري قام بانقلاب في مجتمعه نظراً للظروف الاقتصادية، والاجتماعية لهذا المجتمع، وليس بوصفه نبيا مرسلا من الله سبحانه وتعالى صاحب رسالة سماوية، وكتاب منزل، فإذا سلمنا لنظرية جريم أو دراسته، فإننا بهذا نجرد رسول الله ﷺ من النبوة.

ويحاول غابريلي عكس وجهات النظر الحديثة التي يصرح بأنها قد تغيرت وأصبحت سيرة رسول الله ﷺ ينظر إليها من خلال منهج علمي، وقدمت شخصيته بأسلوب آخر!.

نعم قد حدث ذلك، ولكن هذا المنهج العلمي الذي يتحدث عنه تجاوز كلمات السب، والشتم فقط، فلا يقين لدى المستشرقين في كتب السيرة، وما يزال اعتمادهم على الشواهد التاريخية الشاذة، والضعيفة، والتحليلات والاستنتاجات غير الدقيقة، وغير الموضوعية، فضلاً عن التعصب والتحامل في النقل الذي لم يتجردوا منه.

١-هيوبرت جريم (١٨٦٤-١٩٤٢م): أستاذ متخصص باللغات الشرقية في المانيا، من أهم أعماله: محمد، وترجمة القرآن، وعرب الشام قبل الإسلام، والإسلام واليهودية وغيرها. ينظر العقيقي: المستشرقون، ص٧٦٠.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص٧٣.

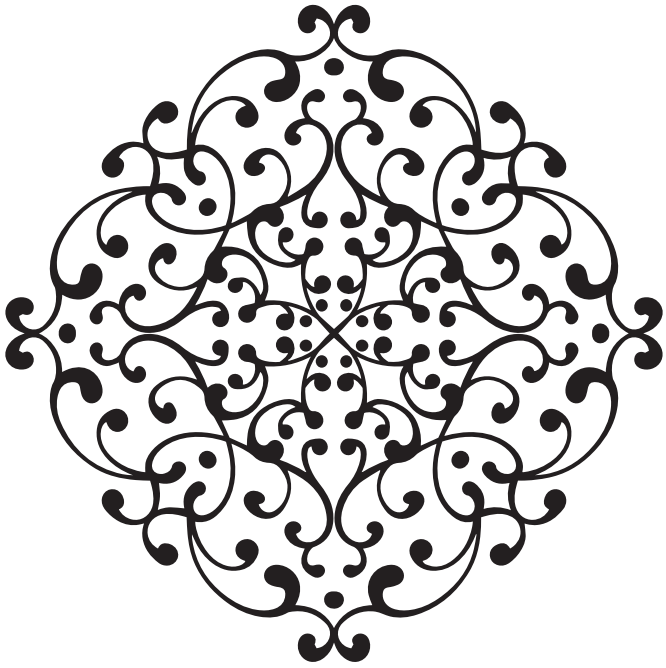

المبحث
الثاني

حياة رسول الله ﷺ في مكة المكرمة

*** مولده ونسبه الشريف**

يتحدث غابريلي عن مولد رسول الله ﷺ فيقول: «ولكن لم يتحدد بالضبط في أي سنة كانت ولادته، غير أن الحديث الشريف، وما هو معروف جعل سنة ولادته تطابق عام الفيل»[١]. ونلاحظ أن المستشرق يستخدم منهج التشكيك في ولادة رسول الله ﷺ، وان أغلب المصادر، وكتب السيرة اتفقت أن ولادته في عام الفيل سنة ٥٧٠ للميلاد[٢].

ويعترض المستشرق غابريلي على الرواية، أو كما يسميها الأسطورة التي أحاطت مولد رسول الله ﷺ منها اهتزاز الأرض، وانطفاء النار المقدسة في الإيوان الفارسي، وغيرها من العلامات[٣]. وروي أن رسول الله ﷺ لما ولدته أمه خرج منها نور أضاء قصور الشام، وسقطت أربع عشرة، أو ثلاث عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي كان يعبدها المجوس، وانهدمت عدة كنائس في العراق[٤].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١١٩.

٢-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ١/ ٩٩؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ١٠٣؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٠١؛ ابن أبي عاصم: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت٢٨٧هـ- ٩٠٠م)، الآحاد والمثاني (تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١، دار الراية، الرياض،١٤١١هـ-١٩٩١م)، ١/ ٣٥٥؛ الطبري: تاريخ الطبري، ١/ ٥٧١؛ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ- ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م)، ٢/ ٢١٥ ؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ - ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، (دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، ١/ ٤٥٨ ؛ الندوي: السيد أبو الحسن علي الحسني (ت١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، السيرة النبوية، (تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، ط١٢، دار ابن كثير، دمشق – سوريا، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص١٥٧؛ السبحاني: سيد المرسلين، ١/ ٢٠٣؛ تاج الدين: الشيخ مهدي، المجالس الزاهرة في النبي والعترة الطاهرة، (مؤسسة دار الأنصار- قم د. ت)، ص١٦.

٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٠.

٤-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٨ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٦٦ ؛ أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ - ١٣٣٢م)، المختصر في أخبار البشر، (ط١، المطبعة الحسينية، مصر، د.ت)، ١/ ١١٠ ؛ الصالحي: محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ - ١٥٣٥م)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م)، ١/ ٣٤١؛ المباركفوري: صفي الرحمن، الرحيق المختوم، (دار إحياء التراث، د.ت)، ص٤٥.

وهذه الروايات أنكرتها أيضا بعض المصادر العربية والإسلامية، وعدّتها حديثا غريبا ومنكرا[١]، وانه لا أصل لها في كتب الإسلام المعتمدة[٢]، وهي لا تخلو من الإسرائيليات[٣] الموضوعة في المصادر العربية والإسلامية، فهل هناك دليل يثبتها؟، وان أغلب المصادر التاريخية قد اختلفت في تحديد يوم مولد رسول الله ﷺ، فكيف عرفوا اليوم الذي حدثت فيه هذه المعجزات؟، فضلاً عن ذلك فلم نسمع أن رسول الله ﷺ قد تحدث عن ذلك في حواراته، أو مجادلاته، أو في محاولاته لإقناع غير المسلمين للدخول في الإسلام، ولم نسمع عن قريش أن تحدثوا بذلك[٤].

وينقل غابريلي كلاماً متناقضاً فيقول: «كان من نسب بسيط، ومتواضع [يعني رسول الله]، لكنه ليس مجهولاً، وانه ذو أصل ونسب رفيعين، رأى النور حوالي ذلك التاريخ المذكور آنفا في قبيلة قريش التي قد حظيت ولعدة أجيال بالسيطرة على مكة، وسدانة الموضع المقدس فيها، وفرع من القبيلة (الهاشميون)»[٥].

هنا يحاول المستشرق التقليل من نسب رسول الله ﷺ باستخدامه عبارة «نسب بسيط ومتواضع»، فنسبه من خير الأنساب ويرتبط بخير الأنبياء، ومما يُنقل عن الجاحظ في كلامه عن هذا النسب الشريف قال: «ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلي العالم، والسنام الأضخم، والكامل الأعظم، ولباب كل جوهر كريم، وسر كل عنصر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم»[٦]. فنسب رسول الله ﷺ هو:

١-الذهبي: تاريخ الإسلام، (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، ١/ ٣٨.

٢-ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٤٠٢.

٣-الإسرائيليات: جمع لمفردة إسرائيلية، وهي حادثة أو قصة تُنقل من مصدر إسرائيلي. ينظر الذهبي: محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، (مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت)، ص١٣.

٤-الحمداني: السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق عليه السلام، ص١٧٥-١٧٦.

٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٠.

٦-ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م)، ١/ ٤.

١. «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب: شيبة بن هاشم واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف: المغيرة بن قصي واسم قصي: زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة: عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد[١] ويقال: أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام»[٢].

٢. أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب[٣]، ووهب كان سيد بني زهرة وكبيرها[٤].

٣. أما جده عبد المطلب فقد كان سيداً شريفاً مطاعاً في قومه، وكان يتولى السقاية والرفادة في مكة، وكانت قريش تسميه الفيض لسماحته وكرمه[٥]، وما يذكر عن عبد المطلب بن هاشم أنه كان من حلماء مكة وحكمائها، وكان يحمي الجار، ولما حدث اعتداء وقُتل تاجر يهودي بمكة، كان جاراً لعبد المطلب، قام عبد المطلب بالبحث والتفتيش عن قاتله، فعلم أن حرب بن أمية[٦] هو من قتله، فطلب بدم جارهِ اليهودي، فامتنع حرب عن ذلك، فتنافرا عند نفيل بن عبد العزى[٧] فقال: «يا أبا عمرو! -يعني حرب بن أمية- أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم منك وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً وأجزل منك صفدا، وأطول مذودا»، فحكم لعبد

١-ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ - ٨١٩م)، جمهرة النسب، (تحقيق: الدكتور ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، ص١٧-٣٠ ؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٥٥؛ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ - ١١٥٣م)، اعلام الورى بأعلام الهدى، (تعليق: علي أكبر الغفاري، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، ١/ ٤٣؛ الأمين: السيد محسن، أعيان الشيعة، (تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ١/ ٢١٨.

٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ١.

٣-الطبرسي: اعلام الورى بأعلام الهدى، ١/ ٤٥.

٤-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ١/ ٩٤.

٥-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٦٦.

٦-حرب بن أمية: بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، والد أبي سفيان وأم جميل زوجة أبي لهب التي نزلت فيها آية حمالة الحطب. ينظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٤٩؛ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ - ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ٦/ ١٥٧.

٧-نفيل بن عبد العزى: نفيل بن عبد العزى بن رياح، من بني عدي بن كعب، من قريش، جد عمر بن الخطاب كان من قضاة العرب في الجاهلية، كانت قريش تتحاكم إليه في خصوماتها. ينظر الزبيري: نسب قريش، ص٣٤٧.

المطلب بالأمر[1].

وذهبت بعض المصادر إلى عَدّ عبد المطلب من الموحدين الذين لم يعبدوا الأصنام، فينقل عن عبد المطلب لما حضرته الوفاة قال لأبي طالب يوصيه برسول الله ﷺ: «يا أبا طالب، اُنظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولا ذاق شفقة أُمّه، اُنظر يا أبا طالب، أن يكون من جسدك بمنزلة كبدك، فإنّي قد تركت بنيّ كلّهم وأوصيتك به؛ لأنّك من أُمّ أبيه، يا أبا طالب، إن أدركت أيّامه فاعلم أنّي كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي، يا أبا طالب، ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه، ولا أُمّه على حال أُمّه فاحفظه لوحدته»[2]. وقال الإمام علي عليه السلام: «والله ما عبد أبي، ولا جدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت، على دين إبراهيم عليه السلام متمسّكين به»[3]، وذكره الإمام الصادق عليه السلام فقال: «يُبعث عبد المطّلب أُمّة وحده، عليه بهاء الملوك، وسيماء الأنبياء، وذلك أنّه أوّل مَن قال بالبداء»[4].

٤. كان عمه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة، وكان عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، فسُئل يوماً أكثم بن صيفي[5] حكيم العرب: «ممن تعلمت الحكمة؟ فقال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب، أبي طالب بن عبد

١-ابن حبيب: محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ - ٨٦٨م)، المنمق في أخبار قريش، (تعليق: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ص٩١-٩٢ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١٥.

٢-الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ - ٩٩١م)، كمال الدين وتمام النعمة، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ش)، ص١٧٢.

٣-الكليني: محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ - ٩٤١م)، الكافي، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ)، ١/ ٤٤٠.

٤-الشيخ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص١٧٤.

٥-أكثم بن صيفي: من المعمرين، أدرك البعثة النبوية، وكان من حكماء العرب وله حكم وبلاغات كثيرة. ينظر الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السَّلام الحارثي (ت٤١٣هـ - ١٠٢٢م)، الفصول العشرة، (تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ص٩٧.

المطلب»[1]، فهو من بيت من سادة العرب وقريش.

حاول المستشرق أن يصور طفولة رسول الله ﷺ على أنه كان حزيناً، وكئيباً مدة طفولته بسبب فقد والديه فيقول: «ووالده قد توفي قبل مولده حينما كان بعيداً عن مدينته في رحلة تجارية، وحينما بلغ الطفل من العمر ست سنوات فقد والدته أيضاً، وتعهد بتربيته والعناية به جده لأبيه عبد المطلب أولاً، ثم تعهده عمه أبو طالب، ويبدو أن كليهما قد رعيا الصبي بحنان دافق، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الحزن أو الكآبة (sadness) لطفل وشاب يتيم قد أحاطتا السني الأولى من حياة محمد، وان إشارة مؤثرة من هذا قد بقيت في آية من سور القرآن الأولى سورة الضحى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**﴾[2]، فإن هذه العبارات الموثقة تعطينا رؤية ثاقبة عن مدى حزن (استخدم المؤلف كلمة unhappy) أو تعاسة شباب النبي أكثر مما تعطيه أي زخرفة لسير القديسين»[3].

ومما ذكر في تفسير هذه الآيات أن الله سبحانه وجدك يتيماً، فآواك بحب جدك عبد المطلب إليك، ومن بعده عمك أبي طالب الذي أحبه أكثر من أبنائه، ووجدك ضالاً يعني عن الشرائع فعلمك إياها، ووجدك عائلاً أي فقيراً فأغناك الله سبحانه بمال السيدة خديجة عليها السلام، أو ما أفاء عليك من الغنائم[4]. يُنقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: قال الله تعالى لنبيه: ألم يجدك يتيماً فآوى يعني ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس؟ ووجدك ضالاً يعني عند قومك فهدى أي هداهم إلى معرفتك؟ ووجدك عائلاً فأغنى أي أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً؟[5].

١-القمي: الشيخ عباس (ت١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م)، الكنى والألقاب، (تقديم: محمد هادي الأميني، ط٥، مكتبة الصدر، طهران، ١٣٥٩هـ)، ص١٠٨-١٠٩.
٢-سورة الضحى: آية ٦-٨.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢١.
٤-الطبرسي: تفسير جوامع الجامع، (تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٢٠هـ)، ٣/ ٨٠١.
٥-الطباطبائي: السيد محمد حسين (ت١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، تفسير الميزان، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة)، ٢٠/ ٣١٢.

حاول المستشرقون أيضاً رسم حالة الحزن، والكآبة في شخصية رسول الله ﷺ بسبب يتمه ليبرروا تصوراتهم، أو التهم التي حاولوا إلصاقها به ﷺ بأنه كان مصاباً بالصرع (حاشا رسولنا الكريم عن ذلك).

*** موطنه قبل البعثة الشريفة**

ثم يعرج غابريلي على الحديث عن مكانة مكة المكرمة في شبة الجزيرة العربية فيذكر أنها كانت لها قدسية خاصة بسبب وجود الكعبة المشرفة، والحجر الأسود، فضلاً عن ذلك الأوثان التي كانت تُعبد، منها الأوثان الرئيسة وهي (اللات، ومناة، والعزى)، والأوثان الثانوية الأخرى[1]، وبمعزل عن الأوثان التي كانت تعبد، فقد جاءت قدسية مكة من أنها بيت الله الذي يعبد فيه هو لا غيره، وبذلك خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه آدم عليه السلام قائلاً: «انا الله ذو بكة[2]، أهلها جيرتي، وزوارها وفدي، وأضيافي أعمره بأهل السماء، وأهل الأرض، يأتونه أفواجا شعثا غبرا، يعجون بالتكبير والتلبية، فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني، وهو وفد لي، ونزل بي، وحق لي أن أتحفه بكراماتي، أجعل ذلك البيت وذكره، وشرفه ومجده، وسناه لنبي من ولدك يقال له إبراهيم، أبني له قواعده، وأجري على يديه عمارته، وأنبط له سقايته، وأريه حله وحرمه، أعلمه المشاعر، ثم تعمره الأمم والقرون حتى ينتهي إلى نبي من ولدك يقال له: محمد وهو خاتم النبيين، فأجعله من سكانه وولاته»[3].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢١.

٢-بكة: هو موضع بناء البيت الحرام، ومكة كل ما حول البيت الحرام، وسميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضا في الطواف، أي يدفع بعضهم بعضا بالازدحام، وقيل لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة الذين ألحدوا فيها. ينظر الفراهيدي: العين، ٥/ ٢٨٥ ؛ البرسي: رضي الدين رجب بن محمد بن رجب الحلي (ت٨١٣هـ- ١٤١٠م)، مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين، (تحقيق: العلامة السيد علي عاشور، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، ص١٢٥.

٣-الراوندي: قطب الدين (ت٥٧٣هـ - ١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، (تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ)، ١/ ٨٠.

وجغرافياً فإن مكة تقع بين جبال عظام، وهي أبو قبيس الجبل الأكبر الذي تشرق منه الشمس على البيت الحرام، وجبل قيقعان، وجبل فاضح، وجبل المحصب، وجبل ثور، وحراء، وثبير، وتفاحة، والمطابخ، والفلق، والحجون، وسقر[١].

فضلاً عن ذلك فإن التجارة أيضاً رفعت من مكانة مكة، وشهرتها، وتوجه قوافل الشمال من مناطق بلاد الشام إليها، ومن الجنوب حيث مناطق اليمن[٢].

ويصف المستشرق غابريلي التركيبة أو البنية الاجتماعية لمجتمع مكة، فيذكر أنها كانت تطغى عليها المصالح الاقتصادية؛ لكونها العامل الرئيس في حياة مكة، وبسبب ذلك برزت فئة من الأغنياء، أو الأثرياء، وهذه الفئة، أو الطبقة الثرية أنتجت حالة عدم التوازن في المجتمع المكي[٣].

ويشير غابريلي إلى أن التركيبة الاجتماعية للعرب، ولا سيما للمجتمع المكي والطبقية بين أبنائه هي الدافع الأساس للرسالة المحمدية وذلك في قوله: يجب أن لا نتجاهل، أو نقلل من هذه العوامل[٤].

وقد تطرقنا في كلام سابق لآراء المستشرقين في السيرة، واشرنا إلى ميول المستشرق غابريلي لنظرية جريم التي تعزو، أو تصور الرسالة الإسلامية كثورة اجتماعية ضد الطبقية، وعدم المساواة في المجتمع المكي بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية بين طبقاته، وللرد على هذا الرأي:

١. نلاحظ أن هذه الدراسة، أو النظرية استهوت العديد من المستشرقين الذين نادوا بها، لطعن الرسالة السماوية، وتشويهها، وتجريد شخص رسول الله ﷺ من خاصية النبوة التي خصّه الله تعالى بها.

٢. جاء المستشرقون بهذا الأمر من جوانب عدة، فمثلاً يفسر أحد المستشرقين إسلام

١-اليعقوبي: البلدان، (وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت)، ص١٥٣.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢١.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٢.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٢.

الأنصار، واتباعهم دين رسول الله ﷺ بسبب معاداتهم للمرابين، والدائنين من قريش الذين كانوا يستغلونهم بقروض طويلة الأمد[١]، فهم بتصورهم، أو تحليلهم الهزيل هذا يعكسون تفكير مجتمعاتهم، وأبناء جلدتهم على مجتمعات وشعوب أخرى، تختلف عنهم في الصفات والقيم والمبادئ، ولم يحسبوا حساب اختلاف الأزمنة، فذهبوا وراء منطقهم الغربي، وخيالهم المادي، وهو تعامل مستمد من فكر كارل ماركس[٢] الذي يلغي ما للقيم الروحية، والأخلاقية من أهمية في حراك التاريخ الإنساني، وتطور الأحداث التاريخية في حياة المجتمعات البشرية[٣].

٣. محاولة تصوير رسول الله ﷺ بطابع الروح الاشتراكية، وجعله اشتراكياً، وان الاشتراكية الإسلامية ليست كالاشتراكية الحديثة، فالاشتراكية ثمرة من ثمار الرسالة الإسلامية، وليست الرسالة الإسلامية ثمرة الاشتراكية[٤].

٤. المجتمع ليس ظاهرة مادية فحسب، كذلك هو ظاهرة معنوية؛ لأن المجتمع يبنى على عقيدة توجه حياة أفراده، فالفرد الذي يُنشئ الحضارات، ويعمر الكون، ويعطي الحياة، كائن ذو عقيدة، له منهج في حياته الدنيا، فلا حياة من دون عقيدة[٥]، لذلك فرؤية رسول الله ﷺ للحياة، والكون، والإنسان رؤية عقلانية، فتحت آفاقاً واسعة أمام المجتمع من أجل الارتقاء الحضاري، وهذه الرؤية لا يجب أن تكون مغلقة؛ لأن انغلاقها يعني موتها، لذلك بقيت مفتوحة زمانياً، ومكانياً، وإحياء النشاط الفكري

١-الكعبي: صورة أصحاب الكساء، ص١٦١.
٢-كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م): ولد من أبوين يهوديين كانا قد اعتنقا البروتستانتية، درس الفلسفة في جامعة بون، ثم زج نفسه في العمل الاجتماعي، والسياسي، فكان صحفيًا وداعية للثورة ثم اعتنق المادية، حاول أن ينظم إلى الحزب الاشتراكي في ألمانيا، ولكنه اضطر أن يلجأ إلى لندن حيث دوّن كتبه الكبرى هناك وهي: نقد الاقتصاد السياسي، نداء إلى الطبقات العاملة في أوربا، وكتابه الأشهر رأس المال. ينظر كرم: يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، (مطبعة كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢)، ص٤٢٦.
٣-الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٥١.
٤-الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، ص٥١.
٥-الصدر: السيد محمد باقر، أهل البيت ﷺ تنوع أدوار ووحدة هدف، (تحقيق: عبد الرزاق الصالحي، ط٢، دار الهدى، قم، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص٢١-٢٢.

للفرد المسلم ليضيف ويغني الحياة[1].

وبهذا ترسخت عقيدة الإسلام، وأصبح أبناؤها همهم الوحيد هو نشر هذا الدين إلى أبعد البقاع، فرسالة الإسلام لم تكن موجهة للجزيرة العربية فقط، وإنما هي رسالة عالمية شمولية.

٥. ان رسول الله ﷺ بعد زواجه من السيدة خديجة، أصبح من كبار تجار قريش؛ بسبب ثروة السيدة خديجة، ومكانتها الاجتماعية، والتجارية في مكة، فكيف برسول الله ﷺ أن يثور ضد هذه الطبقة وهو جزء منها، فضلاً عن ذلك فإن الذين دخلوا في الدين الإسلامي الجديد في بواكير دعوته كان بعضهم من طبقة التجار أمثال أبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان.

*** حياته ﷺ**

حاول غابريلي أن يُصور أن رسول الله ﷺ كانت له اتصالات برهبان في أثناء رحلاته التجارية إلى مناطق بلاد الشام فيقول: «وفوق ذلك كله فقد جمع خبرات واتصالات أثناء رحلاته مع القوافل التجارية التي كان لها بعد مدة طويلة من التأمل الذهني تأثير حاسم عليه ... وكانت له محادثات مع رهبان ونساك النصارى ومنذئذ فإن شيئاً من الديانة الجامعة التي تعد أسمى وأكثر تعقيداً من شرك قومه قد استحوذ على عقله وتصوره في هذه المرحلة المبكرة ثم تنامت ونضجت بعد ذلك»[2].

وهنا يشير المستشرق غابريلي إلى رحلتي رسول الله ﷺ إلى بلاد الشام، الأولى: كانت مع عمه أبي طالب، وكان عمره الشريف آنذاك تسع سنين، أو اثنتي عشرة سنة، ولقائه ببحيرا الراهب[3]، التي أشرنا لها سابقاً، والرحلة الثانية: خرج بها في تجارة للسيدة

١-مجموعة من المؤلفين: فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم، (ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ص٥٦٥-٥٦٦.

٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٣.

٣-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج١/ ١٢٢ -١٢٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ١/ ٥٠-٥١ ؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٣/ ٥-٦.

خديجة عليها السلام مع غلامها ميسرة[١]، وكان عمره الشريف حسب الروايات ما يقارب خمساً وعشرين سنة، وعندها رآهُ نسطور الراهب[٢]، وأخبر ميسرة أن هذا الشاب سيكون نبياً[٣]. وهنا يبني غابريلي معطياته لربط الرسالة المحمدية بأصول نصرانية أو يهودية:

١. إن هذا الربط نجده لدى أغلب المستشرقين أمثال لامنس الذي عد الإسلام تكيفاً عربياً للوحدة التوراتية[٤]، وارفنج[٥] الذي شدد على تأثيرات الديانة اليهودية والنصرانية في أفكار رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

٢. تبنى المستشرقون هذا المنهج في كتاباتهم عن السيرة النبوية الشريفة؛ لأن معظمهم كان من طبقة رجال الدين، ومن متعلمي المدرسة الدينية، فعندما يتحدثون عن الإسلام يحاولون ربطه بالديانة المسيحية، والمستشرقون من اليهود كذلك -وبدعم من الصهيونية أيضا- يردّون كل ما هو إسلامي وعربي إلى أصل يهودي[٧].

٣. تطرقنا إلى رواية سفر رسول الله صلى الله عليه وآله الأول إلى بلاد الشام برفقة عمه أبي طالب، وكيف أن الراهب بحيرا حذر أبا طالب من محاولة اليهود والنصارى قتله صلى الله عليه وآله، وتخوف عمه، والرجوع به إلى مكة، فكيف -إذن- سمح أبو طالب بعد ذلك بذهابه في تجارة السيدة خديجة إلى بلاد الشام مع ميسرة غلام خديجة؟، ألم يفكر بسلامة ابن أخيه صلى الله عليه وآله

١-ميسرة خادم السيدة خديجة بنت خويلد، خرج مع رسول الله إلى الشام في سفرته التجارية الثانية، وأخبره الراهب النصراني عن نبوة محمد عندما رآه، وأخبر ميسرة السيدة خديجة بما حدث في سفرهم. ينظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ٦١/ ٣١٥-٣١٧؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، (تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ص٤٣.

٢-نسطور: راهب مسيحي في أحد الأديرة في طريق الشام، رأى رسول الله في سفرته التجارية الثانية بتجارة السيدة خديجة، ودار حوار بين هذا الراهب وميسرة غلام خديجة عن أحوال النبي محمد، وأخبر ميسرة أن هذا الشاب هو النبي المرسل. ينظر المسعودي: التنبيه والاشراف، (دار صعب، بيروت، د. ت)، ص١٩٧.

٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٠٤ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٥.

٤-الكعبي: صورة أصحاب الكساء، ص١٦٥؛ للمزيد ينظر العمارتي: السيرة النبوية في كتاب الإسلام عقائد ونظم، (مجلة دراسات استشراقية، العدد٨، سنة ٢٠١٦)؛ بزاينيه: حسن، نقد مقدمات الأب لامنس النقدية لكتابة السيرة النبوية، (مجلة دراسات استشراقية، العدد١١، سنة ٢٠١٧).

٥-ارفنج واشنطن (١٧٨٣-١٨٥٩م): ولد في مدينة نيويورك وفي سن مبكر اهتم بقراءة القصص الخيالية، وقد جعل أعماله الخيالية القصيرة قالباً أدبياً واعياً، وقد تجاوزت مؤلفاته التسعة عشر مؤلفاً ومن مؤلفاته: حياة محمد. ينظر الزهو: سامي أحمد، الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية ارفنج أنموذجا، (رسالة ماجستير مقدمة لمجلس كلية التربية – جامعة تكريت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ص٦٨-٩٠.

٦-الزهو: الاستشراق الأمريكي في السيرة النبوية، ص١٣٦.

٧-خليل: عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، (ط١، دار ابن كثير، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م)، ص٣٣.

الذي كان يحبه حباً جماً؟.

٤. في كلتا الروايتين التي ذكرت سفر رسول الله ﷺ كانت تظلله غمامة لوقايته من حرارة الشمس[١]، بينما لم نسمع، أو تنقل لنا أي رواية أخرى عن وجود هذه الغمامة خلال سفراته الأخرى، أو حتى أثناء هجرته من مكة الى المدينة[٢].

*** زواجه ﷺ بالسيدة خديجة عليها السلام**

أما عن زواجه بالسيدة خديجة عليها السلام فيوضح المستشرق أن الشاب الهاشمي الذي امتاز بالأمانة والصدق، والذكاء، وحسن تدبيره في إدارة الثروة التي عهدت إليه، كسب ودَّ السيدة خديجة التي كانت تكبره ببضع سنين فعرضت عليه الزواج، وتعدّ السيدة خديجة عليها السلام المرأة الأولى التي حظيت بمكانة دائمة في قلب رسول الله ﷺ، وأكثر نسائه تعاطفا معه[٣].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه: ليس سفر رسول الله ﷺ في تجارة السيدة خديجة، وتحقيقه أرباحاً مضاعفة هو السبب الوحيد في زواجها منه، فهو ابن مكة ومعروف في أوساطها بصدقه، وأمانته، وعفته، وعلو نسبه، وهذه الصفات تجعل كل امرأة كريمة وعفيفة ترغب بالارتباط والزواج به، وفوق كل هذا التدبير والعناية الإلهية في إتمام هذا الزواج.

لقد دعمت السيدة خديجة عليها السلام دعوة رسول الله ﷺ، وشجعته، وكانت له خير سند طيلة المدة التي كانت معه، وكانت أول من أسلم، وقد توفاها الأجل قبل الهجرة المباركة، وبقيت هي السيدة الوحيدة التي نالت أكثر عطفه واحترامه[٤]، فعن مكانتها، ومنزلتها يذكر عن أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير نسائها السيدة مريم عليها السلام، وخير نسائها السيدة خديجة عليها السلام»[٥].

١-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٢ – ٣٥.
٢-الحمداني: السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق، ص٢٠٧.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٣.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٤.
٥-البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ - ٨٧٠م)، صحيح البخاري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ٤/ ٢٣٠.

وينقل عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت لأبيها: «والله يا رسول الله لا ينفعني عيشي حتى تسأل الملك جبريل عليه السلام عن أمي، فسأله، فقال: هي بين مريم وسارة في الجنة»[1].

وعن السيدة عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكر السيدة خديجة عليها السلام أثنى، وأحسن الثناء عليها، فغرت وقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيراً منها!! فقال: ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني أولادها إذ حرمني أولاد النساء»[2].

*** نزول الوحي**

يعرج بعد ذلك المستشرق (فرانشيسكو غابريلي) Gabrieli Francesco على بداية الوحي في سن الأربعين لرسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: «وأثناء إحدى المناسبات عندما اعتزل للصلاة والتأمل في غار حراء الذي كان يقع خارج مكة المكرمة، هناك ظهر له وبصورة متكررة كائن غير طبيعي، وهو الذي سمّاه بعد ذلك الملك جبرائيل عليه السلام الذي أمره أن يقرأ نصاً مقدساً، في تمجيد الله الخالق وشكره»[3].

ويوضح غابريلي تعاليم الإسلام التي نزل بها القرآن الكريم، وهي عبادة الله الواحد الأحد، والوعد والوعيد، والصدق، والأمانة، وتجنب الكذب، والنفاق، والرذيلة[4]، فبدأت دعوته بهذه الأفكار الموحدة، والبسيطة، فآمن به الأقربون، وهم زوجته السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام، وابن عمه الشاب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن حارثة[5]،أبو بكر[6].

١-محب الدين الطبري: أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ - ١٢٩٥م)، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، (تحقيق: محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، د. ت)، ص٤١.
٢-محب الدين الطبري: السمط الثمين، ص٤٢.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٥.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ١٢٥-١٢٦.
٥-زيد بن حارثة: بن شراحيل الكلبي، ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أوائل المسلمين، سمي زيد بن محمد، وهو الصحابي الوحيد الذي ذكره الله في القرآن الكريم، عقد له لواء معركة مؤتة في سنة ٨ هـ واستشهد فيها مع جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة. ينظر خليفة بن خياط: طبقات خليفة، ص٣٢؛ ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي (ت٢٨١هـ-٨٩٤م)، الإخوان، (تحقيق: محمد عبد الرحمن طوالبة، دار الاعتصام، د.ت)، ص١٥٢؛ المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ-١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت—لبنان، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ١٠/ ٣٦.
٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٦-١٢٧.

ويشير المستشرق غابريلي Francesco Gabrieli إلى ورقة بن نوفل فيقول: «فقد مارس تأثيراً مهماً على تفكير محمد الديني»[1]. وهنا يعود غابريلي إلى النغمة التي لازمت المستشرقين أمثاله في ربط الديانة الإسلامية بالديانات المسيحية واليهودية، وانه قد تعلم من رهبان، وقسيسين نصارى، وأصل الرواية هي «عن السيدة عائشة أنها قالت: كان أول ما ابتدئ به رسول الله محمد ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله، فيتزود لمثلها؛ حتى فاجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد، أنت رسول الله! قال رسول الله: فجثوت لركبتي وأنا قائم، ثم زحفت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة، فقلت: زملوني، زملوني! حتى ذهب عنى الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد، أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله»[2]. «ثم قال اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتني [فغطني] ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد وقال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ فأتيت خديجة فقلت: لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها وخرج في طلب الدين، وقيل قرأ التوراة والإنجيل وتنصّر وقالت: اسمع من ابن أخيك فسألني فأخبرته خبري فقال: هذا الناموس الذي نزل على نبي الله موسى عليه السلام يعني الملك جبريل عليه السلام ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قلت: أو مخرجي هم، قال: نعم إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودي، ولئن يدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً»[3].

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٧.
٢-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٩٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٢/ ٣٤٩-٣٥٠.
٣-ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ - ٨٨٩م)، المعارف، (تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د. ت)، ص٥٩ ؛ الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ-١٠٥٨م)، أعلام النبوة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٢٠٢.

ويجب التوضيح هنا:

١.ان رسول الله ﷺ كان يعلم أنه نبي منذ صغره، فقد ورد في خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيما، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله، ونهاره، وقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، ويرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به»[١]، فكلام أمير المؤمنين عليه السلام دليل واضح أن رسول الله ﷺ كان موكلاً به ملك من الله منذ صغره.

٢.ينقل عن رسول الله ﷺ أنه سُئل: متى وجبت لك النبوة؟ فأجاب: منذ أن خلق آدم، ونفخت فيه الروح[٢]. فرسول الله ﷺ يعلم أنه نبي مرسل قبل نزول الوحي.

٣.ان بعض الكتب التاريخية أكدت أن ورقة بن نوفل لم يكن نصرانياً، وإنما متبحر في كتب التوراة والإنجيل، وأنه كره عبادة الأوثان، وطلب الدين في الآفاق، وقرأ الكتب، وأن (الأحناف)[٣] كانوا يقرأون الكتب، ويعرفون اللغات، ومنهم ورقة بن نوفل، وكان قد قرأ الكتب السماوية وتبحر فيها[٤].

٤.ان رسول الله ﷺ قد التقى بالملك جبرائيل عليه السلام منذ أن كان عمره سبعا وثلاثين سنة، فقد كان ينادى عليه في المنام يا رسول الله، وكان يوماً بين الجبال يرعى غنم عمه أبي طالب، فأتاه رجل فقال له: «يا رسول الله، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الملك جبرائيل، أرسلني الله إليك ليجعلك رسولا»، فاستمر بالنزول، وعلمه الوضوء، والركوع،

١-الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦هـ - ١٠١٥م)، نهج البلاغة، (تحقيق: قيس بهجت العطار، ط١، العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٧هـ)، ص٤٦٠-٤٦١ ؛ العواد: انتصار عدنان عبد الواحد، السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام، (ط٢، دار الفيحاء للطباعة والنشر، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص٤٢٣.

٢-ابن حبان: الثقات، (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٣٩٣هـ)، ١/ ٤٧ ؛ الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ - ١٠١٤م)، المستدرك على الصحيحين، (تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ت)، ٢/ ٦٠٩.

٣-الأحناف: حنف أي اعتزل عبادة الأصنام، وهم الذين كانوا على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام، لم يشركوا مع الله أحدا، ولم يكونوا على ديانة اليهود أو النصارى، وأنكروا عبادة الاصنام، وهم أقرب الديانات إلى الإسلام. ينظر الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ-١٣٢١م)، مختار الصحاح، (تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ص٩٠ ؛ علي: المفصل، ص٤٤٩.

٤-جواد علي: المفصل، ٨/ ٣١٩ ؛ حسين: غسان عزيز، ورقة بن نوفل مبشر الرسول، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ-٢٠٠٢م)، ص٦١.

والسجود، حتى أتم الأربعين من عمره[1]، يتضح بذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن بحاجة إلى ورقة بن نوفل، أو غيره ليخبره بأمر نزول الوحي وأمر جبرائيل.

٥.قد تكون جميع هذه القصص مختلقة، وقد دُسَّت عن قصد وهَدف، أو دخلت فيها من الإسرائيليات، فإذا كان ورقة بن نوفل نصرانياً، فلماذا حين تكلموا معه في نزول الوحي على رسول الله ﷺ قال: إنه الناموس الذي نزل على النبي موسى ﷺ، ولم يشر إلى النبي عيسى ﷺ الذي هو نبي النصارى؟!.

٦.يمكن أن يكون ذهاب السيدة خديجة ﷺ إلى ورقة بن نوفل، بدافع شخصي حرصاً على زوجها وخوفاً عليه مما كان ينقله لها، ويخبرها به من الوحي، ونزول الملك جبرائيل، فأرادت الاطمئنان عليه بذهابها إلى ورقة بن نوفل؛ لأنه كان لديه علم بالأديان، والكتب السماوية.

٧.وربما تكون شخصية ورقة بن نوفل قد بولغ في أخبارها وضُخِّم دوره لأسباب سياسية وقبلية؛ باعتباره من بيت عبد العزى القرشي، وعمدة ناقلي هذه الروايات هم الزبيريّون[2].

ثم يعود غابريلي ويناقض نفسه، فيذكر أن الإسلام عكس التفسيرات المعاصرة، فهو لم يكن حركة اجتماعية، أو ثورة الطبقات الفقيرة ضد أصحاب الثروة؛ لأن الذين انتموا، وأيدوا هذا الدين كانوا أصحابَ أملاك، وذوي موارد مالية كبيرة ومتوسطة، ووجاهة في مكة، فالأحرى أن الإسلامَ في جوهره ذو طبيعة روحانية، ودينية، هدفه إنصاف الضعيف من القوي، وأن يكون الولاء لله والإسلام، وليس ولاءات قبلية، وكذلك المساواة بين المسلمين[3].

١-المجلسي: بحار الأنوار، ١٨/ ٦٤٥-٦٤٦.
٢-الحجاج: محسن مشكل، ورقة بن نوفل دراسة تاريخية، (بحث منشور في مجلة آداب الكوفة، كلية الآداب- جامعة الكوفة، العدد٣٦، ٢٠١٨م)، ص٣٩٨-٣٩٩.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٧.

ولهذه الأسباب وغيرها ظهرت مقاومة كبار قريش في مكة للدعوة الإسلامية الجديدة وعناصرها، فشنوا أعمالاً عدائية ضد رسول الله ﷺ وأتباعه، وأخذت طابعاً شديداً جداً من كبار قريش؛ لأن تعاليم الإسلام الجديدة تهددهم، ولأنها كانت ذات طابع يمتاز بالسماحة، والمحبة، والأخوة الصادقة[1]، فلهذا ولغيره عارضت قريش وشنت حملة كبيرة ضد الإسلام ورسوله ﷺ.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٢٨.

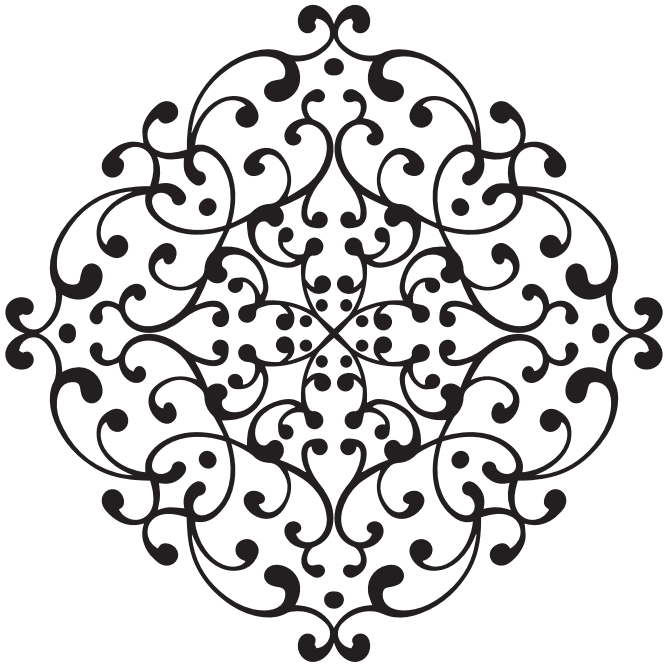

المبحث الثالث

الجهر بالدعوة الإسلامية

*** إعلان الدعوة**

بدأ الجهر بالدعوة الإسلامية على وفق الدلالات القرآنية التي نزلت على صدر رسول الله ﷺ، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[1]، وقوله: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2]، ورسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآيات المباركات دعا أمير المؤمنين عليّا عليه السلام، فأمره أن يصنع طعاماً، ويدعو له بني عبد المطلب ليكلمهم في أمر الدعوة، ويبلغهم ما أُمر به، فصنع علي عليه السلام طعاماً، شاة، وعساً من لبن، ثم دعاهم، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، أو يزيدون رجُلا، أو ينقصونه، فيهم أعمام رسول الله ﷺ: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ فأكلوا ثم قال: اسقِ القوم، فجاءهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بادره أبو لهب فقال: لقد سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فأمر أمير المؤمنين عليّا عليه السلام في اليوم الثاني: أن يفعل كما فعل آنفاً، وبعد أن أكلوا وشربوا، قال لهم رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي. ثم قال: إن هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم؛ فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[3].

١-سورة الشعراء: آية ٢١٤.

٢-سورة الحجر: آية ٩٤.

٣-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٦٢-٦٣ ؛ البغوي: الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد (ت٥١٠هـ - ١١١٦م)، معالم التنزيل، (تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ت)، ٣/ ٤٠٠ ؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٣/ ٢١٠ ؛ المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي (ت٨٤٥هـ - ١٤٤١م)، إمتاع الأسماع، (تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ٥/ ١٧٥.

هذا ما ابتدأ به رسول الله ﷺ من الإجهار بدعوته، فبدأ بعشيرته، وعمومته ليكونوا خير عون له، وتطبيقاً لقول الباري عز وجل، فلم ينل ما أراد منهم ما عدا أمير المؤمنين عليه السلام.

وذهبت بعض الروايات إلى أنه لما نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ، فصعد على الصفا، ونادى فاجتمع عليه القوم فقال: «يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، لو أخبرتكم أن خيلا تخرج في سفح الجبل أكنتم تصدقوني؟ فقالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً. قال: إني بعثتُ لكم نذيراً من لدن الله، فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ وقام، فنزل فيه قوله تعالى:﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1][2].

*** الاضطهاد والتعذيب**

تعرض المسلمون الأوائل الذين آمنوا بدين الإسلام، وصدقوا رسول الله، واتبعوه، إلى أصناف من التعذيب والبطش ، ولكن المستشرق غابريلي عمل على التقليل من عمليات التعذيب، والقتل، والاضطهاد التي تعرض لها أتباع الدين الجديد، ووصف زعماء قريش بالمعتدلين في اضطهاد هؤلاء النفر فيقول: «يبدو أن أولئك الذين عانوا من الإسلام الفتي كانوا في الواقع معتدلين في تعذيبهم، ومع الرغبة الكاملة في تضخيم عملية التعذيب هذه فإن الرواية الإسلامية لا تسجل إلا حالات منعزلة قليلة عن مؤمنين قد ماتوا على اثر سوء معاملة الوثنيين لهم»[3].

وعلى العكس من ذلك فقد تعرَّض المسلمون الأوائل لكل أنواع العذاب من الإيذاء، والاضطهاد، والحصار، والتهجير، والقتل بكل الوسائل المتاحة أمام قريش، ورفض الدعوة التي وجدت فيها قريش خطراً يهز كرامتها، ومكانتها، ويؤثر في موقعها الاقتصادي والاجتماعي، فخاف أهل مكة من أن دعوة رسول الله ﷺ ستبطل عبادة الأصنام، وتطيح بالآلهة الكاذبة، وكان من أسباب رفض بعض كبار قريش الدعوة؛

١-سورة المسد: آية ١.
٢-ابن الجوزي: المنتظم، ٢/ ٣٦٦ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١/ ٦٥٩.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٢.

لكي لا يكونوا تبعاً لبني عبد مناف، لوجود المنافسة بينهم، فإن جاء نبي من بني عبد مناف، فمن أين يأتون بمثل ذلك حسب زعمهم؟[١]، فنلاحظ أن رسول الله ﷺ لم يسلم منهم، فاتهموه بالجنون، وأنه شاعر، وكاهن، ونجد هذه التهم نفسها قد تلقفها بعض المستشرقين ورموا رسول الله بها في كتاباتهم.

ومما تعرض له رسول الله ﷺ أنهم كانوا يضعون بقايا الذبائح من الفرث، والدماء على باب بيته[٢]، وكان عندما يعرض نفسه على القبائل ويقول لهم: قولوا لا إله الا الله تفلحوا، يقوم أبو لهب برميه بالحجارة حتى أدميت قدميه[٣]، ومما تعرض له ﷺ محاولة أبي جهل[٤] ضربه بحجارة كبيرة على رأسه، بينما هو ساجد يصلي في المسجد الحرام، لكنه خاب سعيه، ورد كيده، فلم يقدر أن يصل إليه، بحكمة ورعاية ربانية[٥]، وقد أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: «ما أوذي أحد مثل ما أوذيت»[٦].

أما ضعاف المسلمين فقد كانوا أكثر عرضة للتعذيب والتنكيل، حيث أمرت قريش كل بيت أن يقوم بتعذيب من يتبعه ممن أسلم، وكان من أشد من لقي العذاب بمكة الموالي، إذ إن قريشاً جعلت كل أحقادها، وكراهيتها عليهم، لأنهم لم يكن لديهم من يحميهم، وممن قاسى أنواع العذاب في مكة الصحابي الجليل عمار بن ياسر[٧] وعائلته،

١-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ١/ ٢٢٧.

٢-ابن سعد: الطبقات، ١/ ١٥٧ ؛ القسطلاني: الشيخ أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ - ١٥١٧م)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (تعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ١/ ١١٨-١١٩.

٣-الفاسي: محمد المهدي بن أحمد بن علي (ت١١٠٩هـ - ١٦٩٧م)، سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر، (تحقيق: سعاد رحائم، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ١/ ١٢٣-١٢٤.

٤-أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، كان أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، قُتل في معركة بدر الكبرى عام ٢ للهجرة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٩ ؛ البحراني: السيد هاشم (ت١١٠٧هـ - ١٦٩٥م)، حلية الأبرار، (تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البرجردي، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم– إيران، ١٤١١هـ)، ١/ ٤٦.

٥-ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ١٩٤.

٦-المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ- ١٢٦٧م)، كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال، (تصحيح: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ٣/ ١٣٠.

٧-عمار بن ياسر: بن عامر بن مالك بن كنانة المذحجي العنسي، أمه سمية بنت خياط أول شهيدة في الإسلام، كان من السابقين للإسلام، وأول سبعة أظهروا إسلامهم، شهد بدرا وغزوات الرسول كلها، شارك مع علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الجمل، ومعركة صفين واستشهد فيها عام ٣٧هـ. ينظر البخاري: التاريخ الكبير، (المكتبة الإسلامية، ديار بكر- تركيا، د. ت)، ٧/ ٢٥ ؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص٧٤ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٣/ ٣٤٨.

حتى ضرب المثل بهذه الأسرة من شدة العذاب والابتلاءات التي جرت عليهم، فكانوا يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة، فيعذبونهم في رمضاء مكة، وقد مر بهم رسول الله ﷺ مرة وهم يعذبون، فقال: «أبشروا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[١].

وقام أبو جهل بطعن سمية بنت خياط[٢] أم عمار بحربة في قلبها فماتت، وكانت أول شهيدة في الإسلام، ثم قُتل أبوه ياسر من شدة التعذيب، وتفنن الكفار في تعذيب عمار حتى حملوه على النطق بكلمة الكفر بلسانه[٣]، فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٤].

ومن الذين عُذبوا أيضاً بلال بن رباح[٥]، ولم يلق نصيراً، ولا معيناً، وكان عبداً حبشياً يخرجه مولاه في حر الظهيرة، فيطرحه على ظهره في البطحاء، ثم يأمر بصخرة كبيرة، فتوضع على صدره، ثم يقول له ما تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد ﷺ، وتعبد اللات والعزى، فيقول أحد أحد[٦].

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٢٤٩.

٢-سمية بنت خياط: مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وهي أول شهيدة في الإسلام، عذبها وقتلها أبو جهل بعد أن رفضت الارتداد عن الإسلام. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٢٤٦؛ ابن ماكولا: الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله (ت٤٧٥هـ - ١٠٦٥م)، اكمال الكمال، (الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت) ٣/ ٢٧٥.

٣-ابن الأثير: أسد الغابة، ٤/ ٤٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ٢١/ ٢١٦.

٤-سورة النحل: آية ١٠٦.

٥-بلال بن رباح: مولى أبي بكر الصديق، من المسلمين الأوائل، شهد بدرا وما بعدها من المشاهد، وسكن الشام ولا عقب له، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ومات بدمشق سنة عشرين للهجرة، وله ثلاث وستون سنة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٢٣٢؛ الخطيب التبريزي: ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٤١هـ- ١٣٤٠م)، الاكمال في أسماء الرجال، (تعليق: أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، د. ت)، ص٢٦.

٦-الصباح: الحافظ أبو علي الحسن بن محمد (ت٢٦٠هـ - ٨٧٣م)، مسند بلال، (تحقيق: مجدي فتحي السيد، ط١، دار الصحابة للطباعة والنشر، مصر، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ص٤-٥؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٣/ ٢٨٤.

وممن عُذّب في مكة بسبب إسلامه خباب بن الأرت[١]، وقد لقي من صنوف العذاب في المال والنفس الشيء العظيم[٢].

كذلك الصحابي عبد الله بن مسعود[٣]، الذي أبدى استعداداً للقيام بتلاوة القرآن جهراً على مسامع قريش في المسجد الحرام، فقام إليه الجميع يضربونه في وجهه وهو يقرأ حتى أدمي جسمه ووجهه من كثرة الضرب الذي تعرض له[٤]، وأيضاً الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري[٥] الذي جاهر بالدين حين كان المسلمون يدعون سراً، ونادى بكلمة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فهجم عليه جماعة من قريش وضربوه بشدة[٦].

وإنهم كانوا يضربون الواحد، ويعذبونه، ويمنعون عنه الماء، والطعام في حر الشمس حتى لا يقدر أحدهم على الوقوف على رجليه[٧].

١-خباب بن الأرت: مولى لأم أنمار ابنة سباع، ويكنى خباب أبا عبد الله، شهد بدرا، وتوفي في الكوفة عائداً من صفين في جيش الإمام علي عليه السلام سنة سبع وثلاثين، فصلى عليه أمير المؤمنين، ودفنه بظهر الكوفة وكان يوم مات ابن ثلاث وسبعين سنة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٦/ ١٤.

٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٦٤-١٦٥؛ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ١/ ٢١٩؛ الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت٤٧٤هـ-١٠٨١م)، التعديل والتجريح، (تحقيق: أحمد البزاز، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش، د.ت)، ٢/ ٥٧٣.

٣-عبد الله بن مسعود: بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم، حليف بني زهرة، كان من المتقدمين في الإسلام، روى الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي بالمدينة سنة (٣٢هـ). ينظر ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ١٨٧؛ ابن الصباغ: علي بن محمد بن أحمد المالكي (ت٨٥٥هـ - ١٤٥١م)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، (تحقيق: سامي الغريري، ط١، دار الحديث للطباعة، قم، ١٤٢٢هـ)، ١/ ٤٤

٤-ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٢٠٧ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٥١؛ السبحاني: السيرة المحمدية، (ط١، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص٧٩.

٥-أبو ذر الغفاري: جندب بن السكن، ولقبه برير، وقيل اسمه بريد بن جنادة، وقيل اسمه جندب بن جنادة، وهو من غفار قبيلة من كنانة، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم ورجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، مات منفياً في الربذة سنة (٣٢هـ). ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤/ ٢١٩ ؛ ابن الصباغ: الفصول المهمة، ١/ ٤٤.

٦-ابن الأثير: أسد الغابة، ٥/ ١٨٧ ؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٧/ ١٠٦.

٧-ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٣٤٧.

*** موقف أبي طالب من رسول الله ﷺ ودفاعه**

وعن دفاع أبي طالب عن رسول الله ﷺ يذهب غابريلي إلى القول: «كان محمد محمياً بتضامن من جميع أفراد بني هاشم بدءاً بعمه أبي طالب الذي مع ذلك ظل وثنياً»[1].

وهنا لا نحمّل غابريلي اللوم في عَدّ أبي طالب وثنياً فقط، بل نضع اللوم على مصادرنا المعتمدة التي روجت لهذه الرواية باعتبار أبي طالب وثنياً، وقد مات على وثنيته، ولا سيما أن هناك العديد من المصادر، والروايات التي أثبتت عكس ذلك، وللرد على ذلك بشكل يسير دون إسهاب:

١. ينقل لنا ابن هشام أن أبا طالب قال لأمير المؤمنين علي عليه السلام لما رآه يصلي مع ابن عمه: «أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه، فقال: يا أبت آمنت بالله، وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعته. فقال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه»[2].

ويذكر أن أبا طالب حين قاربته الوفاة جعل يحرك شفتيه، فأصغى له أخوه العباس بن عبد المطلب فقال: إنه كان يردد ما قاله له رسول الله ﷺ أي الشهادة[3]، ومما نقل عنه أنه قال لما حضرته الوفاة، فجمع إليه وجوه قريش فأوصاهم: «يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدام الشجاع، الواسع البارع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفا إلا أدركتموه، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنيّة (يعنى الكعبة) فإن فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم منسأة (أي فسحة) في الأجل، وزيادة في العدد، اتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم، أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليكم بصدق الحديث، وأداء

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٣.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٢٨٣؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣١٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١/ ٦٥٦.
٣-أبو الفدا: تاريخ أبي الفدا، ١/ ١٢٠.

الأمانة فإن فيهما محبةً في الخاص ومكرمة في العام، وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشنان، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعَفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه، أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصفت له بلادها، وأعطته قيادها، يا معشر قريش كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ بهديه أحد إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب»[2].

٢.موقف أبي طالب من نصرة ابن أخيه: يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من بيته وتأخر رجوعه، فقلق أبو طالب من ذلك، فظن أن قريشاً قتلته، فأمر فتيان عبد المطلب بحمل السلاح، والتوجه إلى المسجد حيث يجلس كبار قريش الذين يريدون الكيد برسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء زيد بن حارثة، فوجد أبا طالب على تلك الحالة، فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله،

١-الفتال النيسابوري: العلامة الشهيد أبو علي محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ- ١١١٤م)، روضة الواعظين، (تقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، د. ت)، ص١٤٠ ؛ الآلوسي: السيد محمود شكري البغدادي (ت١٣٤٢هـ- ١٩٢٣م)، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، (تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت)، ١/ ٣٢٧-٣٢٨.

٢-الكليني: الكافي، ١/ ٤٤٦؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٣٥/ ١٠٩؛ القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت١٢٩٤هـ- ١٨٧٧م)، ينابيع المودة لذوي القربى، (تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط١، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ.ق)، ٢/ ٣٣١.

فذكر له أنه كان معه، فلم يطمئن أبو طالب حتّى يراه، فبلغ زيد رسول الله ﷺ بالأمر، فأتى إلى عمه أبي طالب، فسر بسلامة ابن أخيه، ونادى من كان بالمسجد، أرأيتم إن أصاب محمداً مكروه؟ لأفنيتكم، وكشف الفتيان عن أسلحتهم، فأرعب ذلك الجلوس[1].

٣.قصائده التي تُظهر إيمانه بالرسالة المحمدية، منها قوله:

ودعوتَني وزعمتَ أنك صادق ... ولقد صدقتَ وكنتَ قبل أمينا

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا[2]

وقوله:

إنَّ علياً وجعفراً ثقتي ... عند احتدام الأُمورِ والكرب

أراهُما عرضة اللقاء إذا ... ساميتُ أَو أَنتمي إلى حسب

لا تخذلا وانصُرا ابن عمكُما ... أَخي لِأُمي من بينهم وأَبي

واللهِ لا أَخذلُ النبي ولا ... يخذلهُ من بني ذو حسب[3]

وفي تفضيل رسول الله يقول:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ... فعبد مناف برها وضميمها

وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فَخرَتْ يوماً فإنّ محمداً ... هو المُصطفَى مَنْ سرّها وكريمُها

تداعت قريش غَثها وسَمِينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حُلُومُها[4]

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٥٨-١٥٩؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٣٢.

٢-أبو طالب: ديوان أبي طالب عم النبي، (جمعه وشرحه: د. محمد التونجي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ص٨٢؛ ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت٦٢٠هـ- ١٢٢٣م)، التبيين في أنساب القرشيين، (تحقيق: محمد نايف الدليمي، ط١، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ص٨٩؛ أبو الفدا: تاريخ أبي الفدا، ١/ ١٢٠؛ البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ - ١٦٨٢م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مطبعة المدني، مصر، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ٢/ ٧٦.

٣-أبو طالب: ديوان أبي طالب، ص٢٢.

٤-أبو طالب: ديوان أبي طالب، ص٨٢؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٣٠٢.

وكتب إلى النجاشي:

أتعلم ملك الحبش أن محمداً نبي كموسى والمسيح ابن مريم؟
أتى بهدي مثل الذي أتيا به وكل بأمر الله يهدي ويُعصم
وإنكمو تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا بصدق الترجم
فلا تجعلوا لله نِدّاً وأسلموا وإنّ طريق الحق ليس بمظلم[1]

والذي يطلع على كتاب (ديوان أبي طالب عم النبي)، يجد إسلام هذه الشيبة المباركة بشكل واضح وصريح في أشعاره، وإيمانه الكبير بالله سبحانه تعالى.

٤.وللاطلاع والتزود في معرفة إيمان أبي طالب يمكن مطالعة العديد من المصادر، والمراجع التي تناولت إيمانه منها: كتاب أخبار أبي طالب وولده للمدائني (ت٢١٠هـ)، إيمان أبي طالب لابن عمار الكوفي (ت٣٤٦هـ)، كتاب إيمان أبي طالب للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، بغية الطالب لإيمان أبي طالب للسيوطي (ت٩١١هـ)، وغيرها الكثير من المصادر والمراجع.

*** الهجرة إلى الحبشة (٥ للبعثة)**

يعرج المستشرق غابريلي على مقاطعة قريش عشيرة بني هاشم، فأخرجوهم من مكة عام ٦١٦م، وفك أبو لهب ارتباطه بالهاشميين، واستمرت هذه المقاطعة مدة من الزمن، وعلى اثرها توفي أبو طالب، وأصبح الأمر من بعده لأخيه أبي لهب الذي كان شديد المعاداة لرسول الله ﷺ، مما اضطره للبحث عن مكان آخر لحماية الدعوة الإسلامية وأنصارها[2]. ويشير إلى أن الإسلام قد انتشر في مناطق خارج مكة، بل حتى خارج الحجاز، وذلك بسبب هجرة مجموعة من المسلمين إلى الحبشة[3] في السنة ٥ للبعثة، التي

١-أبو طالب: ديوان أبي طالب، ص٩٠.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٣.
٣-الحبشة: أو ما تعرف بأثيوبيا حاليا في وسط افريقيا، لها حدود مع البحر الأحمر، والصومال، وجيبوتي، وكينيا، والسودان، يلقب ملوكها بالنجاشي ومنهم أصحمة الذي كان في زمن رسول الله ﷺ، ويذكر أنه قد أسلم. ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ٤٢٨؛ مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الميسرة، ١/ ١٠١.

عدَّها رسول الله ﷺ البلد الأكثر أمناً لأتباعه، فعبروا إليها البحر الأحمر واستقبلهم ملكها النجاشي[١].

ونجد تناقضاً واضحاً في كلام غابريلي عن سبب الهجرة إلى الحبشة، فمرة يقول: «ويحتمل أيضاً أن ذلك قد تم بهدف التغلغل السياسي والتبشير بالدعوة»[٢]، ومرة يعزو السبب إلى «وجود انقسامات داخلية في المجتمع الإسلامي الصغير، قد عالجه النبي بإبعاد المنشقين»[٣].

ولم تشر المصادر أو الروايات التاريخية إلى وجود أي انشقاقات، أو انقسامات بين أتباع رسول الله ﷺ، فلا نعرف من أين أتى غابريلي بهذا الأمر؟، وان جميع المصادر الإسلامية أكدت أن سبب الهجرة إلى الحبشة الضغوطات، والتعذيب الذي مارسته قريش ضد أتباع الدين الإسلامي، والذي كان في بواكير نشأته، فتخوف رسول الله ﷺ على أتباعه من شدة العذاب، وخشي أن يفتنون بدينهم، فيردون إلى الكفر، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لأن هذه البلدة كان فيها ملك لا يظلم، ويحمي الجوار[٤].

وسبب اختيار الحبشة دون غيرها؛ هو أن رسول الله ﷺ لم يرغب في هجرة المسلمين إلى القبائل العربية في الجزيرة العربية؛ لأنها سترفض دعوته، إما مجاملة لقريش، وإما تمسكاً بدينها الوثني، كما أنه لم يحثهم على الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والنصارى من غير أهل الحبشة؛ لأنهم لا يقبلون منافساً ثالثاً لهم[٥]، أما اليمن فقد كانت مستعمرة للفرس الساسانيين، فلم يطمئن رسول الله ﷺ بالالتجاء إليها، ثم إن كلاً من بلاد الشام، واليمن، والحيرة، كانت أسواقاً هامة لتجار قريش، وكان لقريش بها

١-النجاشي: اسمه أصحمة، ملك الحبشة الذي آوى مهاجري المسلمين إلى الحبشة، ومنع عنهم قريش، يعدّ من الصحابة لأنه أسلم في زمن رسول الله ﷺ وحسن إسلامه، ويذكر أنه مات في زمنه وقد صلى عليه صلاة الغائب. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ٤٢٨.

٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٤.

٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٥.

٤-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ١/ ٢١٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٥٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١/ ٦٧٣.

٥-حسن: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، (ط١٤، مكتبة النهضة المصرية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ١/ ٧٥.

علاقات وثيقة، ومصالح مهمة، وزيارات في أوقات منتظمة[١].

*** سفره ﷺ إلى الطائف (١٠ للبعثة)**

يشير غابريلي بالقول: «لابد من أن السنوات بين ٦١٥ و٦٢٠م كانت السنوات الأكثر صعوبة بالنسبة إلى محمد، فقد جاء خلال هذا الوقت موت خديجة المخلصة، التي قد وقفت بجرأة وإقدام إلى جانب زوجها، مشجعة إياه ومعززة له في دعوته، وكذلك موت عمه أبي طالب الذي قد أنجز وأدى بإخلاص واجبه في الحماية التي فرضتها عليه روابط الولاء للقرابة والنسب»[٢].

نالت قريش من رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب كل أنواع الأذى مما لم تنله من قبل، ومما تعرض له أنه اعترضه أحد سفهاء قريش، فنثر التراب على رأسه المبارك، فلما دخل داره قامت إحدى بناته (فاطمة الزهراء) تغسل عنه التراب وهي تبكي فيقول لها ﷺ: «لا تبكي يا ابنتي إن لأبيك رباً يحميه، ويردد ما آذتني قريش حتى مات أبو طالب»[٣].

أما عن ذهابه ﷺ إلى الطائف[٤]، ودعوته أهلها للإسلام، فيصرح غابريلي: « غير أن ثقيف قد خسرت حظها لأن تصبح مناصرة للإسلام»[٥]؛ لأن أهل الطائف لم يستجيبوا لهذه الدعوة، وتعرض رسول الله فيها للكثير من الأذى الذي ناله بسبب رميه بالحجارة من الصبيان، وقذفه بالبيض الفاسد من كبارها، ثم يقول غابريلي: «وكان التعويض الوحيد عن ذلك، تعويضاً غير مادي تماماً كما ذكر، وهو اعتناق جيش من الجن الإسلام»[٦].

١-حسن: تاريخ الإسلام، ١/ ٧٥.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٦.
٣-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٤٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٢٢٧.
٤-الطائف: مدينة في الحجاز، كانت تسمى وادي وج، تسكنها قبائل ثقيف، وحمير، وبعض من قريش، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، يكثر فيها أشجار الفاكهة، وتمتاز بطيب أجوائها وبرودتها. ينظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٩.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٦.
٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٦.

بسبب تزايد الضغط على رسول الله ﷺ، ومخافته على أتباعه المسلمين من كيد قريش بهم، قرر التوجه إلى الطائف، ولما وصل إليها زار نفراً من قبيلة ثقيف، فحدثهم، ونصحهم، ودعاهم إلى الإسلام، فلم يتقبلوا كلامه، وكان ردهم قبيحاً، فخرج رسول الله ﷺ منهم، وطلب أن لا يبوحوا بما جرى، لكي لا يعلم باقي كبار ثقيف فيؤذوه، ولكنهم لم يفوا بكلامهم، فحرضوا جمعاً من الناس عليه، فقاموا يسبّونه، ويصيحون به، ويضربونه، حتى عانى ما عانَى منهم وأنهكه التعب مما اضطره الالتجاء إلى بساتين الطائف فاستظل إلى شجرة ليستريح مما لحق به من الأذى وكان هذا البستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة[1] وهما فيه، وتوجه إلى الله يدعوه بسبب الأذى الذي لحق به، فأرسل عتبة وشيبة ابنا ربيعة إليه غلاماً لهم يدعى (عداس النصراني)[2]، وأخذ معه طبقاً من العنب ووضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما تناول العنب قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فتعجب عداس من هذا القول وقال: والله لم أسمع هذا القول في هذه البلاد! فرد عليه ﷺ من أي البلاد أنت؟ قال: أنا نصراني، من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى، فقال عداس: ومن أين عرفت يونس بن متى؟ فقال: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبيّ، أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى، فقام عداس يقبل رأسه ويديه، وقدميه وهما تسيلان من الدماء، وآمن به، فتعجب ابنا ربيعة من غلامهما عداس، وقالا له بعد رجوعه: ويلك لما قبلت رأسه ويديه وقدميه؟! فأجاب: لم أرَ أحسن من هذا في الأرض، إنه رجلٌ صالح، وأخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، فقالا له: يا عداس، لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه[3].

١-عتبة وشيبة ابنا ربيعة: بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، كانا من ألد أعداء رسول الله، قادا معركة بدر بجانب المشركين وقد برزا للقتال، فبرز لهما الحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب ﷺ، وعبيدة بن الحارث، فقتل حمزة عتبة، وقتل عبيدة شيبة وماتا كافرين. ينظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٨/ ٢٣٨-٢٣٩؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١٠/ ٣٩٦.

٢-عداس النصراني: نصراني من مدينة نينوى شمال العراق، كان يعمل في بستان يعود لعتبة وشيبة ابني ربيعة في الطائف، وكان له حديث مع رسول الله حينما تعرض للأذى من أهل الطائف، قيل: إنه أسلم، وقيل: إنه مات قبل معركة بدر. ينظر الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد (ت١٠٤٤هـ- ١٦٣٤م)، السيرة الحلبية، (دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ)، ٢/ ٥٣ ؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٣٥.

٣-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٤٤٣-٦٤٣ ؛ الراوندي: قصص الأنبياء، (تحقيق: الميرزا غلام رضا، ط١، مطبعة الهادي،

ولما عاد من الطائف نزل مكاناً يدعى نخلة وقام يصلي، فاستمع إليه نفر من الجن، وهو يقرأ سورة الجن، ولم يعلم بهم رسول الله ﷺ[1]، فنزلت الآية المباركة: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[2]، وقد آمنوا به، وأسلموا، ودعوا قومهم، فأسلم جماعة منهم[3].

*** الأنصار من أهل يثرب (١١ للبعثة)**

ويعرج المستشرق غابريلي على لقاء رسول الله ﷺ بمجموعة من قبيلة الخزرج[4] عام ٦٢٠م، الذين قدموا مكة من أجل الحج، حيث وجد عندهم قبولاً لدعوته مما مهد للقاء بهم في موسم الحج الثاني بعد عام من لقائه الأول، وفي هذه المرة ازداد عددهم فأصبحوا اثني عشر شخصا من ضمنهم أشخاص من قبيلة الأوس[5]، فكان لقاؤهم في مكان سرّي بعيد عن أنظار قريش في منطقة تدعى العقبة[6]، ودار حوار بين الطرفين تعهد من خلاله هؤلاء الأشخاص بالإيمان بالله، ورسوله، والالتزام بتعاليم الإسلام،

٨١٤١هـ)، ص٨٢٣؛ ابن شهر آشوب: مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي (ت٨٨٥هـ - ٢٩١١م)، مناقب آل أبي طالب، (تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ٦٧٣١هـ-٦٥٩١م)، ١/ ١٦ ؛ السبحاني: سيد المرسلين، ص٧٥٥-٩٥٥.

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٦٩ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٦٥.

٢-سورة الأحقاف: آية ٢٩-٣٠.

٣-السمرقندي: أبو الليث (ت٣٨٣هـ - ٣٩٩م)، تفسير السمرقندي، (تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د. ت)، ٣/ ٢٧٨؛ الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦/ ٢٩٤.

٤-الخزرج: قبيلة عربية كبيرة كانت تسكن اليمن، نزحت إلى مدينة يثرب قبل الإسلام بعد انهيار سد مأرب، وكانت في صراع مستمر مع قبيلة الأوس، وكان لكلتا القبيلتين دور في نصرة رسول الله وهجرته إليهم. ينظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١/ ٣٩٦؛ ابن الضياء: أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد (ت٨٥٤هـ - ١٤٥٠م)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، (تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ص٢١٨.

٥-الأوس: هم ولد حارثة بن ثعلبة بن عمر، من قبائل اليمن التي نزحت إلى يثرب وسكنت بجوار الخزرج، وكانت لهم صراعات مع الخزرج مستمرة قبل هجرة رسول الله إليهم. ينظر ابن زبالة: محمد بن الحسن بن أبي الحسن القرشي المخزومي (ت١٩٩هـ- ٨١٤م)، أخبار المدينة، (جمع: صلاح عبد العزيز زين، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص١٧٤؛ ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة، ص٢١٨.

٦-العقبة: تقع بين منى ومكة بينها وبين مكة مسافة ميلين، فيها مسجد حاليا وعندها ترمى جمرة العقبة. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٤٣١؛ ابن الديبع: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت٤٤٩هـ - ٧٣٥١م)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، (تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط٢، المكتبة المكية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ١/ ١٣٠٩.

ومناصرة رسول الله ﷺ في دعوته، فسمي هذا اللقاء ببيعة العقبة الأولى[١].

استمرت مساعي رسول الله ﷺ دون كلل، أو ملل في نشر الرسالة الإسلامية خارج حدود مكة، فعند موسم الحج وعودة الحجيج إلى مدنهم التقى رسول الله ﷺ بستة رجال وقيل: ثمانية[٢] من الخزرج، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا، وأخذ منهم ميثاق الإيمان بالله ورسوله، فعرفت ببيعة العقبة الأولى، وفي السنة التالية أي عام ٦٢١م جاءوا ومعهم سبعة رجال آخرين، ومن بينهم رجلان من الأوس، والتقوا برسول الله ﷺ، وتعاهدوا على الإيمان بالله، والتصديق بنبيه، وبايعوه على ألا يشركوا مع الله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان تفتريه أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوا رسول الله في معروف، وقال لهم رسول الله ﷺ: فمن وفى ذلك منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو عليه كفارة، ومن عمل قبيحاً فستره الله فمرده إلى الله إن شاء عذب، وإن شاء غفر[٣]، فبايعوا على ذلك، فسميت ببيعة العقبة الثانية[٤].

وأرسل معهم مصعب بن عمير[٥]، يعلمهم القرآن، وتعاليم الإسلام، وفي السنة ٦٢٢م جاء ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من أهل يثرب، والتقوا برسول الله ﷺ في العقبة أيضاً، وعرفت بالعقبة الثالثة، فلما التقوا به ﷺ قالوا: «يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله، لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٧.

٢-موسى بن عقبة: موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي (ت١٤١هـ - ٧٥٨م)، المغازي، (جمع ودراسة: محمد باقشيش أبي مالك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المملكة المغربية، ١٩٩٤م)، ص٨٩.

٣-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ١٩٧.

٤-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٧٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٧٠؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ١٧٨.

٥-مصعب بن عمير: بن هاشم بن عبد مناف القرشي، أول من قدم المدينة من المهاجرين، قتل يوم أحد وهو يدافع عن رسول الله ﷺ. ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/ ١٤٥.

وأبناءكم ولكم الجنة»[١]، فأخذ بيده أسعد بن زرارة[٢]، وهو أصغر السبعين رجلاً فقال: «رويداً يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب إليه أكباد المطي، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند الله»[٣]، فتعهدوا بحماية رسول الله حين يصل إلى مدينتهم، والدفاع عنه[٤]، وأشار غابريلي بالقول: «وتضع الروايات التاريخية إلى صف النبي عمه العباس[٥] في اللحظة الحاسمة، وانه أيضاً كان ما يزال وثنيا»[٦]. وللرد على ذلك نقول:

١. يبدو أن غابريلي -من خلال تعليقه- قد ذكر حضور العباس بن عبد المطلب، وهو غير مقتنع بذلك، فربما كانت هذه الشخصية قد وضعت إلى جانب رسول الله ﷺ[٧]، ولعل كلامه إشارة منه إلى أن المؤرخين المتملقين للعباسيين وضعوها تملقاً منهم لخلفاء الدولة العباسية، أو انهم وضعوها بأمر من الخلفاء أنفسهم.

٢. كما أن مترجم الكتاب الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي يعلق على ذلك، باعتقاده أن دور العباس بن عبد المطلب قد أضيف لاحقاً في العصر العباسي، فالعباس على الرغم من الأموال التي كانت لديه لم يسهم في حماية رسول الله، على العكس من أبي طالب الذي ظلمه المؤرخون، ويذكر أن هؤلاء المؤرخين قد احتضنتهم الدولة العباسية[٨].

٣.ان رسول الله ﷺ بعد رجوعه من الطائف، لم يستطع دخول مكة إلا بجوار؛ بسبب

١-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ١٩٧.
٢-أسعد بن زرارة: بن عُدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجار، أبو امامة الأنصاري الخزرجي، شهد العقبتين وكان نقيب قومه، وأصغر النقباء سناً، قيل: إنه أول من بايع في العقبة. ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ١/ ٢٠٨.
٣-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٠١.
٤-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٧٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٧٠؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ١٧٨.
٥-العباس بن عبد المطلب: بن هاشم بن مناف، عم النبي يكنى بأبي الفضل، كان رئيساً في قومه قبل الإسلام، كان يتولى السقاية، أسلم في عام فتح مكة. ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/ ٨١٠-٨١٢
٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٨.
٧-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٣٨.
٨-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، هامش ص١٣٨.

اشتداد قومه عليه أكثر مما سبق، فأرسل في طلب الإجارة، فلم يجره أحد ماعدا المطعم بن عدي[1]، الذي لبس السلاح هو وبنوه، وأبناء أخيه، وأجاروا رسول الله ﷺ حتى دخل مكة[2]، فإن صحت هذه الرواية فلماذا لم يكن للعباس بن عبد المطلب هذا الدور في حمايته ﷺ؟، ولماذا لم يلتجئ رسول الله إليه؟.

٤. يذكر أن العباس بن عبد المطلب قد تم أسره في معركة بدر، وطلب منه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه بماله، ففدى نفسه وأطلق سراحه[3]، وينقل أن رسول الله ﷺ ذكر في هذه المعركة أن لو كان المطعم بن عدي حيّا لأطلقتُ هؤلاء الأسرى (أي أسرى بدر)؛ إكراماً لمواقفه مع النبي[4]، فلماذا يرد رسول الله ﷺ الجميل لمواقف المطعم بن عدي إن صح القول، ولم يرد الجميل لمواقف عمه العباس؟.

ثم يوضح المستشرق ما تضمنته بيعة العقبة الثالثة بالقول: «إذ تعهد هؤلاء المدنيون على الاعتراف بالنبي والدفاع عنه، وإن كان بحمل السلاح، كما يدافعون عن زوجاتهم وأطفالهم»[5] ويصرح غابريلي عن إيمان هؤلاء الأشخاص بقوله: «دون شك، أنهم قد تحركوا بل اندفعوا أساساً بجوهر وروح الرسالة الدينية، كذلك علينا أن لا نغفل الحالة السياسية، والاجتماعية المضطربة لهذا المركز الحضاري الثاني في الحجاز»[6].

ويثير غابريلي قضية تخوف المبايعين في العقبة الذين اعتنقوا الإسلام من أن رسول الله ﷺ قد «يستثمر دعمهم، وتأييدهم له ليبسط نفوذه، وتكون له اليد العليا، ثم يتخلى

١-المطعم بن عدي: بن نوفل بن عبد مناف القرشي، كبير عشيرة بني نوفل، كان له دور في إلغاء الصحيفة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم، وقد أجار رسول الله بعد رجوعه من الطائف، وكذلك أجار سعد بن عبادة بعد أسره من قبل قريش بسبب إسلامه، توفي المطعم قبل معركة بدر. ينظر ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٢٠؛ الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٥٢.

٢-ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ١٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٢٠.

٣-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٤٦٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨١-٨٢.

٤-الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ - ٨٢٦م)، المصنف، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، د. ت)، ٥/ ٢٠٩ ؛ ابن حنبل: أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ - ٨٥٥م)، مسند أحمد، (دار صادر، بيروت- لبنان، د. ت)، ٤/ ٨٠؛ الطبراني: أبو القاسم سليمان بن احمد (ت٢٦٠هـ - ٨٧٤م)، المعجم الكبير، (تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار احياء التراث العربي، د.ت)، ٢/ ١١٧.

٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ١٣٩.

٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ١٣٩.

عنهم»[١]، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية في قول أحد الأنصار، وهو الهيثم بن التيهان[٢] الذي عبر عن ذلك بقوله: «إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنّا قاطعوها، فهل عسيتَ إنْ نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله، أَن ترجع إلى قومك وتدعنا؟»، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال له: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم»[٣].

*** الهجرة إلى يثرب (١٤ للبعثة – ١ للهجرة)**

يعلق غابريلي على بدايات الهجرة إلى المدينة، فيذكر: «وما إن ربط النبي مصيره بأهالي المدينة بالحلف في العقبة، أصبح الآن القرار ناضجاً مباشرة في ذهن أو عقلية النبي بأن ينقل نفسه، ومجتمعه الصغير من المكيين إلى هناك»[٤]، ويعطي تحليلا لغوياً للفظ الهجرة فهي لا تعني الهروب، بل تعني الرحيل، أو السفر، وهذا كان سارياً في المجتمع البدوي[٥].

وربما يوضح غابريلي هذا التفسير اللغوي للهجرة لكي يؤكد رأيه في أن المكيين لم يعذبوا ويضطهدوا المهاجرين، أو حتى انهم لم يبدو أية عراقيل، أو صعوبات ضد المهاجرين.

فالهروب يعني الفرار من علةً ما[٦]، أو جهة ضاغطة جعلت هؤلاء يهربون من مدينتهم، بينما الهجرة هي الانتقال، أو ترك المكان إلى آخر[٧] دون أي علة، فرسول الله ﷺ أُجبر على الهجرة بعد وفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة، حيث ضاق الحال

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ١٤٠.
٢-مالك بن التيهان: بن عتيك من أفاضل الأنصار، نزل عنده الرسول عند قدومه المدينة، آخى الرسول بينه وبين عثمان بن مظعون، شهد جميع المشاهد مع رسول الله، توفي عام ٢٠هـ. ينظر ابن حبيب: أبو جعفر بن محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت٢٤٥هـ-٨٦٠م)، المحبر، (تصحيح: د.ايلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق، بيروت- لبنان، د. ت)، ص٧٤؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ص٣٢.
٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٨٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٦١٣.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤١.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤١.
٦-ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ- ١٠٠٥م)، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ)، ٦/ ٣٤.
٧-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٦/ ٤٩.

به وبأتباعه؛ لما تعرضوا له من أنواع التعذيب، والتنكيل، وبات القرار لا بد من الفرار بدينهم، خشية الفتنة، ولنشر الدين الإسلامي بشكل أوسع خارج مكة، وبحرية أكثر، فنزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال له: «يا محمد اخرج من مكة، فليس لك بها ناصر»[1]، فكانت الهجرة إلى المدينة الخيار الأفضل والمدروس الذي اعتمده رسول الله ﷺ[2]، ويذكر أنه كان يقول عند هجرته وحنينه إلى مكة: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[3]، فهذا الكلام يبين لنا مدى الشدة التي كان يعانيها، والتي اضطرته إلى ترك مدينته ومدينة أهله، التي فيها بيت الله الحرام أقدس البقاع على الأرض، وهي أحب أرض الله تعالى إليه، وربما وصل إلى قناعة أن حال أهل مكة وموقفهم من الإسلام لا يتغير.

وأثناء عمليات الهجرة تعرض بعض المهاجرين لعمليات اضطهاد وتعذيب من قريش، منهم السيدة أم سلمة[4]، لما هاجرت مع زوجها إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة، تعرضت للحبس بعد أن فرقوا بينها وبين زوجها بمكة نحو سنة، ثم أذن لها الذين حبسوها في اللحاق به[5]، كذلك ما عاناه عياش بن أبي ربيعة[6]، الذي تم تقييده، وأسره، وحبسه من قبل إخوته، وقد تم فك أسره فيما بعد ببركة دعاء رسول الله ﷺ، ولحق بالمهاجرين إلى المدينة[7]، فلم يتخلف أحد عن الهجرة إلى المدينة من المسلمين إلا

١-الكليني: الكافي، ١/ ٤٤٠؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١٩/ ١٤.
٢-العواد: السيرة النبوية في رؤية أمير المؤمنين، ص٤٦٢.
٣-الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ- ١٤٠٤م)، موارد الضمآن، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار الثقافة العربية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م)، ٣/ ٣٥.
٤-أم سلمة: هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، زوج رسول الله ﷺ، كانت قبله زوجة لأبي سلمة بن عبد الأسد، تزوجها رسول الله في المدينة، توفيت في حدود السبعين للهجرة. ينظر الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ- ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ٢٧/ ٢٢٩.
٥-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٢٤.
٦-عياش بن أبي ربيعة: واسمه عمرو ذو الرمحين، من بني مخزوم القرشي، من المستضعفين في مكة، هاجر الهجرتين، وتوفي بالشام في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: قتل في معركة اليمامة أو اليرموك، وهو أحد الذين دعا لهم النبي من المستضعفين. ينظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، ٨/ ١٧٦.
٧-ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير، (دار الفكر، بيروت، د. ت)، ص٧٧.

تعرض للحبس، أو افتتن في دينه، عدا علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي بكر[1].

فلما رأت قريش ما رأت من هجرة أتباع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفوا بأنه أصبح لهم مأوى يفرون إليه، اجتمعت كبار قريش وساداتهم للتدبر في أمره وأتباعه، فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ كبير جليل القدر، ووقف على باب الدار التي اجتمعوا فيها، فلما سألوه من أين أنت؟ أخبرهم أنه من أهل نجد، سمعتُ بأمركم، فحضرتُ لأسمع ما تقولون، وعسى أن أفيدكم في رأي، أو نصيحة، فدخل معهم، فتشاوروا، فقال أحدهم: احبسوا محمداً في الحديد والأغلال، وأغلقوا عليه باباً حتى يموت، فاعترضه الشيطان: لو حبستموه كما تقولون ليخرجنه أصحابه، ويهجموا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم رأوا أن يخرجوه من مكة، فإن غاب عنا تخلصنا منه، وأصلحنا أمرنا فيما بيننا، فاعترضهم الشيطان أيضاً بالقول: «هذا ليس برأي صالح، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وحب الناس له؟ إنه سيكسب العرب، فيغلب عليكم، ويسير بهم إليكم فيأخذ أمركم»، فاقترحوا أن ترشح كل قبيلة فتىً شاباً شجاعاً يحمل السيف، ويذهبوا إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله جميعهم ليلاً، ويضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه ويتفرق دمه في القبائل، فلا تستطيع بنو عبد مناف محاربتهم لتعدد قبائلهم، فأيّد الشيطان الذي بهيئة رجل أمرهم، ووصفه بالرأي الصائب[2]. فنزلت الآية الكريمة: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**[3].

وهبط جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: لا تنَم الليلة في بيتك، وأخبره بمكر القوم، وإذن الله تعالى له بالخروج، فلما حلَّ الليل، اجتمعوا إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظرونه ينام ليقتلوه، فلما علم بأمرهم طلب من علي بن أبي طالب عليه السلام أن ينام على فراشه، فإنهم

١-الطبري: تاريخ الطبري، ٢٨٢٤.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٧٦ ؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٣١.
٣-الأنفال: آية ٣٠.

لن يصلوا إليه، ولن يستطيعوا أن يؤذوه بأمر الله سبحانه وتعالى، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم لا يرونه، وأخذ حفنة من تراب في يده ورمى بها فوق رؤوسهم، فعميت أبصارهم عنه فلا يرونه، وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾[1]، فلم يبقَ منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ولما هبوا إلى الدار، لم يجدوه، بل كان علي عليه السلام في فراشه، وخرج رسول الله ﷺ إلى غار ثور[2]، في مأمن من المشركين[3].

ومما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أن الآية المباركة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[4]، قد نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لموقفه البطولي وشجاعته في فداء رسول الله ﷺ بنفسه، ونومه على فراشه حين قدمت قريش لقتله[5].

لقد فشلت قريش في خطتها، فأخذوا بالبحث والتفتيش عن رسول الله ﷺ في كل أرجاء مكة، ومراقبة مداخلها ومخارجها، وخصصت مائة من الإبل لمن يأتي به، وعملت مجموعة أُخرى على تتبع أثر أقدام رسول الله ﷺ، ورفيقه[6]. فنصر الله رسوله ﷺ، وخذل المشركين من قريش، وتمكن بعد ذلك من إكمال مسيرته في هجرة شريفة مباركة إلى المدينة، كان لها الأثر في العقيدة الإسلامية فيما بعد، فمنها ابتدئ التاريخ الإسلامي

١-سورة يس: آية ٩.
٢-غار ثور: في جبل بمكة، دخله رسول الله ﷺ عند هجرته من مكة إلى المدينة، وفيه نسج العنكبوت خيوطه، ووضعت الحمامة بيوضها، وورد ذكره في القرآن الكريم. ينظر الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت٢٧٢هـ-٨٨٥م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، (تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، ٤/ ٨٣؛ الكرماني: تقي الدين يحيى بن محمد (ت٨٣٢هـ- ١٤٢٩م)، مختصر تاريخ مكة المشرفة، (تحقيق: عبد القادر بن محمد الغامدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، د. ت)، ص٤٢٨.
٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٧٦؛ الشيخ الصدوق: الخصال، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ)، ص٣٦٦- ٣٦٧؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٣٢-٢٣٣.
٤-سورة البقرة: آية ٢٠٧.
٥-العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت٣٢٠هـ - ٩٣٢م)، تفسير العياشي، (تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، د. ت)، ١/ ١٠١.
٦-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ٢٢٨؛ السبحاني: سيد المرسلين، ١/ ٥٩٣.

المعتمد اليوم وهو التاريخ الهجري، ومنها بدأ رسول الله ﷺ مرحلة جديدة في إكمال أسس الدعوة الإسلامية ونشرها.

ويتحدث المستشرق غابريلي عن رسول الله ﷺ في هذه الحقبة أي حقبة حياته في مكة بالقول: «فقد أحرز محمد خبرة دينية كبيرة بعد صبر طويل، ومعاناة، وبعد مدة من صباه غير السعيد من اليتم، ومدة شباب من الكد والعمل الجاد»[1].

ثم يقول: «إلا أن أمانته، وصدق مشاعره واضحة جداً لأي ذهنية غير متحزبة، وإن شجبه لشرك أجداده لم يمنعه من شعوره أولاً بالتضامن مع تقاليد موطنه، وبلدته، ولا مع أعيادها، أو عادتها»[2].

ويضيف غابريلي: «ان مصدر وسر كل عمله اللاحق كمصلح ديني واجتماعي للتاريخ ينبغي البحث عنه في هذه الحقبة المبكرة من دعوته، فبين صخور مكة الجرداء تفتحت أول زهرة كان لها في المدينة أن تحمل مثل هذه الوفرة من الثمار التي لم تكن متوقعة»[3].

لقد عانى رسول الله ﷺ بعد أن صدح برسالة ربه، وأعلن ثورته الإلهية على واقع الوثنية والشرك، معاناة لا مثيل لها، فقد انقلبت أوضاع حياته رأساً على عقب، ولم يكن من السهل على المشركين الذين اعتادوا عبادة الأصنام، وتربوا على الوثنية والفساد، أن يتخلوا عن عاداتهم، وممارساتهم المتجذرة في حياتهم، كما أن زعامات قريش، ومراكز القوى فيها، كانت تبذل كل جهدها للحفاظ على نفوذها، ومكانتها، وترى في الرسالة المحمدية هدماً لمواقعها، وضرباً لمصالحها؛ لهذا ولغيره انتفضت قريش وزعماؤها لصد رسول الله ﷺ وردعه، وشنوا عليه حرباً ضارية شاملة، فاتهموه بالكذب، والجنون، والسحر، بعد ما كان يعرف بينهم بالصادق الأمين، وصار معرضا للسخرية، والإهانة،

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٣.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٣.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٤.

والتحقير (حاشاه الله من ذلك)، بعد أن كان معززاً محترماً في أوساطهم، ففرضوا حصاراً اقتصادياً مميتاً عليه، وعلى عشيرته، فَقَد بسببه أقربَ الناس إليه عمَّه وناصرَه أبا طالب، وزوجته وسنده السيدة خديجة بنت خويلد، وعملوا مقاطعة اجتماعية كبيرة عليه، وعلى أسرته من بني هاشم، فلجأ ﷺ وأسرته إلى شعب من شعاب الجبال بظاهر مكة، يعانون الحرمان والحصار الاقتصادي والاجتماعي، ولا يجدون في بعض الأحيان وسيلة إلى الطعام يدفعون بها جوعهم، وعلى الرغم من ذلك لم تذبل زهرة رسول الله ﷺ، بل كان قلبه متفتحاً بالأيمان والخير لهذه الأمة، ولديه اطمئنان بأن الله ناصره، وحقاً فإن الله أنجز وعده ونصر عبده.

الفصل
الثالث

الدعوة في المدينة

*** نبذة عن تاريخ المدينة المنورة**

لا بد لنا من التعرف على الموقع الجغرافي للمدينة المنورة، وتاريخها السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي قبل الهجرة النبوية الشريفة إليها.

-الموقع الجغرافي

تقع يثرب على بعد ثلاثمائة ميل شمال مكة، وتحيط بها الوديان من جهاتها الأربع، ويقع في الجهة الجنوبية الغربية منها جبل عير، وفي أقصى الشمال جبل أحد، وأودية المدينة تنحدر من الجنوب إلى الشمال، وتسير في انحدارها مياه الأمطار، فتجعل منها جنات ذات زرع، وخضرة، وبساتين تنبت فيها أشجار الفاكهة والنخيل[1].

سميت يثرب نسبة إلى يثرب بن قانية بن ارم بن سام بن نوح ﷺ لأنه أول من سكنها[2]، أو نسبة إلى يثرب بن بائلة بن مهلهل بن عوص بن عمليق وهو أول من اختطها[3]، وسميت عدة أسماء بعد الهجرة المباركة، هي (طيبة، والباقية، والموفّية، والمسكينة، والمباركة، والمحفوفة، والمحرّمة، والعذراء، والمسلمة، والمقدّسة، والشافية، والمرزوقة)[4].

وتذكر الروايات أنها كانت تسمى (مدينة يثرب)، فاختصرت وأصبحت تسمى المدينة، ولما دخلها رسول الله ﷺ أطلق عليها مدينة الرسول[5].

١-الشريف: أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (دار الفكر العربي، مصر، د. ت)، ص١١٣-٢١٣.
٢-البكري: أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٧٨٤هـ)، معجم ما استعجم، (حققه وضبطه: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، ٤/ ١٣٨٩ ؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د. ت)، ٤/ ٦٩.
٣-ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ- ١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، (ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ت)، ٢/ ٢٣
٤-ابن الفقيه: أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٣٤٠هـ- ٩٥٩م)، البلدان، (تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ص٨٠.
٥-جواد علي: المفصل، ٤/ ١٣٠.

- **تاريخ المدينة الاجتماعي**

كان العماليق[١] قد انتشروا في البلاد، فسكنوا مكة، والمدينة، والحجاز كلها، وعتوا وأفسدوا في الأرض، فبعث إليهم النبي موسى ﷺ جنداً من اليهود، فقتلوهم بالحجاز[٢].

ومن القبائل العربية التي كانت تسكن يثرب، قبل قدوم القبائل اليهودية وقبائل الأوس والخزرج هم بنو الحرمان وهم حي من اليمن، وبنو يثرد، وبنو انيف حي من بلي، وبنو معاوية حي من بني سليم، وبنو الشظية حي من غسان[٣].

وكان سبب سكن اليهود بلاد الحجاز أن موسى ﷺ لما أظهره الله على فرعون، وأهلكه وجنوده، بعث من اليهود إلى الحجاز، وأمرهم أن يقتلوا العماليق، فقدموا عليهم فقتلوهم، وقتلوا ملكهم، وأسروا ابناً له شاباً من أحسن الناس، فأقبلوا وهو معهم، وقبض الله موسى ﷺ قبل قدومهم، فلما سمع الناس بقدومهم تلقوهم، فسألوهم عن أمرهم، فأخبروهم بفتح الله عليهم، وقالوا: لم نبق منهم أحداً إلا هذا الفتى، قدمنا به على موسى فيرى فيه رأيه، فقالت لهم بنو إسرائيل: إن هذه المعصية لمخالفتكم نبيكم، لا والله لا تدخلوا علينا بلادنا، فحالوا بينهم وبين الشام، فعادوا إلى الحجاز، وسكنوا المدينة، وكانت الحجاز أكثر بلاد الله شجراً، وأطهرها ماءً، وكانت هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق[٤].

ويذكر أيضاً أن سبب قدوم اليهود إلى يثرب، أنهم يجدون في التوراة أن نبياً يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين، فأقبلوا من الشام ينشدون هذا البلد، فلما رأوا يثرب سبخة وحرة ونخلاً قالوا: هذا البلد الذي يكون له مهاجر النبي إليها فنزلوه[٥]؛ لأنهم كانوا

١-العماليق: هم بنو عملاق بن أرفخشد بن سام بن نوح ﷺ، وكانت العماليق ممن انبسط في البلاد، فأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله إلى الشام ومصر، فجبابرة الشام وفراعنة مصر منهم، وكان ساكنو المدينة منهم بنو هف، وسعد بن هفان، وبنو مطرويل. ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٨٤.

٢-ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن (ت٦٤٣هـ- ١٢٤٥م)، الدرة الثمينة في أخبار المدينة، (تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت)، ص٩.

٣-أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٧٨.

٤-ابن النجار: الدرة الثمينة، ص٩ ؛ أبو الفدا: تاريخ أبي الفدا، ١/ ٩٨.

٥-ابن النجار: الدرة الثمينة، ص٣٧.

يعتقدون أنه من بني إسرائيل، فلما تبين لهم أنه من بني إسماعيل عادوه، وأنكروا نبوته[١].

وهناك روايات تشير إلى أن قدوم اليهود إلى يثرب بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد، وتشريد من قبل الرومان، الذين هاجموا فلسطين، ودمروها، فاضطرت بعض القبائل اليهودية إلى النزوح، أو الهروب إلى الجزيرة العربية، فاستوطنوا في يثرب، وبعضهم سكن مناطق مجاورة ليثرب[٢].

وخرجت الأوس والخزرج من بلاد اليمن، وسكنت يثرب بسبب سيل العرم[٣]، وتفرقوا في نواحيها، ومنهم من نزل مع اليهود في قراهم، ومنهم من نزل وحده لا مع اليهود، ولا مع العرب الذين كانوا قد تآلفوا مع اليهود، وكانت اليهود لديها ثروة، وأملاك كثيرة، واستولوا على القرى وبنوا الحصون[٤].

١-الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، (قدم له: الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، ١/ ٣٤٧؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، ١/ ١٥٨.

٢-أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ- ٩٦٧م)، الأغاني، (تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط٣، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، ٢٢/ ٧٨؛ ولفنسون: إسرائيل أبو ذؤيب، تاريخ اليهود في بلاد العرب، (مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥هـ- ١٩٢٧م)، ص٩.

٣-سيل العرم: هو سيل كبير وقوي ضرب مدينة مأرب في اليمن بسبب خراب سدها الذي كان يفيد منه سكان تلك المنطقة في ري بساتينهم وسقي أراضيهم، وقد ذكر هذا السيل في القرآن الكريم من سورة سبأ، والعرم قيل اسم لمكان السد، أو نسبة لمطر كثيف، أو اسم للفأر الذي خرق السد. ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ١١٠.

٤-أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٧٩.

فعاش معهم الأوس والخزرج مدة من الزمن، ثم اتفقوا مع اليهود على أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً يأمن بعضهم بعضاً، ويمتنعون به ممن سواهم، فتحالفوا وتعاقدوا، وازداد عدد الأوس والخزرج، وصار لهم مال وعدد، فخافت اليهود منهم، وتآمروا عليهم، وفضوا الحلف، وخافت الأوس والخزرج أن تجليهم اليهود، فظهر منهم مالك بن العجلان[1] الذي كان من الأوس والخزرج، وكان ملك اليهود الفطيون[2] قد شرط أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى تدخل عليه أولاً ليفضّ بكارتها، فلما تزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من بني سالم، أرسل الفطيون رسولاً في طلبها، فعلم مالك بذلك فتزين بزي النساء، ودخل معها على الفطيون فقتله[3].

ثم خرج إلى الشام مستنجداً بأبي جبيلة أحد أمراء غسان في الشام من الخزرج، وكان قد نزل الشام حين نزلوا هم بالمدينة، فقاد جيشاً كبيراً، وتوجه كأنه يريد اليمن، واندس مالك بن العجلان مع الجيش، فنزل قرب يثرب، وأرسل إلى الأوس والخزرج فوصلهم وأعطاهم، ثم أرسل إلى اليهود: ليكرمهم من أعطياته، فخرج إليه كبارهم، فأمر لهم بطعام حتى اجتمعوا، فقتلهم جميعاً، وصار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة، وتفرقت الأوس والخزرج في يثرب، واتخذوا الأموال، وتوحدت كلمتهم وأمرهم، ثم دخلت بينهم حروب عظام، وكانت لهم أيام ومواطن مشهودة، ولعل اليهود كانت سبب هذه الحروب بالتحريض والتأجيج بينهم، فلم تزل تلك الحروب إلى أن بعث الله رسول الله محمد ﷺ إليهم[4].

١-مالك بن العجلان: بن زيد بن غنم بن سالم بن مالك بن سالم، سيد الأوس والخزرج في الجاهلية، وهو الذي قتل الفطيون اليهودي. ينظر ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، (تحقيق: الدكتور ناجي حسن، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ١/ ٤١٥.

٢-الفطيون: ملك بني إسرائيل في يثرب قبل الإسلام، وكانت اليهود والأوس والخزرج يدينون له، وكانت له فيهم سنة لا تتزوج امرأة إلا أدخلت عليه قبل زوجها ليفضّ بكارتها، قتله مالك بن العجلان. ينظر الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ- ٨٩٥م)، الأخبار الطوال، (تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م)، ص٤١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١/ ٦٥٦.

٣-الدينوري: الأخبار الطوال، ص٤١؛ ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، ص٢١٨.

٤-أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٨٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٨٥؛ ابن الضياء: تاريخ مكة، ص٢١٨.

- **الحياة الاقتصادية**

كانت يثرب تعتمد بشكل أساس على الزراعة؛ وذلك بسبب طبيعة المنطقة وموقعها الملائم لذلك، كما ساعد توافد العرب من مختلف المناطق إلى يثرب قبل دخول الإسلام إليها في توسيع نطاق الأراضي الزراعية فيها، فضلاً عن ذلك تبادل الخبرات، وتنوع المزروعات فيها، فظهرت زراعة أشجار النخيل، ومحاصيل القمح والشعير، وساعد ذلك التنوع على إنشاء عدد من الأسواق الجديدة في المدينة، كما اشتهرت المدينة المنورة قبل الهجرة بعدد من الصناعات، ومنها صناعة المعادن مثل السيوف، والأسلحة، والفؤوس، والقدور، وصناعة الحلي، وصناعة الأدوات الخشبية مثل المقاعد، والأبواب، والنوافذ، والأسرة، والصناديق، وكانت لهم تجارة مع بلاد الشام ومناطق أخرى[١].

وكان لليهود السيادة في الحياة الاقتصادية، فأكثر المناطق الخصبة كانت بأيديهم[٢]، وكانوا يحتكرون صياغة الذهب، والفضة، وصناعة الأسلحة، ويتاجرون بالربا، ويحتكرون جميع مصادر التجارة، ويستأثرون بالأرباح والثراء، وكانوا يستغلون حاجة الفقير نظير الاستدانة منهم مقابل رهن، أو ضعف المبلغ[٣]، فقوي نفوذهم، وصاروا يتحكمون في الأسواق، وحصلوا على الغنى والثراء بوسائل شتى[٤].

١-الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص٣٨٢-٣٨٣.
٢-ابن زبالة: أخبار المدينة، ص١٧١.
٣-الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص٣٨٢-٣٨٣.
٤-الندوي: السيرة النبوية، ص٢٥٥.

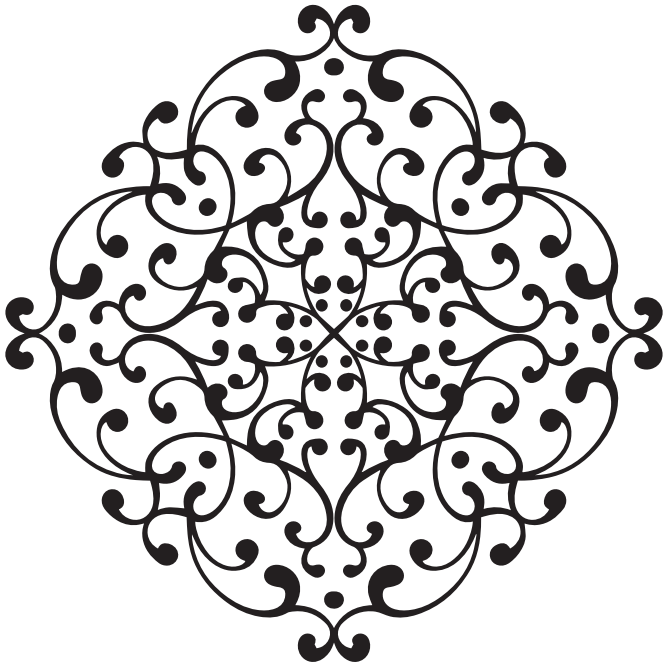

المبحث الاول

*** تأسيس الدولة**

يعتقد فرانشيسكو غابريلي أن رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة المنورة لم يكن زعيماً عليها، وإنما انحصرت زعامته على أصحابه من المهاجرين والأنصار، وباستمرار دعوته ازداد عدد أتباعه في المدينة المنورة، وبقي هناك عدد كبير من الوثنيين الذين ما زالوا غير مؤمنين، ولم يدخلوا الإسلام، أو انهم دخلوا الإسلام، وكانوا متذبذبين في ولائهم، وقد أشار القرآن الكريم إليهم بتعبير المنافقين[١]، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[٣].

ويضيف غابريلي انه كان هناك المجتمع اليهودي الذي تميز برابطة اجتماعية، ودينية وثيقة، حيث كان ينقسم على ثلاث مجاميع، وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، فضلاً عن بطون فرعية صغيرة[٤].

ويشير إلى عدد من المنافقين الذين أضمروا الحقد والكراهية للإسلام ونبيه ﷺ بقوله: «وهناك أفراد عنيدون مثل أبي عامر الراهب، وهو شخص -نوعاً ما- من أحناف المدينة، لم يقتنع بدعوة محمد لأسباب دينية، أو سياسية»[٥]، وأبو عامر الراهب هو عبد عمرو بن صيفي بن مالك من بني ضبيعة، ابنه حنظلة غسيل الملائكة[٦]، ترهب في الجاهلية، وخرج من المدينة إلى مكة، حاقدٌ ومبغضٌ لرسول الله ﷺ الذي سماه بالفاسق، شارك مع المشركين في معركة أحد، ثم هرب إلى الشام بعد فتح مكة، وتنصّر

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٩-١٥٠.
٢-سورة المنافقون: آية ١
٣-سورة البقرة: آية ١٥.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٠.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٠.
٦)) حنظلة غسيل الملائكة: حنظلة بن أبي عامر أحد الصحابة المقربين من رسول الله، لما أراد الخروج إلى أحد واقع زوجته، فخرج للقتال وهو جنب وقُتِلَ شهيدا فغسّلته الملائكة فيقال له غسيل الملائكة، ولده عبد الله بن حنظلة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٥/ ٦٦.

عند الروم، ومات فيها[1].

ومن المنافقين أيضاً عبد الله بن أبي بن سلول، وسلول بنت الحارث الخزاعية أمه تلقب بها، وقيل جدته[2]، كان رأس المنافقين في المدينة حيث كانت الأوس والخزرج قبل قدوم رسول الله ﷺ قد اتفقتا على أن يكون عبد الله بن أبي بن سلول كبيرهم وشيخهم، ولما بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة، واعتنق عدد منهم الإسلام أُلغي هذا الاتفاق بعد هجرة رسول الله ﷺ، فحقد عبد الله بن أبي سلول على رسول الله ﷺ، وأضمر له العداوة، ولم يؤمن بل كان ينافق بإسلامه[3].

ولما دخل رسول الله ﷺ المدينة، وشاهد عبد الله بن أبي بن سلول ذلك الاستقبال والترحيب الكبيرين الذين لاقاهما رسول الله ﷺ، أبغضه جداً، ولم يستطع إخفاء عداوته، فعند وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة، واستقبال الأنصار المهاجرين له، وكلاً يريد أن يتشرف باستقباله في منزله، ثم كان الرأي أن يرخي زمام ناقته ﷺ لتبرك حيث تريد، فأخذ عبد الله بن أبي بن سلول كمّه ووضعه على أنفه، وقد ثارت الغبرة بسبب الزحام وقال لرسول الله ﷺ بنبرة الغاضب: «يا هذا اذهب إلى الّذين غرَّوك، وخدعوك، وأتوا بك، فانزل عليهم، ولا تغشنا في ديارنا!!» فقام سعدُ بن عبادة وقال: يا رسول الله لا يهمك من قول هذا شيء، فإنّا كنّا اجتمعنا على أن نملِّكهُ علينا، وهو يرى أنّك قد سلبتهُ ملكه الذي أشرف على نيله»[4].

هذا أحد نماذج المنافقين، بل هو كبيرهم، وستتبين مواقفه تجاه الإسلام، ورسوله ﷺ بعد ذلك.

ثم يثني المستشرق غابريلي على رسول الله ﷺ لما أبداه من قدرة، وقوة في شق طريقه تدريجياً في الدعوة على الرغم من القوى التي جابهته وعارضته فيقول: «وقد أظهر النبي

١-ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٧.
٢-المقريزي: إمتاع الأسماع، ١٤/ ٣٤٣.
٣-المجلسي: بحار الأنوار، ١٩/ ١٠٨؛ السبحاني: سيد المرسلين، ١/ ٦٢٣.
٤-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣٥؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١٩/ ١٠٨.

نفسه قادراً على أن يشق طريقه تدريجياً وسط هذه القوى المعارضة، وكان ذلك بفضل حسن تقديره لعامل الزمن، وحكمة داهية في تمييز الأشخاص والمواقف، وخليط من الدهاء، والفطنة، والهدوء، والطاقة، والحيوية»[1].

نذهب بكل ما قاله غابريلي في وصفهِ لرسول الله ﷺ في تلك المدة، فقد كانت تتطلب قائداً ملهماً، ذا حنكة وصبر يستطيع أن يدرك الأمور التي تحيط به، مستوعباً للمجتمع الذي انتقل إليه ليبني دولته، ويتمم دعوته، ويجب أن لا نغفل عن الوحي الرباني الذي أمد الله به رسوله الكريم ﷺ، ليكمل رسالته الإنسانية على وفق المنظومة الإلهية.

*** بناء المسجد (١ للهجرة)**

هذا الصرح البسيط في محتواه المادي، والكبير في محتواه الديني، والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، فهو من الركائز الرئيسة للدعوة الإسلامية، حيث كان يعد المنبر الأول الذي كان ينادى به إلى توحيد الله، والإيمان بالرسالة الإسلامية من الاذان الذي كان يصدح به خمس مرات في اليوم، وكذلك كانت تلقى فيه الخطب الدينية، وخطبة الجمعة من لدن رسول الله ﷺ التي كان يوجه بها المسلمين، فضلاً عن ذلك فقد كان يعلمهم الإسلام، ويفسر لهم آيات القرآن الكريم، ويحثهم على الجهاد في أوقات الحرب، وكان المسجد مقراً لإدارة الدولة الإسلامية حيث كانت تعقد فيه الاجتماعات، والحوارات التي تناقش أمور دولة الإسلام، ومنتدى للتعليم والتوجيه بالحلقات التي كانت تُعلم فيه أحكام الدين، وكذلك تعليم الصبية القراءة والكتابة، ومركزاً اقتصادياً توزع فيه الغنائم على المسلمين، وتناقش فيه أمور التجارة، والسوق، ومقراً قضائياً لدولة المدينة حيث كان رسول الله ﷺ يقضي فيه بين المتخاصمين، ويحل الخلافات بينهم، ومأوى للمساكين، والفقراء الذين كانوا يأوون إليه للمبيت، ويجتمع فيه المسلمون، وتتآلف قلوبهم فيه.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٠.

ويذكر أنه بعد وصول رسول الله ﷺ المدينة حيث المكان الذي بركت فيه الناقة تم بناء المسجد، وكان مكانه أرضاً لمالك بن النجار، اشتراه رسول الله ﷺ، واختط مكان المسجد، وكان ﷺ يشارك أصحابه في البناء ليرفع من عزيمتهم في العمل، وكان يقول: ((لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة))[1]. وارتجز أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال:

لاَ يَسْتَوي مَنْ يَعْمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يرى عن الغبار حائدا[2]

لقد تم بناء جدران المسجد بمادة اللبن، وتتوسطه أعمدة من جذوع النخيل، تحمل سقفاً من جريد النخيل، كانت جهة قبلة المسجد إلى بيت المقدس؛ لأن المسلمين كانوا يتوجهون في صلاتهم إليها[3].

فمن هذا المكان انطلقت الحضارة الإسلامية، ومنه انطلق النور الذي يملأ الأرض عدلاً، ومن هذه البقعة خرجت الصفوة من علماء الإسلام، وحكمائه، وأصبح فيما بعد منارة لكل العالم، وفيه توارى جسد رسول الله ﷺ.

ونلاحظ مما تقدم أن المستشرق غابريلي قد أغفل -عن قصد، أو عن غير قصد- هذا الجانب التنظيمي المهم، فلم يشر إليه، ولم يتطرق إلى تفاصيله، وأهميته على جميع الأصعدة التي تطرقنا إليها.

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٣٤٤؛ العامري: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى (ت٨١٦هـ - ١٤١٣م)، بهجة المحافل وبغية الأماثل، (عني به: أبو حمزة أنور بن أبي بكر الداغستاني، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص١٣٥.

٢-ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، (جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م)، ص٣٧؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٣٤٤.

٣-العامري: بهجة المحافل وبغية الأماثل، ص١٣٦.

*** المؤاخاة (١ للهجرة)**

والمؤاخاة: في اللغة هي الإِخاء والتأَخِّي، والأُخوَّة قرابة الأَخ، والتأَخِّي اتخاذ الإِخوان[١]، واصطلاحاً هي أن يتعاهد رجلان على النصرة، والمواساة، والتوارث بينهما كالأخوين[٢].

وتعَدّ المؤاخاة من التنظيمات المهمة التي لم يتطرق إليها المستشرق غابريلي أيضاً، ولم يشر إليها على الرغم من أهميتها الكبيرة، كذلك بعض المستشرقين مثل مونتمغري وات في كتابه محمد في المدينة، وغيره لم يعرجوا على ذكر بناء المسجد، ولا المؤاخاة، ولم يبينوا دورهما في بناء الدولة الإسلامية، ونشر الإسلام، وإنما ركزوا كتاباتهم على السرايا والمعارك فقط؛ ليظهروا أن الإسلام قد انتشر، وتوسع بفعل السيف والدم، وقد كذب القرآن الكريم ادّعاءهم بقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[٣].

وتعد هاتان الركيزتان من الركائز المهمة في توطيد دعائم الإسلام، وبناء مجتمع متماسك يقوم على مبدأ التآخي، والمحبة، والإيثار، فضلاً عن ذلك فقد عالج رسول الله ﷺ بهاتين الركيزتين حالة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية مهمة؛ ليكون المجتمع قادراً على مواجهة التحديات الكامنة في كل جانب، من مشركي مكة الذين يحاولون بكل جهدهم الوقوف بوجه رسول الله ﷺ، ومنع دعوته من الانتشار، وأن تكون له دولة قوية موحدة تهدد نفوذهم، ومصالحهم، ولاسيما في مكة المكرمة، وكذلك هناك اليهود الذين عاثوا فساداً في المجتمع المدني بإثارة العداوة والبغضاء، والحروب بين الأوس والخزرج، وذلك للسيطرة على المدينة مادياً ومعنوياً، فلن يتركوا رسول الله ﷺ يتولى زمام الأمور، ويصلح ما أفسدوه من أمور الناس.

١-ابن منظور: لسان العرب، ١٤/ ٢٢.
٢-المازندراني: مولي محمد صالح (ت١٠٨١هـ- ١٦٧٠م)، شرح أصول الكافي، (تحقيق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، ١٢/ ١٨٦.
٣-سورة النحل: آية ١٢٥.

لذلك قام رسول الله ﷺ لمّا قدم المدينة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأَنصار، فآخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأَرحام[1]، فقال ﷺ: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: هذا أخي، وآخى بين أبي بكر بن أبي قحافة وخارجة بن زيد الخزرجي، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش ويُقال: بل كانت المؤاخاة بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، وبين سعيد بن زيد وأبي بن كعب، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، ويقال: بل كانت المؤاخاة بين عمار بن ياسر وثابت بن قيس بن شمّاس[2].

ويذكر أن المؤاخاة كانت مرتين، مرة بين المهاجرين أنفسهم وذلك في مكة قبل الهجرة تآخوا وتعاهدوا على النصرة والأخوة في الدين، والمرة الثانية تلك التي حصلت في المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار[3].

ويروى أن أميرَ المؤمنين عليّا عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: «لقد ذهب روحي، وانقطع ظهري، لما رأيت ما فعلت بأصحابك، وما فعلت لي ذلك، فقال الرسول ﷺ والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي»[4].

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٤٨.

٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٤٨؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٣٦٣.

٣-العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي (ت٨٥٥هـ- ١٤٥١م)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ت)، ١٧/ ٦٨.

٤-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٢/ ٥٢؛ ابن شهر آشوب: المناقب، ٢/ ٣٣؛ المحاوزي: سليمان بن عبد الله (ت١٠٧٥هـ- ١٦٦٤م)، الأربعون حديثا، (تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مطبعة أمير، ١٤١٧هـ)، ص٢٣٦.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وجعل المواريث على الأخوة في الدين لا في ميراث الأرحام، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[1]، فكان من مات من المسلمين يصير ميراثه وتركته لأخيه في الدين دون القرابة والرحم[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3].

وكان إعلان المؤاخاة لهدف يبتغيه رسول الله صلى الله عليه وآله، لكي لا يعامل الأنصار المهاجرين كحلفاء الجاهلية؛ لأن الحليف كان يعامل بدرجة أدنى على وفق التقاليد السائدة قبل الإسلام؛ لذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون العلاقة بين الأنصار والمهاجرين متساوية في جميع الحقوق والواجبات[4]، ونلاحظ أن هذا المبدأ الذي أوجده رسول الله صلى الله عليه وآله قد عملت به الشريعة الإسلامية، وأكد عليه صلى الله عليه وآله بقوله: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه فإن الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[5]. وينقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «من استفاد أخاً في الله، استفاد بيتا في الجنة»[6].

١-سورة الأنفال: آية ٧٢.
٢-المجلسي: بحار الأنوار، ١٩/ ٩١ ؛ الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ- ١٦٩٣م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ١٤١٤هـ)، ٢٦/ ٦٥.
٣-سورة الحشر: آية ٩.
٤-الحمداني: السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق عليه السلام، ص٣٤٩.
٥-أبو داود: ابن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ- ٨٨٨م)، سنن أبي داود، (تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، ٢/ ٤٥٤.
٦-الحر العاملي: الفصول المهمة في أصول الأئمة، (تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، ط١، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، ١٤١٨هـ)، ٣/ ٣٥٥.

*** وثيقة المدينة**

بعد بناء المسجد وإعلان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أخذ رسول الله ﷺ يعمل على تنظيم العلاقات بين سكان المدينة المنورة من جهة، وتثبيت أركان الدولة الجديدة من جهة أخرى، فقد قام بإعلان الوثيقة، أو الصحيفة، التي عُدّت دستوراً للمسلمين لتنظيم الحياة العامة في المدينة، وتحديد العلاقات بين المجتمع المدني، وجيرانه من اليهود وغيرهم، وتدل هذه الوثيقة على مقدرة فائقة لرسول الله ﷺ من الناحية التشريعية، وعلى علم كبير بأحوال الناس، وفهم ظروفهم.

وحين يتطرق المستشرق غابريلي إلى الوثيقة التي وضعها رسول الله ﷺ يقول: «ففي هذه الوثيقة التي تنطوي على أهمية تاريخية، وقانونية، ولغوية، أعلن النبي أن سكانَ المدينة المؤمنين منهم، والوثنيين، واليهود، أمة واحدة، وسعى جاهداً إلى تنظيم العلاقات بين مختلف عناصرها، موصياً إياهم بالمحافظة على بعض المعايير التقليدية المحددة السائدة في حقبة قبل الإسلام، أمثال المسؤولية الجماعية للمجموعة القبلية في حالات الفداء، وإراقة الدماء، والثأر، جنبا إلى جنب مع الواقع الجديد الذي قد حققه»[1]، إلا أن غابريلي لم يذكر بنوداً، أو نصوصاً من هذه الوثيقة المهمة، وما جاء فيها، بل اكتفى بما تم ذكره، وهذه الوثيقة القيمة سيتبين تأثيرها فيما بعد. ومضمون الوثيقة هو:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم:

١. إنّهم أُمّةٌ واحدةٌ من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم[2] يتعاقلون[3] بينهم وهم يفدون عانيهم[4] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥١.
٢-الربعة: أي الدار، وجمعها رباع، وربوع. ينظر الرازي: مختار الصحاح، ص١٢٦.
٣-يتعاقلون: أي يدفعون دية القتيل. ينظر الجوهري: الصحاح، ٥/ ١٧٧٠.
٤-العاني: يعني الأسير. ينظر ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ- ٨٥٨م)، إصلاح المنطق، (تحقيق: الشيخ محمد حسن بكائي، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد- إيران، ١٤١٢هـ)، ص٢٧١.

٢. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، كلُّ طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وهكذا بنو ساعدة وبنو الحارث، وبنو جشم، وبنو النجار، وبنو عمرو بن عوف وبنو النبيت، وبنو الأوس كلٌّ على ربعتهم.

٣. وإنَّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً[١] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

٤. وإنَّ المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة[٢] ظلم أو إثم أو عُدوان أو فساد بين المؤمنين، وإنّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلدَ أحدهم.

٥. وأن لا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه.

٦. ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن.

٧. وإنَّ ذمةَ الله واحدة يجيرُ عليهم أدناهم.

٨. وإنَّ المؤمنين بعضهُم موالي بعض دون الناس.

٩. مَن تبعنا من يهود فإنَّ له النصرَ والأسوةَ غيرَ مظلومِين، ولا متناصرين عليهم.

١٠. وإنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يُسالَمُ مؤمنٌ دون مؤمن قتال في سبيل الله إلاّ على سواء وعَدل بينهم.

١١. كلَّ غازية غزت معنا يعقّب بعضها بعضاً.

١٢. وإنّ المؤمنين يبئ بعضهُم على بعض بما نالَ دماءَهم في سبيل الله.

١٣. وإنّ المؤمنين المتقين على أحسنِ هدى وأقومه.

١٤. لا يجير مشركٌ مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

١٥. من اعتبط[٣] مؤمناً قتلا عن بيّنة فإنّه قِوَدٌ به إلاّ أن يرضى ولي المقتول، وإنّ المؤمنين عليه كافّة، ولا يحلُّ لهم إلاّ قيامٌ عليه.

١٦. لا يحلُّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمنَ باللهِ واليومِ الآخر، أن يَنصُرَ مُحدِثاً ولا

١-مفرح: أي مكثر بالدين. ينظر الفراهيدي: العين، ٣/ ٢١٣.
٢-الدسيعة: يعني العطية. ينظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٧٩.
٣-اعتبط: من النحر والقتل. ينظر الزبيدي: تاج العروس، ١٠/ ٣٣٢.

يؤويه، وأنه من نصرَهُ، وآواه فعليهِ لعنةُ اللهِ وغضبُه يوم القيامة، ولا يُؤخذُ منه صرفٌ ولا عدلٌ.

١٧. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردَّهُ إلى الله عزّ وجلّ وَإلى محمّد ﷺ.

١٨. وإنّ اليهودَ ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

١٩. وإن يهود بني عوف أُمةٌ مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلاّ من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[1] إلّا نفسه وأهل بيته.

٢٠. ليهود بني النجار، وبني الحارث وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس وبني ثعلبة، وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، من الحقوق والامتيازات، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإنّ لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف.

٢١. وإنَّ البرَّ دونَ الإثم.

٢٢. وإنَّ موالي ثعلبة كأنفسهم.

٢٣. وإنّ بطانة يهود كأنفسهم.

٢٤. وإنه لا يخرج منهم أحدٌ إلاّ بإذن محمد ﷺ.

٢٥. وإنّه لا ينحجز على ثأرٍ جرحٌ، وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته إلاّ من ظلم.

٢٦. على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة.

٢٧. وإنّ بينهم النصحَ والنصيحة والبر دون الإثم.

٢٨. وإنّه لم يأثم أمرؤ بحليفه، وإن النصرَ للمظلوم.

٢٩. وإنّ يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة.

٣٠. وإنَّ الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم.

٣١. وإنّه لا تُجار حرمة إلاّ بأذن أهلها.

١-يوتغ: أي هلك وفسد واثم. ينظر ابن منظور: لسان العرب، ٨/ ٤٥٨.

٣٢. ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فسادُه فإن مردَّهُ إلى اللهِ عزّ وجلّ وإلى محمّد رسول الله ﷺ.

٣٣. إنَّ الله على اتّقى ما في هذه الصحيفة وأبرهُ.

٣٤. وإنّه لا تُجارُ قريشٌ ولا من نَصَرَها.

٣٥. وإنّ بينهم النصر على من دهم يثربَ.

٣٦. وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه، ويلبسونه، فإنهم يصالحونهُ ويَلبسونه، وإنّهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلاّ من حاربَ في الدين.

٣٧. وإنّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.

٣٨. وإنّهُ لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم.

٣٩. وإنّه من خرج من المدينة آمنٌ، ومن قعد آمن إلاّ من ظلم أو أثم.

٤٠. وإنّ الله جارٌ لِمَن بَرَّ واتّقى، ومحمَّد رسول الله»[١].

نلاحظ أن بنود الوثيقة قد ضبطت العلاقة بين أبناء المجتمع المدني بكل طوائفهم، وأديانهم، وبهذا قد أسقطت القول الزائف الذي يدعي أن الإسلام هو دين قوامه علاقة الإنسان مع ربه فقط[٢]، ولذلك يشير فلهاوزن[٣] إلى أن الوثيقة كانت تحوي نقاطاً قانونية كبيرة استطاعت أن تنظم الحياة العامة والسياسية للمدينة، وأصبحت المدينة بموجبها أمة بالمعنى المطلق[٤].

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٤٣-١٤٦؛ أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ- ٨٣٧م)، الأموال، (تحقيق: الدكتور محمد عمارة، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، ص٢٩١-٢٩٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣١٨-٣٢٠.

٢-حوى: سعيد، الأساس في السنة وفقهها، (ط٣، دار السلام للطباعة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)، ص٤٠٧-٤٠٩.

٣-يوليوس فلهاوزن: عالم الماني ولد في مدينة هاملن عام ١٨٤٤م، درس اللاهوت في مدينة جويتنجن، تخصص في الدراسات الخاصة بالكتاب القديم، وفي التاريخ العربي، من مؤلفاته: بقايا الوثنية العربية، وترجمة كتاب المغازي للواقدي. ينظر فلهاوزن: يوليوس، تاريخ الدولة العربية، (ترجمة: دكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م)، ص٤-٥.

٤-فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص١١.

والمستشرق الروماني كونستانس جيورجيو[1] في محور تعليقه على دستور المدينة يذكر أن الأنبياء الآخرين لم يراعوا مسألة الأديان الأخرى كما راعاها رسول الله ﷺ، فنجده وبكل رحابة صدر يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش جنباً إلى جنب مع المسلمين في المدينة، ويوجه بعدم التعرض إليهم، أو إجبارهم على الدخول في دينه، وهذا يدلل على الحرية والمساواة[2].

بينما حاول المستشرق وات التشكيك بصحة هذه الوثيقة، معترضاً على تاريخ الوثيقة، وعلى مكانة رسول الله ﷺ في المدينة، هذه المكانة التي سمحت له أن يكون هو صاحب الأمر والنهي في المدينة[3]، وادعاءات وات هذه واهية لا تصمد أمام الوثائق التاريخية والأخبار الصحيحة.

*** موقف اليهود والنصارى**

يوضح غابريلي بالقول: «إن رسالة وحدانية الله التي أودعه الله إياها تتطابق مع تلك التي تدعو إليها الديانتان اليهودية والنصرانية، وانه كان يعرف عنهما معرفة غير واضحة»[4]. ويجب علينا التوقف هنا، فإن غابريلي لم يكن موفقاً في قوله هذا، فرسول الله ﷺ كان على علم، ومعرفة، ودراية كاملة بكل الأديان السماوية، بما بلغه به الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن أهل الكتاب وغيرهم، وسنورد هنا بعض الآيات القرآنية التي نزلت في مكة بحق اليهود والنصارى؛ واقتصرنا على مكة لأن رسول الله ﷺ كان ما يزال فيها، ولم يهاجر إلى المدينة ويحتك باليهود حتى يعرف عن أحوالهم، لذلك غفلنا عن الآيات التي نزلت في المدينة.

١-كونستانس جيورجيو: ولد عام ١٩١٦م في مدينة مولدواي الرومانية، درس وتخرج من جامعة بوخارست، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، وأعجب بشخصية رسول الله محمد ﷺ، عُين في السلك الخارجي وأصبح وزير خارجية رومانيا، وبعد الحرب العالمية الثانية هاجر إلى فرنسا وعمل بالتدريس هناك. ينظر جيورجيو: كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، (تعريب: الدكتور محمد التونجي، ط١، الدار العربية للمطبوعات، ١٩٨٣م)، ص٥.

٢-جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله، ص١٩٣.

٣-وات: محمد في المدينة، (تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، د. ت)، ص٣٤٣.

٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٢.

بعض الآيات المكية التي أشارت إلى ذلك:

١. ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[١].

إن الله سبحانه وتعالى أخبر بني إسرائيل في التوراة أنكم ستفسدون في الأرض، وتعلون علواً كبيرا، وتطغون طغياناً عظيما، وتتجبرون على عباد الله[٢]. فهذا إخبار من لدن الله سبحانه تعالى عن حال اليهود.

٢. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣]. ويشير هنا إلى اليهود والنصارى، فقد كانوا يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وقد أهلكوا أنفسهم، وألقوها في نار جهنم بإنكارهم رسالته، وانه نبي مرسل من الله، وهم بحقيقة ذلك عارفون[٤]. وهنا أيضا إخبار لرسول الله ﷺ عن اليهود.

٣. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥].

٤. ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٦].

٥. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٧].

٦. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨].

١-سورة الإسراء: آية ٤
٢-الطوسي: التبيان، ٦/ ٤٤٨ ؛ الطبرسي: تفسير جوامع الجامع، ٢/ ٣٦٠.
٣-سورة الأنعام: آية ٢٠.
٤-الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ٩/ ١٨٦.
٥-سورة الأعراف: آية ١٥٧.
٦-سورة الشعراء: آية ١٩٧.
٧-سورة الأنعام: آية ١٠١.
٨-سورة يونس: آية ٦٨.

٧. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[١].

هذه الآيات القرآنية التي ذكرناها وغيرها كثير جداً كانت تخبر رسول الله ﷺ عن اليهود والنصارى، وما فعلوه مع أنبيائهم.

٨. قدم على رسول الله ﷺ مجموعة من النصارى من الحبشة في مكة قبل الهجرة، فجلسوا إليه في المسجد الحرام، وكلموه، وسألوه عما أرادوا، وتلا عليهم القرآن، ففاضت أعينهم بالبكاء، ثم دعاهم إلى الإسلام فاستجابوا له، فلما خرجوا منه اعترضهم أبو جهل محاولاً ثنيهم عن الإسلام، فلم يثنهم ذلك، وتركوا أبا جهل وهم على إسلامهم[٢].

٩. إن قريشاً بعثت النضر بن الحارث[٣]، ومعه عقبة بن أبي معيط[٤]، إلى أحبار اليهود في المدينة، يسألونهم عن رسول الله ﷺ وعن صفته عندهم في التوراة، فقدما المدينة، وسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ وصفته، قالا لهما: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقال لهما أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتقول (أي كذاب)، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟، وسلوه عن الروح ما هي؟، فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل مُتَقوّل، فاصنعوا في الرجل ما بدا لكم، فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة، وأخبرا رجال قريش ما سمعا من أحبار اليهود، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وقد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق

١-سورة الأنبياء: آية ٢٥.

٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٢.

٣-النضر بن الحارث: بن كلدة بن عبد مناف، وهو ابن خالة رسول الله، وكان يؤذيه كثيرا، وهو صاحب لواء المشركين يوم بدر تم أسره في المعركة وأمر رسول الله بقتله. ينظر البحراني: حلية الأولياء، ١/ ٨٣.

٤-عقبة بن أبي معيط: بن أبي عمرو بن أمية، من أشد الناس عداوة وإيذاء للرسول، جيء به مع الأسرى في معركة بدر فأمر الرسول بقطع عنقه. ينظر اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٦ ؛ السرخسي: محمد بن أحمد (ت٤٨٣هـ- ١٠٩٠م)، شرح السير الكبير، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، ١٩٦٠م)، ٣/ ١٠٢٥.

الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟، فقال لهم: أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثنِ، فمكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل حتى تخوف أهل مكة، وحزن رسول الله، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل والروح[1]. فهذه الحادثة تدلل أيضا أن الله سبحانه وتعالى كان يخبر رسوله ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وبضمنها أخبار اليهود، والنصارى.

١٠. كذلك حادثة ذهاب رسول الله ﷺ إلى الطائف، وما تعرض له من أذى، ولقائه بعداس النصراني في بساتين الطائف، ومحادثته إياه عن النبي يونس عليه السلام[2]، فهذا دليل آخر أن رسول الله ﷺ كان على معرفة واسعة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة، وليس الأمر كما يدعي غابريلي من أنه كانت لديه معرفة غير واضحة عن باقي الديانات.

كما كانت لليهود في المدينة مجادلات مع رسول الله ﷺ فيذكر أنَّ مجموعة من اليهود جاءت له ﷺ فقالوا: «يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي. قال: سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله عز وجل، وما أخذ يعقوب على بنيه لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتبايعني على الإسلام، قالوا: فذلك لك، قالوا: أربع خلال نسألك عنها: أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة، وكيف الأنثى منه والذكر؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن يليه من الملائكة؟ وأخبرنا ما هذا الرّعد؟ فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه: لئن أخبرتكم لتبايعنّي. فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال: فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً طال سقمه، فنذر لئن عافاه الله عز وجل ليحرمن أحب الطعام والشراب، وكان أحب الطعام إليه

١-ابن إسحاق: السيرة النبوية، ص٢٣٩ ؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ١٩٥-١٩٦؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢/ ٣٤٥-٣٤٦.

٢-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٤٤-٣٤٦؛ الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٢٨؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١/ ٦١.

لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها، فقالوا: اللهم نعم، اللهم اشهد. قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فإيهما علا كان الولد والشبه بإذن الله عز وجل: إن علا ماء الرجل كان ذكراً بإذن الله تعالى، وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله تعالى. قالوا: اللهم نعم اللهم اشهد. قال: فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن النبيّ الأمي تنام عينه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم اللهم اشهد. قالوا: أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك قال: وليي جبريل، ولم يبعث الله عز وجل نبياً قط إلا وهو وليه. قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوني؟ قالوا: هذا عدونا من الملائكة. فأنزل الله عز وجل: ﴿**قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[1]»[2].

ثم يعود غابريلي متعجباً من موقف اليهود من رسالة الإسلام فيقول: «أما في حال الديانة اليهودية فليس هناك وجود لمثل هذا العائق [يقصد مسألة الخلاف في أن المسيح ابن الله التي ترفضها العقيدة الإسلامية]، وإن رفضَ اليهود لرسالته كان يبدو أكثر غرابة، وأكثر إيلاماً بالنسبة إلى النبي العربي»[3].

وينقل عن ابن عباس أنه لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ أتوهم أحبار من اليهود، وتنازعوا عند الرسول، فاليهود يقولون ليست النصارى على شيء وأنكروا نبوة عيسى ﷺ، وكفروا بالإنجيل، وقالت النصارى: إن اليهود ليست على شيء وأنكروا نبوة موسى ﷺ، وكفروا بالتوراة[4]، فنزلت فيهم الآية المباركة: ﴿**وَقالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَقالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ**

١-سورة البقرة: آية ٩٧.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/ ١٧٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/ ١٩٣؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٤٠٢.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٢.
٤-الطبرسي: مجمع البيان، ١/ ٣٥٢.

قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحكم بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1].

ومن المواقف الأخرى مع رسول الله ﷺ أن نصارى نجران لما وفدوا عليه، فأقبلوا يضربون الناقوس، فقال أصحاب رسول الله: «يا رسول الله، هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم فلمّا فرغوا، دنوا من رسول الله ﷺ، فقالوا: إلى ماذا تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسول الله، وأنَّ عيسى عليه السلام عبدٌ مخلوق يأكل، ويشرب، ويُحدث قالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي عليه فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم، أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويُحدث وينكح؟ فسألهم ﷺ فقالوا: نعم. قال: فمن أبوه؟ فبهتوا، فأنزل الله: **﴿إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[2] فقال لهم: فباهلوني[3]، فإن كنت صادقاً، أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً، أُنزلت عليَّ، فقالوا: أنصفت. فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم، قال رؤساؤهم: إن باهلنا بقومه باهلناه، فإنَّه ليس نبيّاً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصّة لم نباهله، فإنَّه لا يقدّم أهل بيته إلّا وهو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، ومعه أمير المؤمنين علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال النصارى: من هؤلاء؟ فقيل لهم: هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه عليّ بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين، ففرقوا، وقالوا له: نعطيك الرّضا فاعفنا من المباهلة، فصالحهم على الجزية وانصرفوا»[4].

١-سورة البقرة: آية ١١٣.

٢-سورة آل عمران: آية ١٥٩-١٦٠.

٣-المباهلة: أي الملاعنة وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١١/ ٧٢.

٤-ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ- ٩٣٩م)، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، د. ت)، ٢/ ٦٦٧؛ المفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان،١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، ١/ ١٦٨؛ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت٤٦٨هـ- ١٠٧٥م)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٥هـ)، ١/ ٢١٤ ؛ ابن طاووس: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت٦٦٤هـ- ١٢٦٦م)، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، (ط١، مطبعة الخيام، قم، ١٣٩٩هـ)، ص٤٢.

*** تحويل القبلة (٢ للهجرة)**

يقول غابريلي: «وأدى رفض اليهودية، وعدم اعترافها بدين محمد، إلى أن يؤكد على السمة العربية لرسالته، معلناً أن اليهود قد حرفوا وزوروا كتابهم المقدس، وأنهم حرفوا الوحدانية الحقة التي جاء بها جدهم إبراهيم إلى الجزيرة العربية، وأنه كان عليه أن يحييها ويصححها، وكان أوضح مظهر لهذا الذي يبدو تقريباً رمزاً لهذا التغيير في الموقف، تحويل القبلة، أي وجهة الصلاة، إذ غيّرها محمد من القدس إلى مكة، وعلى وجه الدقة في هذه الأيام الأولى في المدينة»[١].

إن كلام غابريلي لا يمت للحقيقة بصلة، وغير منطقي، وليس من أخلاق رسول الله ﷺ أن يبدل عملاً تشريعياً أمره به الله سبحانه وتعالى حقداً، أو بغضاً باليهود لموقف شخصي، وهو القائل في نبيه، والتزامه أمر ربه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[٢]، كما أن سمة الرسالة المحمدية كانت وما تزال سمة عالمية شمولية لم تختص بالعرب فقط؛ لأن الله سبحانه وتعالى أكد في العديد من آيات القرآن الكريم على عالمية الرسالة الإسلامية، وسنتطرق إليها لاحقاً. والحقيقة أن تحويل القبلة جاء بناءً على وحي إلهي وذلك في قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**﴾[٣].

أما عن سبب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام في مكة، فالروايات تذهب في ذلك إلى عدة أسباب:

١.عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تحوّلت القبلة إلى الكعبة بعدما صلى النبي ﷺ بمكة

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٣.
٢-سورة النجم: آية ٣-٥.
٣-سورة البقرة: آية ١٤٤.

ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، ثم وجّهه الله إلى الكعبة» بسبب أن اليهود كانوا يُعيّرون رسول الله ﷺ ويقولون له أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا، فاغتمّ رسول الله ﷺ من ذلك غمّاً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً، فلمّا أصبح وحضر وقت الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّى من الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام، فأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة[1].

ويذكر أن اليهود لما سمعت بذلك، جاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: «يا محمد لمَ غيرت القبلة التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم؟ ارجع إلى قبلتك فنتبعك»[2]، فأنزل الله فيهم قوله: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[3].

٢. ينقل أيضا أن الله قد أمر بتحويل القبلة لما رآه من حب رسول الله ﷺ ورغبته في التوجه إلى مكة، وذلك أنه ﷺ لما «قدم إلى المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان ﷺ يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله عز وجل: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[4]»[5].إكراماً للرسول الذي ولد وتربى في هذه البقعة المباركة وتشريفاً لها.

٣. وعن سبب تغيير القبلة يذكر أيضاً أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يمتحن الناس، ويُميّز المؤمنين بهذه الطريقة من غيرهم أمثال اليهود، وأمثال الذين كانوا يدّعون الإسلام، ويتظاهرون به، لكنهم لم يكونوا ملتزمين واقعاً وقلباً بأوامر الله، وأوامر

١-الطبرسي: مجمع البيان، ١/ ٤١٤-٤١٥ ؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١٩/ ١١٣-١١٤.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٩١ ؛ الطبري: تفسير الطبري، ٢/ ٥ ؛ ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٤٨.
٣-سورة البقرة: آية ١٤٢.
٤-سورة البقرة: آية ١٤٤.
٥-الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي (ت١٦١هـ- ٧٧٧م)، تفسير سفيان الثوري (صححه وعلق عليه وراجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص٥١؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٢/ ٢؛ الطوسي: التبيان، ٢/ ١٣.

رسوله ﷺ وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَت لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، وامتحانهم بغير ما ألفوه ليميزهم، ويعرف المنافقين من الصادقين[2].

١-سورة البقرة: آية ١٤٣.

٢-الإمام العسكري: أبو محمد الحسن بن علي العسكري ﷺ (ت٢٦٠هـ- ٨٧٤م)، تفسير الإمام العسكري، (التحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ط١، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ)، ص٤٩٥؛ ابن الجوزي: زاد المسير، (تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، ١/ ١٣٨؛ العاملي: السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، (ط٤، دار الهادي للطباعة والنشر، د. ت)، ٥/ ٣٣٢-٣٣٣.

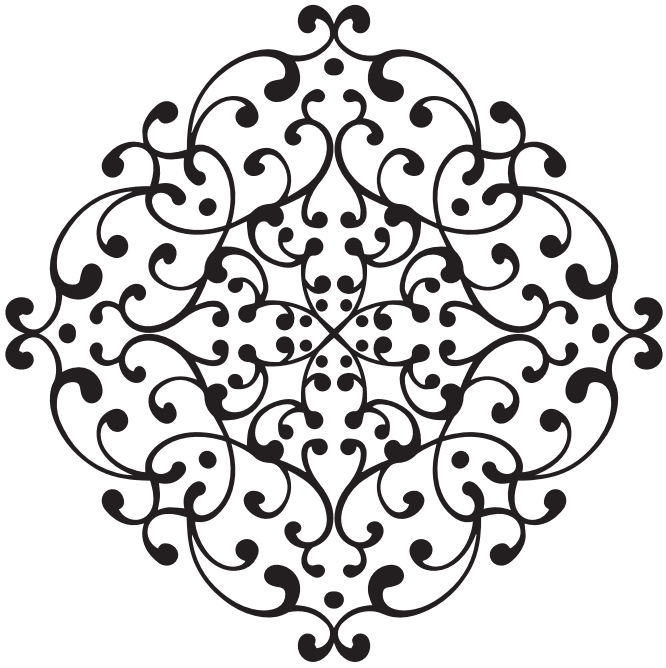

المبحث الثاني

زوجات رسول الله ﷺ

*** تعدد زوجاته ﷺ**

بُعث رسول الله ﷺ بالدين الإسلامي، الذي قام بالتشريع لجميع نواحي الحياة الإنسانية، وبضمنها الزواج، فنظم الحياة الزوجية على وفق التشريع الإسلامي، فأحل الزواج، وحرم الزنا، وأكد على بناء الأسرة، وهذا ما أكدته الآية الكريمة: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، فقد رغّب الإسلام بالزواج وبناء الأسرة، وقال رسول الله ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»[2]، وقوله ﷺ: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله تعالى من التزويج»[3].

وقد تحدّث غابريلي عن حياة رسول الله ﷺ الزوجية فقال: «وأما مسألة الحياة الزوجية والجنسية فهي مسألة أخرى كُتب عنها الكثير، وليس كله عقلانياً»[4]، مشيراً بذلك إلى محاولة بعضهم النيل من شخص رسول الله ﷺ بتعدد زوجاته.

إن تعدد زوجات رسول الله ﷺ أكثر من الحد المقرر في التشريع الإسلامي الذي ينص على أحقية الرجل بالزواج من أربع نساء على وفق الآية الكريمة: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا**﴾[5]، فإن زيجات رسول

١-سورة الروم: آية ٢١.

٢-الإمام زين العابدين: علي بن الحسين عليه السلام (ت٩٤هـ- ٧١٣م)، رسالة الحقوق، (شرح: حسن السيد علي القبانجي، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، ١/ ٣٩٨؛ ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ- ٨٨٨م)، سنن ابن ماجة، (تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ت)، ١/ ٥٩٦.

٣-الشيخ الصدوق: من لا يحضره الفقيه، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤٠٤هـ)، ٣/ ٣٨٣؛ العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر (ت٧٢٦هـ - ١٣٢٦م)، تذكرة الفقهاء، (منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، د. ت)، ٢/ ٥٦٥.

٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٤.

٥-سورة النساء: آية ٣.

الله ﷺ لم تأتِ لنزعة شهوانية، أو حباً بالنساء، فضلاً عن ذلك فإن المهام التي كانت على عاتق رسول الله ﷺ في تبليغ رسالته، وإدارة شؤون الدولة الإسلامية فيما يتعلق بالأعمال السياسية، والاجتماعية، والتشريعية لم تسمح له بأن يكون متفرغاً لهذه الأمور، فما كانت هذه الزيجات إلا لحكمة معينة أرادها الله سبحانه لرسوله ﷺ، وقد تكمن هذه الحكمة في تقوية رسالة الإسلام، وكسب المناصرين له بالتقرب إلى القبائل ودخولهم في الإسلام، أو كسب ود بعض الأطراف ذوات الدور الفاعل لتقوية الدين بهم، أو جبر خواطر اللاتي استشهد أزواجهن وإعالة ذات الأيتام، أو إرساء قواعد تشريعية، وإزالة قواعد جاهلية[1].

ثم إن زوجات رسول الله ﷺ جميعهن ما عدا السيدة خديجة قد تزوجهن وهو في سن الخمسين من عمره الشريف، فهل مَن كان بهذا العمر يرمى بالشهوانية، أو حب النساء؟!!. وإذا كان كذلك كما يزعمون، فلماذا لم نسمع، أو نقرأ عن هذه الشهوانية وهو في ريعان شبابه، سواء قبل زواجه من السيدة خديجة، أم بعد ذلك؟.

أما عن زوجاته بعد السيدة خديجة فهن:

١. السيدة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ويقال حسيل بن عامر بن لؤي، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد وفاة السيدة خديجة، وقبل عقده على السيدة عائشة، وكانت قبل ذلك متزوجة من ابن عمها السكران بن عمرو[2]، توفيت سودة بنت زمعة سنة ثلاث وعشرين للهجرة آخر زمان عمر بن الخطاب، وقيل في زمن عثمان بن عفان[3]. وكان زواجه منها لسبب اجتماعي بحت، وذلك جبراً لخاطرها لكي يعوضها فقدان زوجها المؤمن، وتكريماً،

١-الحسني: السيد نذير يحيى، سياسة الأنبياء دروس وعبر، ص١٤٨.
٢-السكران بن عمرو: بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل القرشي العامري أخو سهيل بن عمرو، كان من مهاجري الحبشة ويذكر أنه رجع إلى مكة ومات فيها. ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة،٣/ ١١٣.
٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى،٨/ ٥٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٤/ ١٨٦٧؛ المتقي الهندي: كنز العمال،١٣/ ٦٨٩.

ومدارةً لمشاعرها بعد أن أصبحت وحيدة بلا زوج[١]، ولم يكن لها مأوى سوى أب وأخ مشركين[٢]، ربما يحاولان ردها عن الإسلام.

٢. السيدة عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، عقد عليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنة ونصف[٣]، وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين، ودخل بها في المدينة بعد الهجرة[٤]، وقد كان لهذا الزواج غاية يراد بها تعزيز المودة، والألفة مع صديقه أبي بكر عن طريق المصاهرة، وكان أبو بكر المستفيد الأكبر من هذا الزواج، فقد أدرجت ابنته ضمن أمهات المؤمنين، وأصبحت له حظوة في المجتمع الإسلامي[٥]، كما أنها قد نقلت الكثير من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، توفيت عائشة عام ثمان وخمسين للهجرة[٦].

٣. السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الخزاعية، ولدت حفصة قبل البعثة النبوية بخمس سنين[٧]، تزوجت من خنيس بن حذافة السهمي[٨]، الذي توفي بعد معركة أحد، فتزوجها ﷺ السنة الثالثة للهجرة، وتوفيت سنة إحدى وأربعين للهجرة، وقيل: سنة خمس وأربعين منها[٩]. وعن سبب زواجه منها فحالها حال عائشة، وهي رغبة رسول الله ﷺ في كسب ود أصحابه، وحب عمر بن الخطاب التقرب أكثر من رسول الله ﷺ[١٠]، وقد نقلت السيدة حفصة

١-بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن، مع المصطفى، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)، ص٢٠٢؛ الشمري: النبي محمد في مؤلفات مونتجمري وات، ص٣٢٢.

٢-المقريزي: إمتاع الأسماع، ١١/ ٢٣٧.

٣-ابن عساكر: الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، (تحقيق: محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، سورية- دمشق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص٤١.

٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ٥٢؛ أيوب: سعيد، زوجات النبي، (ط١، دار الهادي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، ص٤٧.

٥-الشمري: النبي محمد في مؤلفات مونتجمري وات، ص٣٢٣.

٦-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ٧١-٧٧؛ الباجي: التعديل والتجريح، ٣/ ١٤٩٥.

٧-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ٨١.

٨-ابن منده: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى الاصبهاني (ت٣٩٥هـ- ١٠٠٥م)، معرفة الصحابة، (تحقيق: عامر حسن صبري، ط١، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ص٩٤٧.

٩-ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي (ت٢٣٨هـ- ٨٥٢م)، مسند إسحاق بن راهويه، (تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين بر البلوشي، ط١، مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، ٤/ ١٨-٢٢.

١٠-الشمري: النبي محمد في مؤلفات مونتجمري وات، ص٣٢٧.

الكثير من الأحاديث عنه ﷺ.

٤. السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارِث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، كانت تسمى أم المساكين في الجاهلية، تزوجت من الطفيل بن الحارِث بن المطلب بن عبد مناف فطلقها، فتزوجها عبيدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر، وخطبها ﷺ فجعلت أَمرها بيده، فتزوجها وكان صداقها اثنتي عشرة أوقية، وكان زواجه منها في السنة الثالثة من الهجرة، وقد توفيت بعد زواجها بثمانية أشهر[١]. وكان زواجه منها بدافع الشفقة، وتطييب الخاطر، وأن يكون معيلاً وحافظاً لها لما قد يعترضها في المجتمع من الكلام، والفعل[٢]. فضلاً عن ذلك فإنها كانت طيبة القلب، وفيها سخاء وجود، ولذلك سميت «أم المساكين»، إذ كانت كثيرة الرفق بهم، وكثيرة الإطعام لهم[٣].

٥. السيدة أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، كان أبوها من أجواد قريش، كانت زوجة لأبي سلمة بن عبد الأسد، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاةً، إذ توفيت في حدود السبعين للهجرة[٤]، وقيل: توفيت سنة إحدى وستين بعد سماعها خبر استشهاد الإمام الحسين ﷺ، وقيل: سنة اثنتين وستين للهجرة، تزوجها رسول الله ﷺ في السنة الرابعة للهجرة[٥]، وكانت من أكمل النساء عقلاً وخلقاً، وهي قديمة الإسلام، وروي عنها أحاديث كثيرة لا سيما عن آل البيت ﷺ[٦].

ومما نقل عنها أن رسول الله ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة الزهراء ﷺ فقال لها: ادعي زوجك وابنيك فجاء علي والحسن والحسين، فدخلوا عليه، وجلسوا عنده، وكانت أم سلمة تصلي في الحجرة، فأنزل الله سبحانه آية التطهير: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ**

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١١٥؛ ابن بكار: الزبير بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت٢٥٦هـ- ٨٧٠م)، منتخب من كتاب أزواج النبي، (تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، ص٥٠.

٢-العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٥/ ٢٥٥.

٣-الجميلي: السيد، نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٦هـ)، ص٨١.

٤-الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٧/ ٢٢٩.

٥-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ٨٧.

٦-الحر العاملي: وسائل الشيعة، ٣٠/ ٣٢٢.

﴿عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيرًا﴾[1]، فقام رسول الله ﷺ فغشاهم بالكساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»، قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال:» لا، إنك إلى خير إنك إلى خير»[2].

ونُقل عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[3].

وعنها أيضاً أنها قالت: «كان رسول لله ﷺ جالسا ذات يوم في بيتي فقال: لا يدخل عليَّ أحد فانتظرت، فدخل الحسين فسمعت نشيج[4] رسول لله ﷺ يبكي، فاطلعت فإذا الحسين في حجره، ورسول الله يمسح جبينه، وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل فقال: إن جبريل كان معنا في البيت قال: أفتحبه؟ قلت: أما من الدنيا فنعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء»[5].

ويذكر أن جبرائيل عليه السلام قد قبض قبضة من تراب كربلاء، وأعطاها لرسول الله ﷺ، فبقيت بعد وفاته عند أم سلمة حتى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام[6]، وقالت عندما بلغها استشهاد الإمام الحسين: «قد فعلوها ملأ لله قبورهم، أو بيوتهم عليهم ناراً ووقعت مغشيا عليها»[7].

١-سورة الأحزاب: آية ٣٣.

٢-بن حنبل: مسند أحمد، ٦/ ٢٩٢؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٣/ ١٤٦؛ الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق أبو زيد (ت٨٧٥هـ- ١٤٧٠م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ)، ٤/ ٣٤٦؛ الطباطبائي: السيد محمد حسين (ت١٤١٢هـ-١٩٩١م)، الميزان في تفسير القرآن، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم المقدسة، د. ت)، ١٦/ ٣١٧؛ أيوب: زوجات النبي، ص٦٢.

٣-الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٣/ ١٢٤؛ الطوسي: الأمالي، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ)، ص٤٧٨؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٢/ ٤٧٦.

٤-النشيج: صوت معه توجع وبكاء. ينظر ابن منظور: لسان العرب، ٢/ ٣٧٨.

٥-الطبراني: المعجم الكبير، ٢٣/ ٢٨٩؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م)، ٩/ ١٨٩.

٦-ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد القمي (ت٣٦٨هـ - ٩٧٨م)، كامل الزيارات، (تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ)، ص١٢٩.

٧-ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٣٨؛ ابن نما الحلي: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله (ت٦٤٥هـ- ١٢٤٧م)، مثير الأحزان، (منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م)، ص٧٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/ ٢١٩.

وكانت لها مواقف جليلة في الدفاع عن آل البيت ﷺ، فردت السيدة عائشة رداً جميلاً لما أرادت إقناعها بالخروج معها إلى البصرة في معركة الجمل، وذكرتها بأحقية الإمام علي ﷺ بالخلافة، ونهتها عن الخروج بقولها: «أي خروج هذا الذي تخرجين»، فلم تسمع لها عائشة وخرجت[1]، وموقفها في نصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في معركة الجمل، وقولها له: «لولا أني أعصي الله عز وجل، وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر والله لهو أعز عليّ من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك»[2].

وبالتأكيد كان زواج رسول الله ﷺ منها على وفق نظرة، واختيار حكيم، لما امتازت به هذه السيدة من حكمة، ورجاحة عقل، وسعة معرفة، وحبها لتعلم شرائع الإسلام، وتعليمها للمسلمين والمسلمات، فقد كانت قريبة جداً من رسول الله ﷺ، وكانت تتفقه على يده، فضلاً عن ذلك فقد كانت داعية، ومناصرة، وصاحبة صوت حق في الدفاع عن آل البيت ﷺ طيلة فترة حياتها، لما ذكرناه في نقلها الأخبار عن آل البيت، وحبها ودفاعها عنهم، فضلاً عن ذلك فقد كان لها دور في إظهار إحدى أهم معاجز رسول الله ﷺ في التربة التي أعطاها لها، وأخبرها: إن تحولت هذه التربة إلى لون أحمر دم، فأعلمي أن ولدي الحسين ﷺ قد قُتل في أرض كربلاء[3].

٦. السيدة زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، كان اسمها بَرَّة، فسماها رسول الله ﷺ زينب، أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ[4]، وكان زواجه منها سنة خمس من الهجرة، كانت قبله تحت زيد بن حارثة، وكان أمر زواجها بتوجيه إلهي لإثبات أمر تشريعي في إحلال الزواج من زوجة الابن

١-ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٦/ ٢١٧.
٢-الطبري: تاريخ الطبري، ٤/ ٤٥١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣/ ٢٢١؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١٣/ ٢٣٦.
٣-الخصيبي: أبو عبد الله الحسين بن حمدان (ت٣٣٤هـ- ٩٤٥م)، الهداية الكبرى، (ط٤، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩١م)، ص٢٠٢؛ الطبراني: المعجم الكبير، ٣/ ١٠٨ ؛ الفتال النيسابوري: العلامة الشهيد أبو علي محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ- ١١١٤م)، روضة الواعظين، (تقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، د. ت)، ص١٩٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٩/ ١٨٩.
٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١٠٠؛ الباجي: التعديل والتجريح، ٣/ ١٤٨٩.

بالتبني بعد طلاقها[1]، وهذا ما صرح به في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾[2]، توفيت زينب بنت جحش سنة عشرين للهجرة[3]، وصلى عليها الخليفة عُمَر بن الخطاب[4].

٧. السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قصي القرشية الأموية، أمها آمنة بنت عبد العزى، كانت قبل رسول الله ﷺ زوجة لعبيد الله بن جحش الأسدي، هاجر معها من مكة إلى الحبشة، فتنصر، ومات على النصرانية، وبقت أم حبيبة على الإسلام، فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها، وعهد للنجاشي ملك الحبشة بعقد نكاحه عليها، فقام النجاشي بدفع صداقها من عنده بمبلغ أربعمائة دينار، وكان ذلك سنة سبع للهجرة، وأبوها أبو سفيان ما يزال مشركاً، توفيت بالمدينة سنة أربع وأربعين[5].

أما عن سبب زواجه ﷺ من أم حبيبة فهو واضح أنه لغاية معينة، ليأمن جانب زعيم قريش أبي سفيان، ويحقن من حقده، وعداوته ضد الإسلام والمسلمين، ويبدو أن هذه المصاهرة قد أتت بثمارها فيما بعد، فكانت إحدى الأسباب في مهادنة أبي سفيان، والتخفيف من عداوته ضد الإسلام ورسوله ﷺ.

٨. السيدة جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق بن سعيد بن كعب، سُبيت في غزوة بني المصطلق، ففداها رسول الله ﷺ، ثم أعتقها، وتزوجها سنة خمس، وقيل: ست للهجرة، وكانت قبل زواجها من رسول الله ﷺ زوجة لابن عمها[6]، وقيل: جاء أبوها فافتداها ثم أنكحها رسول الله بعد ذلك،

١-الطبري: تفسير الطبري، ٢٢/ ١٩؛ النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ- ٩٤٩م)، معاني القرآن الكريم، (تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ)، ٥/ ٣٢٤؛ الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت٦٠٦هـ- ١٢٠٩م)، التفسير الكبير، (ط٣، د. ت) ١٠/ ٣٤.

٢-سورة الأحزاب: آية ٣٧.

٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١١٥؛ المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٣٥/ ١٨٤.

٤-ابن عساكر: الأربعين، ص٤٤.

٥-ابن منده: معرفة الصحابة، ١/ ٩٥٢؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٠/ ٣٩٣.

٦-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١١٦؛ بن بكّار: منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٥٤.

وعندما تزوجها ﷺ قال الناس: إنهم أصهار رسول الله، فأطلقوا ما بأيديهم من سبايا بني المصطلق، فكان زواجها هذا بركة على قومها[١]. توفيت بالمدينة سنة ست وخمسين للهجرة[٢].

٩. السيدة صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران ﷺ[٣]، كانت من سبايا خيبر، أعتقها رسول الله ﷺ وتزوج بها، وقد ماتت سنة خمسين للهجرة[٤].

وربما كانت غاية رسول الله ﷺ بزواجه من صفية بنت حيي هي معالجة حالة اجتماعية متمثلة بالجواري، حيث يحق للمسلم أن يعتق جاريته، ويتزوج منها، وهذا ما أشار إليه الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ عندما أعتق جارية له وتزوجها، فكتب له عبد الملك بن مروان يعيره بذلك، فرد عليه الإمام قائلا: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[٥]، قد أعتق صفية بنت حيي وتزوجها[٦].

١٠. السيدة ميمونة بنت الحارث: بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال، وأمها: هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير. وقيل: من كنانة، كانت ميمونة زوجة لمسعود بن عمرو بن عمير الثقفي في الجاهلية، ثم فارقها فتزوجها أبو رهم بن عبد العزى بن أبي قيس من بني مالك فتوفي عنها، فتزوجها رسول لله ﷺ، زوجها له عمه العباس بن عبد المطلب، وميمونة هي أخت أم الفضل بنت الحارث الهلالية زوجة العباس بن عبد المطلب لأبيها وأمها، وكانت آخر امرأة تزوجها رسول

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١١٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٤/ ١٨٠٤-١٨٠٥؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢/ ٣٨٧-٣٨٨.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١٢٠؛ ابن حبان: الثقات، ٢/ ١٤١.
٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ٩٢؛ الباجي: التعديل والتجريح، ٣/ ١٤٩٤.
٤-ابن حبان: الثقات، ٢/ ١٣٩؛ الباجي: التجريح والتعديل، ٣/ ١٤٩٤.
٥-سورة الأحزاب: آية ٢١.
٦-المزي: تهذيب الكمال، ٢٠/ ٣٩٩.

لله ﷺ سنة سبع للهجرة بالقرب من مكة[١]، توفيت سنة إحدى وستين[٢]، وقيل: ثلاث وستين، أو ست وستين للهجرة[٣].

من هنا نرى أن زيجات رسول الله ﷺ كانت تهدف إلى أغراض متعددة منها أخلاقية، وسياسية، واجتماعية، وتشريعية.

لذلك نجد أن التهم الاستشراقية التي تلصق برسول الله ﷺ أنه نبي الحرب والشهوة تتهاوى وتتساقط أمام الحقائق التاريخية، بل إن رسالة الإسلام كانت خيراً للمرأة؛ إذ جعل لها الحقوق كأخيها الرجل، وميزها بأنها عماد للأسرة، وان التعدد في زيجاته ﷺ كان لحكم متعددة، فقد تشرفت قبائل العرب بمصاهرته لهم، وزاد تآلفهم، وكثر أصهاره من عشائر نسائه، فازداد بذلك أعوانه على من يحاربه، وفضلًا عما سبق كان لنساء رسول الله ﷺ دور في تبيان كل ما يقع في بيت النبوة من أحكام وشرائع عملاً بقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾[٤]، ونقلهن للأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال.

*** زواجه ﷺ من زينب بنت جحش**

يقول غابريلي عن زواج رسول الله ﷺ من السيدة زينب بنت جحش: «وزينب التي كانت على جانب وافر من النضج، التي تبرأ منها ربيبه زيد بن حارثة، التي تزوجها محمد بإذن إلهي خاص»[٥]، إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ**

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١٣٢.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١٤١.
٣-المزي: تهذيب الكمال، ٣٥/ ٣١٢.
٤-سورة الأحزاب: آية ٣٤.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٤.

﴿حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[1].

ثم يعود غابريلي بشيء من التناقض، والغرابة التي تعتريه أحياناً، فيذكر: «ففي حادثة زينب مثلاً فإن المؤيد الأكثر إخلاصاً لنظرية التحالف السياسي، سيجد نفسه أمام شيء من الصعوبة»[2]، محاولاً بذلك اتباع المستشرقين الآخرين الذين فسروا هذا الزواج بشكل لا يقبله العقل لإنسان عادي، فكيف نقبله لرسول الله ﷺ، هذه طرق غابريلي في التشكيك التي لازمت كتاباته عن رسول الله ﷺ، ففي البدء ذكر أن زواجها بإذن إلهي خاص، ثم عاد وذكر أنه يجد صعوبة في فهم هذا الزواج، وهذا ما أشار إليه أيضا بعض المستشرقين منهم:

١.غوستاف لوبون[3] من مستشرقي القرن التاسع عشر الميلادي في كتابه (حضارة العرب)، حيث يذكر: «وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يخفِ محمد حبه للنساء ... وأطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى أنه رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرحها بعلها ليتزوجها محمد، فاغتم المسلمون، فأوحي إلى محمد، بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا، آيات تسوغ ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت»[4].

٢.وكذلك ما ذكره لنا المستشرق اميل درمنغم[5] في كتابه (حياة محمد) عن حادثة الزواج هذه فيقول: «شعر محمد بالعقد الأخير من عمره بميل كبير للنساء ... ودخل محمد ذات يوم بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير وكان زيد في ذلك

١-سورة الأحزاب: آية ٣٧-٣٨.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٤.
٣-لوبون: مستشرق فرنسي كان طبيبا ومؤرخا، اهتم بالحضارة الشرقية، من مؤلفاته: الحضارة المصرية، وحضارة العرب، وحضارة العرب في الأندلس. ينظر العقيقي: المستشرقون، ١/ ٢٢٦.
٤-لوبون: غوستاف، حضارة العرب، (ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م)، ص١١٦.
٥-اميل درمنغم: مستشرق فرنسي سافر إلى الجزائر وأصبح مدير مكتبة الجزائر، له العديد من المؤلفات أبرزها: حياة محمد، طبع في باريس عام ١٩٢٩م. ينظر العقيقي: المستشرقون، ١/ ٢٩٨.

اليوم غائباً عن بيته، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش التي كانت أجمل فتيات قومها، وكانت زينب هذه آنئذ سافرة، وشبه عارية، وعاملة على زينتها وإدارة بيتها، فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال: سبحان الله مقلب القلوب، ولم ينطق بغير هذه الكلمة، وانصرف حالاً، وقصت زينب ما رأت على زوجها، فارتبك كثيرا، وكان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم مزاجه المتقد، وبدا الوضع محيراً إلى الغاية»[1].

٣.ونضيف إلى ذلك ما نُقل عن المستشرق فيليب حتي[2] في كتابه (تاريخ العرب) حيث يقول: «ولقد تزوج النبي من نحو اثنتي عشرة زوجة بعضهن بدافع الحب»[3]، وللرد على هذه الافتراءات نقول:

– ان غابريلي وهؤلاء المستشرقين لو أجهدوا أنفسهم واطلعوا على كتب التفاسير الإسلامية وغيرها التي ذكرت هذه الحادثة، لما اعتراهم هذا الشك، والاضطراب، والتناقض، وما بنوا أفكارهم عليه كأنه يقين ثابت لديهم، ويجب أن لا نغفل أن هذه الآراء لم تأتِ من عدم دراية، أو جهل بالتاريخ الإسلامي، بل عن قصد من أجل تشويه صورة نبي الإسلام ﷺ، والتشكيك به، وطعن الرسالة السماوية.

– أراد الله بزواج زيد من زينب بنت جحش تحطيم مبدأ العصبية القبلية، والشرف الجاهلي، وجعل الإسلام الشرف في الدين والتقوى، وكان رسول الله ﷺ قد تبنى زيداً وهو صغير، حتى صار رجلاً يدعى زيد بن محمد[4]، فحين أقدم رسول الله ﷺ على

١–درمنغم: ايميل، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، (ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، الشعاع للنشر والتوزيع، الجزائر–المعادي، ٢٠٠٥م)، ص٦٧٢؛ الألمعي: زاهر عواض، مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، (ط٤، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م)، ص٣٢.

٢–فيليب حتي: لبناني الأصل امريكي الجنسية ولد عام ١٨٨٦م، درس في الجامعة الامريكية في لبنان وأكمل الدكتوراه في كولومبيا، نال عدة مناصب آخرها رئيس قسم اللغات والآداب الشرقية، أهم آثاره: تاريخ العرب ١٩٢٧، وأصول الدولة الإسلامية ١٩١٦. ينظر العقيقي: المستشرقون، ٣/ ١٠١٠.

٣–باز: عبد الكريم علي، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، (ط١، الناشر تهامة، جدة–المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م)، ص٣٧.

٤–ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٣٤٨؛ القرطبي: تفسير القرطبي، ١٤/ ١٨٨.

تزويج زينب من زيد امتنعت، ورفضت اعتزازاً بنسبها، وشرفها فنزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخيرة مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً**﴾[1]، فقبلت زينب بعد ذلك بالأمر وتم زواجها منه[2]، وهذا ما صرح به النبي ﷺ بقوله: «أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد[3] ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب[4]، ليعلموا أن أشرف الشرف الإسلام»[5].

وقوله تعالى: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾[6]، روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال: «اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». فقال: قد أخبرتك أني مُزَوّجكها، وتُخفي في نفسك ما اللَّه مُبديه»[7].

وينقل عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل عرف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في الآخرة، وأنهن أمهات المؤمنين، وأحد من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى رسول الله ﷺ اسمها في نفسه ولم يبده، لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين»[8].

١-سورة الأحزاب: آية ٣٦.
٢-السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٢٣٢-٢٣٣.
٣-المقداد بن عمرو: بن ثعلبة الكندي ويقال له: المقداد بن أسود، كان حليف الأسود بن عبد يغوث فنسب إليه، مات بالجرف سنة ثلاثين، فحمل إلى المدينة وصلى عليه عثمان بن عفان، وكان له يوم مات نحو من سبعين سنة. ينظر البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان (ت٣١٧هـ- ٩٢٩م)، معجم الصحابة، (تحقيق: محمد الأمين الجكني، ط١، مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، ٥/ ٢٩٢.
٤-ضباعة بنت الزبير: بن عبد المطلب بن هاشم، وأمها عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن مخزوم، زَوجَهَا رسول الله ﷺ من المقداد بن عمرو فولدت له عبد الله وكريمة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ٣٨.
٥-الطبرسي: أبو نصر رضي الدين الحسين بن أبي علي الفضل بن الحسن (ق٦هـ)، مكارم الأخلاق، (ط٦، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)، ص٢٠٧؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١٠٠/ ٢٦٥؛ الريشهري: محمد، ميزان الحكمة، (تحقيق: دار الحديث، ط١، دار الحديث، ١٤١٦هـ)، ٢/ ١١٨٣.
٦-سورة الأحزاب: آية ٣٧.
٧-الثعلبي: تفسير الثعلبي، ٨/ ٤٨؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٩٩.
٨-الصدوق: الأمالي، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ)، ص١٥٣؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١١/ ٧٤؛ الطباطبائي: تفسير الميزان، ١٦/ ٣٢٦.

إذن، فزواج رسول الله ﷺ قد تم كتنفيذ لواجب إلهي تشريعي، وتحقيق هدف مقدس من أهداف الرسالة، حتى وإن كان ثمن ذلك جراحات اللسان التي يلقيها المنافقون في اتهاماتهم لرسول الله في مقابل طاعة أمر الله سبحانه، وإلغاء عرف خاطئ، وسنة مبتدعة.

أما ما كُتب من الخرافات التي ذكرها المستشرقون عن إعجاب رسول الله ﷺ بزينب وتعلقه بها (حاشاه الله عن ذلك) فأصل الرواية تذكر أنه: «جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد إنما يقَال له زيد بن محمد فربما فقده رسول الله صلّى الله عليه وسلم الساعة، فيقول: أَين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده وتقوم إِليه زينب بنت جحش زوجته فضلا فأَعرض رسول اللَّه صلّى الله عليه وسلم عنها فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول اللَّه فادخل بأَبي أَنت وأُمي فأَبى رسول اللَّه أَن يدخل وإنما عجلت زينب أَن تلبس لما قيل لها رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم علَى الباب فوثبت عجلى فأَعجبت رسول اللَّه فولى وهو يهمهم بشيءٍ لَا يكاد يفهم منه إِلَّا ربما أَعلن: سبحان اللَّه العظيم سبحان مُصرف القلوب»[1].

فهذه لم يأتِ بها المستشرقون من وهمهم، أو من خيالهم، فهم لم يجهدوا أنفسهم ليحرفوا تلك النصوص، بل كانت جاهزة ومقولبة بما يخدم غرضهم، فهذه الرواية ذُكرت أيضاً في كتب التفسير مثل تفسير الطبري[2]، ووردت في الكشاف للزمخشري[3]، والدر المنثور للسيوطي[4]، وغيرها من كتب التفسير والتاريخ، وهذا ليس بجديد فهناك روايات نقلت أن رسول الله ﷺ كان يسمع الغناء، وتضرب الدفوف في بيته[5]، وانه

١-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٨/ ١٠١؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٥٦٢؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١٠/ ٢٠٩.
٢-الطبري: تفسير الطبري، ٢٢/ ١٨.
٣-الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن عمر (ت٥٣٨هـ- ١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، (ط١، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م)، ٣/ ٢٦٢.
٤-السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ- ١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د. ت)، ٥/ ٢٠٢.
٥-البخاري: صحيح البخاري، ٣/ ٢٢٨؛ مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ - ٨٧٥م)، صحيح مسلم، (دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ت)، ٣/ ٢٢؛ البيهقي: السنن الكبرى، ١٠/ ٢١٨.

كان يقرأ القرآن في حضن عائشة وهي حائض[1].

ولتوضيح ذلك نقول:

١. إن زينب بنت جحش بنت عمة رسول الله ﷺ، وقد تربيا معا، وهو الذي خطبها بنفسه لزيد، أي يعرفها وتعرفه، ولم يكن زواجه منها قبل هذه الحادثة أمراً صعباً، وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويجها من رسول الله ﷺ لكي لا يكون حرج على المؤمنين في التزويج من أزواج أدعيائهم[2]، كما أن القرآن الكريم قد أوضح هذا الهدف بصراحة في قوله تعالى: ﴿**لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾[3]، كما أنه حرم ادعاء الابن بالتبني[4] في قوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ولكن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما**﴾[5].

وان عشق الأنبياء لمن لا تحل لهم من النساء، منفر لهم، ويحط من مرتبتهم، ومنزلتهم، وقدرهم، فعشق الرجل زوجة غيره معدود في جملة معايبه، ومثالبه، فكيف نقبل ذلك ممن طهره الله، وعصمه، وأكمله، وأعلى منزلته[6]، وحباه الله بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[7]، وخصه بمكارم الأخلاق التي يقول فيها ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[8]، ويقول فيها الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى خص رسول الله ﷺ بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة : اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والرضا، وحسن

١-ابن حنبل: مسند أحمد، ٦/ ١١٧؛ البخاري: صحيح البخاري، ١/ ٧٧.
٢-القاضي عياض: أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ- ١١٤٩م)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م)، ٢/ ١٨٩-١٩٠.
٣-سورة الأحزاب: آية ٣٧.
٤-الطبري: تفسير الطبري، ٢١/ ١٤٤؛ الطوسي: التبيان، ٣/ ١٥٨.
٥-سورة الأحزاب: آية ٤٠.
٦-الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء، ص١٥٧.
٧-سورة القلم: آية ٤.
٨-الإمام زين العابدين: رسالة الحقوق، ص٥٩٦؛ البيهقي: السنن الكبرى، ١٠/ ١٩١؛ ابن رشد الحفيد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ت٥٩٥هـ- ١١٩٩م)، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (تحقيق: خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م)، ٢/ ٣٢١.

الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروءة»[١].

٢. إن بعض الروايات عن رسول الله ﷺ وسيرته العطرة قد شابها ما شابها من الدس والتلفيق، سواء كان عن قصد من مبغضيه، أو عن جهل، فلذلك يجب التحري والتأكد مما ينقل، لا سيما ما يخص رسول الله ﷺ، ففي استبيان الخبر والتأكد منه يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في ذلك: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل دراية، لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل»[٢]، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه»[٣]، لذلك تناول بعض المؤلفين هذه الرواية، وتوصلوا من خلال تتبعهم لسلسلة السند، فكانت إما مقطوعة لم تذكر الصحابي الذي نقلوا عنه، وإما ان الذين نُقلت عنهم كانوا من الضعفاء، والمشكوك بروايتهم[٤].

وما ذكره ابن كثير في كتابه السيرة النبوية إذ يقول في هذه الحادثة: «قد ذكر غير واحد من المفسرين، والفقهاء، وأهل التاريخ في سبب تزويجه عليه السلام إياها حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراده، لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه»[٥]، وأشار إلى ذلك في كتابه البداية والنهاية أيضاً فقال: «قد تكلم كثير من السلف هاهنا بآثار غريبة، وبعضها فيه نظر تركناها»[٦]، من ذلك يبدو أنه غير مقتنع بالرواية، فتركها ولم يعلق أكثر من ذلك، إلا أن تركه لها لا يعفيه، فكان الأحرى والأجدر به التحري عن الحقيقة.

٣. يجب أن لا نغفل عمّا للإسرائيليات من دس، فقد كان اليهود يتحينون الفرص لدس

١-الصدوق: معاني الأخبار، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ١٣٧٩-١٣٣١ش)، ص١٩١-٢٩١؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٦٦/ ٨٦٣؛ الريشهري: ميزان الحكمة، ١/ ٣٠٨.

٢-الشريف الرضي: خصائص الأئمة، (تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية- الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد- إيران، ربيع الثاني، ١٤٠٦هـ)، ص٩٥؛ الواسطي: علي بن محمد الليثي (ت القرن٦ الهجري)، عيون الحكم والمواعظ، (تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط١، دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ)، ص٩٢.

٣-الكليني: الكافي، ١/ ٦٩؛ الحر العاملي: وسائل الشيعة، ٢٧/ ١١٠.

٤-الألمعي: مع المفسرين والمستشرقين، ص١٢-٢٤.

٥-ابن كثير: السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٣٩٣هـ-١٩٧٦م)، ٣/ ٢٧٧-٢٧٨.

٦-ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٦٦.

سمومهم في الإسلام، وربما اتخذوا من الروايات الإسرائيلية التي تذكر أن النبي داود عليه السلام قد عشق زوجة قائده اوريا وأراد قتله؛ لغرض الزواج منها، فقدمه أمام التابوت في المعركة، حتى قُتل فتزوجها داود عليه السلام بعده[1]، فربما عملوا مقارنة بهذه الحادثة وعكسوها على رسول الله صلى الله عليه وآله[2]، فضلاً عن ذلك ما قام به يوحنا الدمشقي المسيحي الذي كان قريباً من بني أمية، وعاش في بلاطهم، وكان يبغض الإسلام، ورسوله صلى الله عليه وآله، حيث قام بتلقين أنصاره قصصاً، وأخباراً ملفقة، وكاذبة، ومزورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ونشروها على نطاق واسع حتى دخلت في كتب التفسير، والسير، بالأخص قصة زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من زينب بنت جحش، وهذه القصص، والأخبار الكاذبة التي لفقها ذلك الحاقد راجت، وانتشرت للأسف الشديد، وقبلها مفسر كبير كابن جرير الطبري، وتناقلها عنه غيره[3].

ثم يعود غابريلي مرة أخرى ويصرح عن زيجات رسول الله صلى الله عليه وآله المتعددة فيقول: «ومن كل هذه الاتحادات، والتحالفات، فإن محمدا من خلال الزوجات الشرعيات، أو من خلال المحظيات اللواتي كان مسموحاً بهن بحرية، سواء في العرف الجاهلي، أو في الشريعة الإسلامية، لم يحظ بالسعادة في رؤية ولد مكتمل النمو»[4]. وهنا يكمل غابريلي تجنيه على سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا بد أولا أن نعرف مفهوم المحظيات، ومتى ظهر هذا المفهوم؟.

فالمحظية من الحظوة، يقال مثلاً: أَحظيتُ فلاناً على فلان، من الحظوة والتفضيل، أَي فضلته عليه، والمحظية جمعها محاظِي[5]، وهي المرأة التي تفضل على غيرها في المحبة، وبالأخص عند الملوك والأمراء ورجال السلطة[6].

١-ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت٢٣٥هـ- ٨٤٩م)، المصنف، (تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، جماد الآخرة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، ٧/ ٤٦٥؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١/ ٥٢؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١١/ ٧٣.
٢-الألمعي: مع المفسرين والمستشرقين، ص٣٠.
٣-عبد اللطيف: عبد الشافي محمد، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، (ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ)، ص٤٢٣.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٤-١٦٥.
٥-الزبيدي: تاج العروس، (تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت)، ٣٧/ ٤٤٧.
٦-عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ٥٢٠.

ولفظة (محظيات) لم تكن معروفة، ولا متداولة أيام رسول الله ﷺ، إلا أنها ظهرت في العصور الإسلامية اللاحقة، وبالتحديد أيام الدولة الأموية، والدولة العباسية، فبرزت المحظيات بوصفهن نوعا من أنواع الترف، والتسلية في القصور الشاهقة، والبيوتات المترفة، وظهرت تجارة المحظيات، فكن يقدمن أحياناً كهدايا للحكام، كما فعل الحجاج بن يوسف الثقفي[1] مع عبد الملك بن مروان[2] على سبيل المثال[3].

وما يذكر عن هارون العباسي أنه ماتت له جارية، وكانت من خواص محاظيه؛ فجزع عليها جزعاً شديداً، وقال لبعض أصدقائه: أما ترى ما بُليت به ما أحببت أحداً إلا مات[4].

وقد ذكرنا في موضوع زوجات رسول الله ﷺ أن تعدد زوجاته لم يكن لحبه للنساء، ولا لكثرة شهواته (حاشاه الله ذلك) كما يزعم المستشرقون، وإلا لوجدنا هذا الحب والشهوانية في ريعان شبابه الذي اقتصر فيه على زوجة واحدة هي السيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تكبره سناً، فضلاً عن ذلك فلو كان لرسول الله ﷺ محظيات كما زعم غابريلي، لكان اتخذ النساء الأبكار الجميلات، وليس نساء ثيبات كبيرات في السن، إلا أن هذا التعدد قد خصه الله بنبيه ﷺ لغايات وأهداف سياسية، واجتماعية، وتشريعية أوضحناها سابقاً، ويعد هذا التعدد تكريماً للمرأة في الإسلام، حيث وضع لها الإسلام تشريعات، وقوانين، ورفع من قدرها بعد أن كانت تعيش الاضطهاد من

١-الحجاج بن يوسف الثقفي: بن الحكم ولد ونشأ في الطائف، قلده عبد الملك بن مروان إمرة عسكره، وأصبح من كبار قادته، قاد حملة إلى الحجاز قتل فيها عبد الله بن الزبير، وضرب الكعبة بالمنجنيق ، وقمع الثورات في العراق وقتل من قتل، بنى مدينة واسط وتوفي فيها عام ٩٥هـ. ينظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ٢/ ١٨٤-١٨٦.

٢-عبد الملك بن مروان: بن الحكم الأموي، من أبرز الخلفاء الأمويين، نشأ في المدينة، وشهد يوم الدار مع أبيه، واستعمله معاوية على المدينة، انتقلت الخلافة إليه بعد موت أبيه سنة ٦٥هـ، بعد أن قتل مصعباً وعبد الله ابني الزبير، وهو أول من سكّ الدنانير في الإسلام. توفي سنة ٨٦هـ. ينظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٧/ ١١٤.

٣-الابشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح (ت٨٥٢هـ- ١٤٤٨م)، المستطرف في كل فن مستظرف، (تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ)، ٢/ ٥٧٥؛ البهادلي: رحيم حلو محمد، دراسة في سيرة النبي محمد من خلال كتاب محمد والفتوحات الإسلامية زوجاته أنموذجاً، (بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد١١، ٢٠١٧م)، ص٦٥.

٤-الابشيهي: المستطرف، ٢/ ٥٧٥.

وأد للبنات، وزيجات غير شرعية، وضحية لنزوات الرجال في الجاهلية، فأتى الإسلام وكرمهن أحسن تكريم، وأفضل تكريم، كما أن زوجات رسول الله ﷺ أصبحن أمهات المؤمنين، وأصبحت لهن منزلة عليا وخاصة في الإسلام، فعن طريقهن خرجت الأحكام الشرعية، ونقل الحديث النبوي، وما زلنا نعتمد ما نقلن إلى يومنا هذا.

فالله سبحانه وتعالى هو القائل في رسوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1]، وقوله: ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرى لِلْعالَمِينَ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾[3]، فكان رسول الله ﷺ سيدَ العالمين، وذا المكارم والأخلاق الإلهية، فيقول فيه سيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أرسله بالضياء، وقدمه في الاصطفاء، فرتق به المفاتق، وساور به المغالب، وذلل به الصعوبة، وسهل به الحزونة، حتى سرح الضلال عن يمين وشمال»[4].

فكان الأحرى بغابريلي بدلاً من دس السموم في سيرة رسول الله ﷺ، التي لا يشوبها غبار، وقد شهد بخلقه، وفضله، وكرامته الأعداء قبل الأتباع، أن يبحث ويدافع عن المرأة وحقوقها في ظل الكنيسة المسيحية التي قامت باستخدام أناجيل عديدة محرفة حط رجالها من كرامة المرأة فيها، فاعتبروها باب الشيطان، وسلاح إبليس للفتنة والغواية، وان الشيطان يظهر بشكل أنثى، والمرأة حسب رأي فيلسوفهم توما الأكويني: «كائن عرضي، جاء إلى الوجود عن طريق العرض، لا قيمة لها، ولا شأن، وهي جسد بلا روح»[5]، فعلى المستشرق غابريلي وغيره من المستشرقين أن ينقدوا هذه الأقوال

١-سورة القلم: آية ٤.
٢-سورة الأنعام: آية ٩٠.
٣-سورة الأحزاب: آية ٢١.
٤-نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (جمعه: السيد الشريف الرضي، وشرحه: الشيخ محمد عبده، ط١، دار الذخائر، قم- ايران، ١٤١٢هـ- ١٣٧٠ش)، ٢/ ١٩٤.
٥-شومان: نعيمة، المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام كإنسان، (ط١، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ٢٠١١م)، ص٢٢.

والأفعال في مجتمعاتهم التي كانت، وما تزال تتعامل مع المرأة كحاجة، أو أداة، على العكس من الدين الإسلامي وتشريعاته التي كرمت، وأكرمت المرأة أحسن تكريم، وجعلت لها مكانة سامية في مجتمعها، وحقوقاً محفوظة ومصونة.

المبحث الثالث

عالمية الرسالة والوفود القادمة على رسول الله ﷺ

*** عالمية الرسالة**

استمرت حملات المستشرقين للطعن في الإسلام وإضعافه، وإيقاف انتشاره، لذلك ذهب هؤلاء المتعصبون إلى القول: إن الإسلام لم يكن دينا عالمياً شمولياً، بل هو دعوة محلية لبقعة محددة، وإنه دين خاص بقوم يعتبرهم الغرب في عداد الشعوب المتخلفة، والأجناس المنحطة المتأخرة، فجهدوا جهدهم لتجريد الإسلام من خصوصية العالمية، فضربوا كل الحقائق الدامغة عرض الحائط[١]، لذلك ذهب غابريلي إلى القول: «وأدى رفض اليهودية، وعدم اعترافها بدين محمد، إلى أن يؤكد على السمة العربية لرسالته»[٢]، وقوله: «وعلى الرغم من أن الرسائل من النبي [أي رسائله إلى الملوك]، والردود عليها تلك التي حفظها الحديث النبوي ذات مصداقية مشكوك فيها جداً، فإن حقيقة هذه المراسلات التي لا شك بوجودها، تظهر كيف أن الدين الجديد كان يتخذ صفة العالمية»[٣].

وهذا ما ذهب إليه المستشرقون بالقول: إنَّه «ما من دليل وافٍ يدل على أن محمداً ﷺ كان يتصور ديناً عالمياً لجميع الناس، أو يتصور أنه أرسل لهداية شعب من الشعوب غير شعبه العربي، وليس قصة رسائله إلى الامبراطور هرقل، وشاه فارس، وملك الحبشة، وغيرهم من الرؤساء للدخول في دينه بالقصة التي تقوم على أساس»[٤]، وينفي مونتمغري وات عالمية الإسلام أيضا بقوله: «ولكن محمداً كان بعيد النظر، فتطلع إلى ما وراء الفوائد المباشرة، وكان بإمكانه أن ينظر إلى وحدة تشمل شبه الجزيرة العربية، أو مجموع القبائل التي تنتسب للعرب، غير أن قول بعض المصادر الإسلامية، وهي ليست أقدم المصادر، إنه نظر إلى الإسلام على أنه دين عام شامل، وإنه دعا الامبراطور

١-محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص٢٢٢-٢٢٣.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٣.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٧.
٤-زناتي: أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام، (تصميم وإخراج موقع نصرة رسول الله)، ص٨٢.

البيزنطي، والفارسي، وغيرهما من الملوك إلى الدخول فيه، هو قول خاطئ، لقد كان الإسلام منذ البداية ديناً عاماً مضمراً، وليس من الصدفة أنه بنمو الدولة العربية أصبح شاملاً، غير أنه من البعيد أن يوجه رجل سياسي حكيم كمحمد مثل هذا النداء المحدد في هذه المرحلة من حياته»[1]، وهذا ما أشار إليه كارل بروكلمان[2] بإطلاقه لقب سيد العالم العربي الجديد على رسول الله ﷺ[3]، في إشارة منه إلى أن رسول الله ﷺ كان نبياً للعرب فقط دون غيرهم.

وعلى النقيض من ذلك فإن المستشرق جولدتسيهر[4] على الرغم من تعصبه ضد الإسلام ونبيه، لكنه ذهب عكس ذلك بتحليل واقعي لبعض آيات القرآن الكريم التي تؤكد على عالمية الإسلام، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة، فيقول: «والمتواتر من الأحاديث الإسلامية نفسها يعبر عن إدراك النبي بأن رسالته موجهة إلى الجنس الإنساني بأسره، أو إلى الناس كافة، ويبين ذلك فيما تواتر من مثل هذه الأحاديث النبوية (للأحمر والأسود)، فالطابع العالمي لرسالته يتسع حتى تشمل أوسع الميادين التي يمكن تصورها»[5].

والرد على هؤلاء الذين أنكروا عالمية الرسالة المحمدية يجب أن يكون على وفق منهج صحيح وواقعي لا يقبل الشك؛ فلذلك يجب الرجوع إلى القرآن الكريم الذي تنقطع الألسن والأقلام دون الوصول إليه، ويبقى مصدراً موثوقاً لا يخضع للتغيير، ولا للتحريف إلى أن يورث الله الأرض عباده الصالحين. قال الله في محكم كتابه: ﴿قُلْ

١-وات: محمد في المدينة، (تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د. ت)، ص٦١.
٢-بروكلمان: مستشرق الماني ولد عام ١٨٦٨م التحق بالجامعة ١٨٨٦م، درس فيها وتعلم اللغات الشرقية واللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية)، تعلم على يد المستشرق ثيودور نولدكه وتوفي ١٩٥٦م، من أهم مؤلفاته: تاريخ الآداب العربية، وتاريخ الشعوب الإسلامية. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين، ص٩٨-١٠٢.
٣-بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العالم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م)، ص٦٤.
٤-جولدتسيهر: ولد عام ١٨٥٠م في المجر التي كانت تابعة للنمسا، من أسرة يهودية الأصل، درس في المانيا وأكمل دراسته فيها، سافر إلى مصر وحضر الدروس في الأزهر، أصبح أستاذا للغات السامية، أهم مؤلفاته: العقيدة والشريعة، الذي حوى على هفوات كبيرة في مقارنة التوحيد. ينظر بدوي: موسوعة المستشرقين، ص١٩٩؛ العقيقي: المستشرقون، ص٩٠٧.
٥-جولدتسيهر: أجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، (نقل وتعليق: محمد يوسف موسى وآخرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م)، ص٣٩-٤٠.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، وجاء في تفسير هذه الآية طلبه ﷺ من أهل الكتاب أي اليهود، والنصارى أن نوحد الله، ولا نعبد غيره، ولا نشرك به شيئًا[2]، وقوله سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[3]، وقوله تبارك اسمه: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[4]، وقوله عز شأنه: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾**[5]، وقوله جل جلال: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾**[6]. فلفظ (العالمين) الذي ورد في بعض هذه الآيات يتناول كل موجود[7]، والواقع أن هذه الآيات هي قليل من كثير مما نص عليه القرآن الكريم على أن رسول الله ﷺ قد بُعث للنهوض برسالة عالمية شمولية للجنس البشرى كافة.

وعن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة، وطهورا، ومسجدا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»[8]، لذلك

١-آل عمران: آية ٦٤.
٢-الطبري: تفسير الطبري، ٥/ ٤٧٤.
٣-سورة الأنبياء: آية ١٠٧.
٤-سورة سبأ: آية ٢٨.
٥-سورة الفرقان: آية ١.
٦-سورة الأعراف: آية ١٥٨.
٧-الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ- ١٢٠٩م)، التفسير الكبير، (ط٣، د. ت)، ١/ ١٨١.
٨-الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ- ٨٣٤م)، مسند الحميدي، (تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م)، ٢/ ٤٢١؛ البخاري: صحيح البخاري، ١/ ٨٦؛ مسلم: صحيح مسلم، ٢/ ٦٣؛ الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦هـ ١٣٨٤م)، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، (تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث- قم، محرم ١٤١٩هـ)، ٣/ ١١٦؛ السيوطي: الديباج على مسلم بن الحجاج، (ط١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ٢/ ٢٠١.

فإن الرسالة الإسلامية تختلف عن الرسالات السماوية الأخرى التي سبقتها، فتلك كانت في زمان، ومكان محددين، فلذلك أرسل أكثر من نبي، أو رسول في آنٍ واحد مثل النبي إبراهيم ولوط ﷺ، وغيرهم، وهذا لا يقلل أو يضعف من الشأن؛ لأن كل رسالة جاءت في موعدها، وبيئتها الخاصة، وكل رسول أو نبي أدى دوره على وفق عقيدة التوحيد مكملاً ومهيئاً للرسالة العالمية الخاتمة، وهي رسالة الإسلام[1].

ويذكر أن رسول الله ﷺ خرج يوماً على أَصحابه فقال لهم: «إِني بعثت رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم اللَّه، ولا تختلفوا علي كاختلاف الحوارِيين على عيسى بن مريم»[2].

وينقل ابن بكير عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان عاماً للناس، أليس قال الله تعالى في محكم كتابه: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، لأهل الشرق، وأهل الغرب، وأهل السماء والأرض من الجن والإنس، هل بلغ رسالته إليهم كلهم؟، قلت: لا أدري، فقال: يا ابن بكير إن رسول الله ﷺ لم يخرج من المدينة، فكيف بلغ أهل الشرق والغرب؟، قلت: لا أدري، قال: إن الله تبارك وتعالى أمر جبرئيل ﷺ فاقتلع الأرض بريشة من جناحه، ونصبها لرسول الله ﷺ، وكانت بين يديه مثل راحته في كفه ينظر إلى أهل الشرق والغرب، ويخاطب كل قوم بألسنتهم، ويدعوهم إلى الله، وإلى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة، إلا دعاهم ﷺ بنفسه»[3].

*** رسل رسول الله ﷺ إلى الملوك.**

الأول: عمرو بن أُمية الضمرِي بن خويلد بن عبد الله بن إِياسٍ، يكنى أَبا أُمية، من مهاجِرِي الحبشة، ثم هاجر إِلى المدينة، توفي في أَيام معاوية قبل الستين للهجرة[4]، أرسلهُ

١-عبد اللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص٢٨١.
٢-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٦٤٦.
٣-ابن جعفر: علي بن الإمام جعفر الصادق ﷺ (ق٢هـ)، مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مطبعة مهر، قم المشرفة، ذي القعدة، ١٤٠٩هـ)، ص٣٣٠؛ الحلي: عز الدين الحسن بن سلمان (ق٩هـ)، مختصر بصائر الدرجات، (ط١، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م)، ص٤٤؛ البحراني: حلية الأبرار، ١/ ٧٩.
٤-أبو نعيم الاصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى (ت٤٣٠هـ- ١٠٣٩م)، معرفة الصحابة، (تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، ٤/ ١٩٩٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٥/ ٤١٩.

رسول الله ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، فأخذ النجاشي الكتاب ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره إجلالاً وتقديراً لرسول الله، وجلس على الأرض، ثم أسلم وحسن إسلامه[١].

الثّاني: دحية بن خليفة الكلبي بن فروة بن فضالة من الخزرج، أسلم قديماً، وشهد المشاهد بعد بدرٍ وبقي إلى خلافة معاوية[٢]، بعثه إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل فسأله عن رسول الله محمد ﷺ، وثبت عنده صحة نبوته فهم بالإسلام فلم توافقه الروم، وخافهم على ملكه فأمسك[٣].

الثالث: عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي، أسلم وهاجر إلى الحبشة، خرج إلى الشام مجاهدا، فأسرته الروم، وحاولوا فتنه عن دينه، فلم يفتتن فأطلق سراحه، مات في خلافة عثمان[٤]، بعثه رسول الله ﷺ إلى كسْرَى ملك فَارس، فمزق كتاب رسول الله فقال فيه: مزق الله ملكه، فمزق الله ملكه وَقَومه[٥].

الرابع: حاطب بن أبي بلتعة اللخمي أَبو محمد، شهد حاطب المشاهد كلها مع رسول الله، وكان من رماة المسلمين المعروفين، مات بالمدينة سنة ثلاثين وهو ابن خمس وستين وصلى عليه عثمان بن عفان[٦]، بعثه إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، لم يسلم وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القبطية[٧] أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وأختها سيرين[٨].

وأخيراً يجب القول: إن الإسلام هو دين إنقاذ البشرية كافة، لما احتواه من عقيدة صحيحة تدين بوحدانية الله، وشريعة سمحة تحقق السلام، والمحبة، والعدالة للإنسانية

١-ابن حبان: الثقات، ٢/ ٨؛ محب الدين الطبري: خلاصة سير سيد البشر، (تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ص١٦٠.

٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٤/ ١٨٨-١٨٩.

٣-محب الدين الطبري: خلاصة سير سيد البشر، ص١٦٠؛ المزي: تهذيب الكمال، ١/ ١٩٦.

٤-ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٨٨٨-٨٩٠.

٥-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٧٧؛ محب الدين الطبري: خلاصة سير سيد البشر، ص١٦١.

٦-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٨٤.

٧-مارية القبطية: أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، أهداها المقوقس ملك الإسكندرية له، فولدت له إبراهيم سنة ٨ هـ، وتوفي بعد سنة وعشرة أشهر، وماتت مارية بعده بخمس سنين. ينظر ابن منده: معرفة الصحابة، ص٩٧١.

٨-محب الدين الطبري: خلاصة سير سيد البشر، ص١٦١؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٠/ ٣٨٣.

جمعاء[1]، وهذا ما أكده قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2].

*** الوفود القادمة على رسول الله ﷺ**

أشار غابريلي إلى الوفود بالقول: «إن كثيراً من القبائل التي كانت محايدة حتى ذلك الوقت شعرت بأن اللحظة قد حانت الآن للانضمام إلى جانب المنتصر، فأرسلت وفوداً إلى النبي لمفاوضة قبولهم الإسلام، وما يصاحبه من التزامات مالية»[3].

ومعنى الوفود هنا، هو كل من يرد رسولاً، ومفرده وافد، وجمعت فأصبحت وفود[4]. وذلك لمّا فتح رسول الله ﷺ مكة سنة (٨هـ) جاءت وفود العرب إليه، وكانت العرب تنتظر إسلام قريش؛ لأنهم كانوا أسياد الناس، وأهل الحرم، وكانت قريش هي التي شنت الحرب على رسول الله ﷺ، فلما فتحت مكة، وأسلمت قريش أصبحت القبائل العربية لا طاقة لها بمحاربته ﷺ، فدخلوا في الدين الإسلامي أفواجا[5]، كما قال الله سبحانه: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾[6]، وأهم هذه الوفود هي:

أولاً: وفد نجران

وهم مجموعة من نصارى نجران، وفدُوا على رسول الله ﷺ، وكانوا ستين رجلاً فعرض عليهم ﷺ الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا فصالحهم على الجزية، وكتب لهم كتابا بذلك، والتزم فيه رسول الله ﷺ لهم أن يدفعوا الجزية المتفق عليها فلا تهدم لهم بيعة، ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثا[7].

١-عطار: أحمد عبد الغفور، أصلح الأديان للإنسانية عقيدةً وشريعةً، (مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)، ص١٧.
٢-سورة آل عمران: آية ٨٥.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٩.
٤-الجوهري: الصحاح، ٢/ ٥٥٣.
٥-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١٥٢؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢/ ٤٧٠.
٦-سورة النصر: آية ١-٣.
٧-ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٢/ ٥٧؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٣/ ٢٣٥.

ثانيا: وفد بني أسد

وهم عشرة نفر من بني أسد، قدموا على رسول الله ﷺ في سنة تسع من الهجرة، فسلّموا وقالوا: يا رسول الله، إنّا نشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله[1].

ثالثا: وفد سعد بن بكر

وكان وافدهم ضمام بن ثعلبة[2]، فسأَل رسول الله ﷺ عن شرائع الإِسلام وأَسلم، فلما رجع إِلى قومه، «قال رسول اللَّه ﷺ: لئن صدق ليدخلن الجنة، فلما قدم على قومه اجتمعوا إِليه، فكان أول ما تكلم بِه أَن قال: بِئست اللات والعزى! فقالوا: اتق البرص، والجذام، والجنون، فقَال: ويحكم! إِنهما لا يضران ولا ينفعان، وإِن اللَّه قد بعث رسولا، وأَنزل عليه كتابا، وقد استنقذكم بِه مما كنتم فيه، وأَظهر إِسلامه، فما أَمسى ذلك اليوم في حاضِره رجل مشرِك، ولا امرأة مشرِكة، فما سمع بِوافد قوم كان أَفضل من ضمام بن ثَعلَبَةَ»[3].

رابعا: وفد عديّ بن حاتم من طي

كان رسول الله ﷺ قد بعث إلى بلاد طي الإمام عليا بن أبي طالب عليه السلام في سرية فأغار عليهم، وكان عديّ بن حاتم الطائي قد هرب قبل ذلك إلى الشام من جيوش المسلمين إلى أهل دينه من النصارى، ولما سيقت ابنة حاتم أسيرة، جعلت في الحظيرة بباب المسجد مع السبايا، ومرّ بها رسول الله ﷺ، فكلمته أن يفك أسرها فقال: قد فعلت، فجدي أحداً من قومك يوصلك إلى بلادك، قالت: فوجدت ركبا من بني قضاعة ذاهباً إلى الشام، فاستأذنت رسول الله ﷺ، فكساها، وأكرمها، وخرجت معهم فقدمت الشام، فلما لقيت عديّا أخاها تلاوما ساعة، ثم قال لها ماذا ترين في أمري مع هذا الرجل؟ يقصد رسول الله ﷺ، فنصحته باللحاق به، فأتى إلى رسول الله ﷺ، وأدخله إلى بيته،

١-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٦٣؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ٢٦٦.
٢-ضمام بن ثعلبة: أحد بني سعد بن بكر السعدي، ويقال التميمي، بعثه بنو سعد بن بكر وافدا على رسول الله، ولما عاد إلى قومه تمكن من إدخالهم الإسلام جميعهم. ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/ ٧٥١-٧٥٣.
٣-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٩٠.

وأجلسه على وسادته، ولما رأى عدي كيف أن رسول الله ﷺ استوقفته امرأة في طريقه، فوقف لها، وتكلم معها، فعلم أنه ليس بملك وأنه نبي[1].

خامساً: وفود اليمن

قدمت وفود اليمن على رسول الله ﷺ، فكتب لهم كتباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضهم، ووجه إليهم عماله لتعريفهم بشرائع الإسلام، وقبض صدقاتهم، والجزية على من بقي منهم على دين النصرانية، والمجوسية، واليهودية[2].

سادساً: كعب بن زهير[3]

وَفدَ على رسول الله ﷺ كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني فأسلم، واعتذر مما سبق منه لذمّه رسول الله ﷺ في قصيدة له، فعفا عنه وكساه بردته[4]، وألقى قصيدته بانت سعاد:

انبئت أنّ رسـول الله أوعـدني ... والعفـو عند رسول الله مأمـول
مهلا هداك الّذي أعطاك نافلة ... القـرآن فيه مواعيظ وتفصيـل
لا تـأخذنّي بأقـوال الوشـاة ولم ... أذنب ولو كثرت عني الأقاويل[5]

وتوالت بعدها العديد من الوفود، وازدحمت بهم المدينة تطلب الدخول في الإسلام، اكتفينا بذكر جزء منها لكثرتها، وبالنظر لتوسع رقعة دولة الإسلام، وبعد أن كانت محصورة في محيط المدينة المنورة، ثم ضمت مكة، وبعدها اليمن؛ لذلك قدمت الوفود

١-الطبرسي: اعلام الورى، ١/ ٢٥٢ ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢/ ٤٧١.
٢-المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢٣٩.
٣-كعب بن زهير: بن أبي سلمى يكنى أبا عقبة، وقيل: هو أبو المضرب، كان شاعراً فحلاً مجيداً، أسلم كعب وكانت له صحبة، توفي سنة ٢٦هـ. ينظر المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ- ٩٩٤م)، معجم الشعراء، (تصحيح وتعليق: ف. كرنكو، ط٢، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ص٣٤٢؛ كحالة: عمر، معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى، بيروت- لبنان، د. ت) ٨/ ١٤٤.
٤-بحرق: محمد بن عمر بن مبارك الحميري (ت٩٣٠هـ- ١٥٢٤م)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، (تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، ط١، دار المنهاج، جدة، ١٤١٩هـ)، ص٣٧١.
٥-بن زهير: كعب (ت٢٦هـ - ٦٤٧م)، ديوان كعب بن زهير، (شرح ودراسة: مفيد قميحة، ط١، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م)، ص١١٤. للمزيد ينظر البهادلي: الوفود القادمة إلى دار الخلافة حتى نهاية العصر الأموي، (ط١، التميمي للنشر والطباعة، النجف الأشرف، ٢٠١٦م).

أفواجاً كما عبر عنها الله سبحانه بقوله: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾[1]، حتى سميت السنة التاسعة من الهجرة المباركة بعام الوفود.

١-سورة النصر: آية ١-٣.

المبحث الرابع

الاستخلاف ووفاته ﷺ

*** الاستخلاف**

يستعرض غابريلي السنتين الأخيرتين من حياة رسول الله ﷺ بالتوضيح بقوله: «إنه أخذ يعزز، وينظم دولته الفتية بعد أن اجتث الوثنية من الجزيرة العربية، وأصبحت مكة والمدينة أعظم مدينتين في شبة الجزيرة العربية، وقد عمل رسول الله ﷺ في سنواته الأخيرة بالتأكيد على معالم الدين الإسلامي، وترسيخها في نفوس المعتقدين بها من خلال الافتاءات الشرعية، والممارسات الشعائرية»[1].

ويشير غابريلي إلى أن رسول الله ﷺ لم يعين خلفاً له بقوله: «لم يعين خلفاً أو ممثلاً، فإرادة جماعته فقط هي التي ستبقى الخلف، أو الممثل المنتخب»[2]. ومن هنا نعود إلى القول: إن غابريلي وأغلب المستشرقين كانوا يقرؤون التاريخ الإسلامي من جانب واحد، أو يميلون إلى وجهة نظر معينة، فالباحث المتمرس، والناقد، والبعيد عن ميوله، وعواطفه، يجب أن يلم بجميع جوانب التاريخ؛ لكي يخرج بمحصلة توثق ما يصبو إليه، أما موضوع استخلافه ﷺ، فكتب التاريخ الإسلامي، والروايات التاريخية قد ناقشت هذا الموضوع بوفرة، فكان الأحرى بغابريلي أن يأخذ هذه الروايات، ويوازنها مع بعضها البعض، ليخرج بالمحصلة المطلوبة.

إن رسول الله ﷺ من غير المنطقي، ولا يقبله العقل أن يترك أمة إسلامية فتية لم يترسخ فيها الدين الإسلامي بشكل كبير كريشة في مهب الريح، فهل من الحكمة من رجل حكيم، وصاحب رسالة سماوية، ومصلح ديني كبير كرسول الله ﷺ أن يترك مشروعه لإرادة جماعته؟ وهل ضَمنَ رسول الله ﷺ أن تكون إرادة جماعته صحيحة، ومتوافقة مع مشروعه الإلهي، لا تفتت هذا المشروع، وتنهي عمله المضني طيلة سنين كفاحه المقدس ﷺ لإظهار هذا الدين؟.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٧٠-١٧١.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٧١-١٧٢.

إن رسول الله ﷺ لم يكن يطمح لتأسيس دولة على وفق نظام حكم معين فقط، ولم يكن الأمر الذي بُعث به لمدة معينة، ومحددة، ومن ثمَّ يزول وينتهي كل شيء، بل هو دين سماوي شمولي أرسل به لكل العالم، فمن السذاجة، والجهل أن نعتقد، أو نتصور أن رسول الله ﷺ ترك أمة كالأمة الإسلامية الفتية دون من ينوب عنه، أو يقوم مقامه.

فضلاً عن ذلك فإن رسول الله ﷺ في أثناء غزواته التي غزاها، أو أثناء الشعائر الدينية التي كان يؤديها، لم يترك المدينة من دون أن يولي أحداً مكانه، على الرغم من أن تغيبه كان لمدة محدودة لم تتجاوز بضعة أيام، فهل يعقل أنه عند وفاته التي لا رجعة فيها أن يترك أمته سُدى، أو إلى مصير مجهول؟، فهي ليست قيادة فقط، بل قيادة، ورسالة سماوية، وشرائع وشعائر، لا بد أن تكتمل معالمها، وتكتمل هذه المعالم باختيار الشخص المناسب، وتنصيبه لهذه المهمة، وفعلاً قد تم ذلك، وهذا ما أكدته بعض المصادر التاريخية.

وبتتبع سيرة رسول الله ﷺ نجد أن أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب ﷺ كان ولي عهده، وصاحب الأمر من بعده، وذلك واضح في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله، كما أن هناك آيات مباركة، وأحاديث شريفة تبرهن على ذلك منها:

١. آية الولاية:

في قوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[١]. ذكرت كتب التفاسير المعتمدة عند مدرسة الصحابة أن هذه الآية نزلت بحق أمير المؤمنين علي ﷺ، فبينما هو قائم يصلي إذ دخل المسجد مسكين يسأل، فتصدق ﷺ بخاتمه على المسكين وهو يصلي[٢].

وتروي كتب التفاسير المعتمدة عند مدرسة آل البيت ﷺ عن أبي ذر الغفاري أنه

١-سورة المائدة: آية ٥٥.

٢-الطبري: تفسير الطبري، ٦/ ٠٩٣؛ ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٦١١ ؛ الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت٠٧٣هـ- ٠٨٩م)، أحكام القرآن، (ضبط وإخراج: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٥١٤١هـ- ٤٩٩١م)، ٢/ ٧٥٥؛ ابن الجوزي: زاد المسير، ٢/ ٢٩٢؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٢/ ٤٧ ؛ السيوطي: الدر المنثور، ٢/ ٣٩٢.

قال: «سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فصمتا، ورأيته بهاتين وإلا فعميتا، يقول: علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله، فلم يعطني أحد شيئا، وكان علي راكعاً، فأومأ بخنصره اليمنى إليه، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله ﷺ»[1]. فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته، رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إن أخي موسى، سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآنا ناطقا: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا**﴾، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، عليّا اشدد به ظهري. قال أبو ذر: فوالله ما استتمّ رسول الله الكلمة، حتى نزل عليه جبرائيل عليه السلام من عند الله، فقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[2].

ونقل أهل التفسير هذه الرواية بطرق أخرى، وهي أن رسول الله ﷺ خرج إلى المسجد، وفيه عدد من المصلين، فاعترضه سائل، فسأله رسول الله ﷺ: «هل أعطاك أحد شيئا؟ قال: نعم هذا الخاتم، فقال له: من أعطاكه؟ فقال: ذلك الرجل، فإذا هو علي أبي طالب عليه السلام وكان قائماً يصلي[3]، فنزلت هذه الآية المباركة بحقه.

١-الطبرسي: مجمع البيان، ٣/ ١٦٣؛ الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري (ق٥هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، (تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران– إيران، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م)، ١/ ٢٣٠؛ الطباطبائي: تفسير الميزان، ٦/ ٢١.

٢-الطبرسي: مجمع البيان، ٣/ ١٦٣-٢٦٣؛ الطباطبائي: تفسير الميزان، ٦/ ١٢؛ الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/ ٤٥-٤٦.

٣-القمي: تفسير القمي، ١/ ١٧٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٢/ ٣٥٧؛ السيوطي: الدر المنثور، ٢/ ٢٩٣؛ الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن (ت١٠٩١هـ- ١٦٨٠م)، الأصفى في تفسير القرآن، (تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨-١٣٧٦ ش)، ١/ ٢٨٢؛ الطباطبائي: تفسير الميزان، ٦/ ٢٣.

كما أن طرح مسألة الاختيار للجماعة، أو ما سمي بالشورى فيه تعارض مع المنظومة الإلهية، واختيار الله سبحانه وتعالى الأصلح للناس، ففي عدة آيات مباركة يصرح سبحانه باختياره صاحب الأمر الذي يرتضيه لعباده فيقول: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾[3]. فهذه الآيات المباركة هي دليل واضح، وبرهان قاطع أن اختيار الأصلح يكون من لدن الله سبحانه وتعالى.

٢. آية طاعة أولي الأمر:

وهي قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[4]، ينقل عن جابر بن عبد الله الأنصاري[5] في تفسير هذه الآية أنه قال: «لما أنزل الله على نبيه ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» قلت: يا رسول الله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي أولهم: علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجه

١-سورة البقرة: آية ١٢٤.
٢-سورة البقرة: آية ٢٤٧.
٣-سورة الفرقان: آية ٧٤.
٤-سورة النساء: آية ٥٩.
٥-جابر بن عبد الله الأنصاري: بن عمرو بن حزام الخزرجي، صاحب رسول الله، شهد بدرا والمشاهد الأخرى معه، من السابقين، وممن لازموا أمير المؤمنين عليّا عليه السلام، ورواياته تدل على علو رتبته، وحسن عقيدته، وانقطاعه إلى أهل البيت عليهم السلام من غير أن يورد ما يخالفها، توفي عام ٧٨هـ. ينظر خليفة بن خياط: طبقات خليفة، ص١٧٢؛ الاردبيلي: محمد بن علي (ت١١٠١هـ- ١٦٩٠م)، جامع الرواة، (منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم- إيران، ١٤٠٣هـ ق)، ١/ ١٤٣.

الله في أرضه»[1] عليه السلام، وهذا ما أخبر عنه الإمام الحسين عليه السلام أيضاً أن أولي الأمر هم الأئمة من آل البيت عليهم السلام فقال: «وأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة»[2]، وسُئل الإمام الرضا عليه السلام عن أولي الأمر في هذه الآية، فذكر أنه علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة من بعده[3].

إن الله سبحانه وتعالى لما أعطى هذه المنزلة -أي الطاعة لأولي الأمر- وجب بذلك أن يكون أولو الأمر معصومين من الخطأ والزلل[4]، فهذه المنزلة والعصمة متحققة في أئمة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وأولهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهم ورثة النبوة والحافظون لشرائعها، وأهل علم لدنيّ قد ملأ الآفاق.

٣.حديث المنزلة:

تنقل روايات السير والتاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توجه بجيشه نحو الشمال وإلى منطقة تبوك[5] بالتحديد، استخلف أمير المؤمنين عليّا عليه السلام على المدينة، فاستهزأ به المنافقون، واتهموه أن رسول الله صلى الله عليه وآله استثقل منه، فأزعج ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، وضاق صدره لذلك، فالتحق بالجيش، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمر فقال له: «كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع واخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي؟»[6].

١-الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٥٩؛ الاسترابادي: السيد شرف الدين علي الحسيني (ت٩٦٥هـ- ١٥٥٨م)، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، (تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.ق-١٣٦٦هـ.ش)، ١/ ١٣٥؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٣/ ٢٨٩.

٢-الفيض الكاشاني: تفسير الصافي، (مراجعة وتعليق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ)، ١/ ٤٦٥؛ الحويزي: نور الثقلين، ١/ ٥٠٧.

٣-العياشي: تفسير العياشي، ١/ ٢٥١؛ المشهدي: الميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي (ت١١٢٥هـ-١٧١٣م)، تفسير كنز الدقائق، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم المشرفة، ١٤١٠هـ)، ٢/ ٤٩٣.

٤-الرازي: التفسير الكبير، ١٠/ ١٤٤.

٥-تبوك: موضع بين وادي القرى وبلاد الشام في منتصف طريق بلاد الشام، فيه حصن وعين ونخيل، وتقع بين جبل حسمى وجبل شروري، توجه لها رسول الله سنة تسع للهجرة لغزو الروم فوجدهم قد تفرقوا، ولم يحصل قتال وهي آخر غزواته. ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ١٥.

٦-مسلم: صحيح مسلم، ٧/ ١٢٠؛ الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي (ت٤٤٩هـ - ١٠٥٧م)، كنز الفوائد، (ط٢، مطبعة غدير، ١٣٦٩ش)، ص٢٧٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٢/ ٩٩؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٧/ ٦٠؛ العيني: عمدة القارئ، ١٦/ ٢١٤.

فإن صحت هذه الرواية -لأن الإمام من غير المعقول أن يخالف أمر رسول الله ويترك المدينة- فإن منزلة هارون من موسى منزلة كبيرة وعظيمة، كان وزيرَه، وخليفتَه، وسندَه، وقد أوكل إليه كل أموره، كذلك كانت منزلة أمير المؤمنين علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ما عدا النبوة.

٤. حديث الغدير:

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج في الناس للحج وذلك في السنة العاشرة من الهجرة، وكان معه ما يقرب من تسعين ألفاً من المسلمين، فلما أنهى مناسك الحج، ورجع إلى المدينة توقف في منطقة غدير خم[١]، فنزل عليه الملك جبرئيل عليه السلام يخبره بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[٢]، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة، فصلى بالناس، ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وأمر المسلمين بالتوحيد، والنبوة، وذكرهم بالمعاد، وأوصاهم بالثقلين قائلاً: «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»، ثم قال: «إن الله مولاي، وأنا ولي كل مؤمن» ثم أخذ بيدي علي عليه السلام فقال: «من كنت وليه، فهذا وليه اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»[٣]، فنزل قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[٤]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي»، ثم أخذ الناس يهنئون علياً، وممن هنأه في مقدمة الصحابة

١-غدير خم: وادٍ بين مكة والمدينة قرب الجحفة، به غدير، تسكنه بعض قبائل خزاعة وكنانة. ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٣٨٩.

٢-سورة المائدة: آية ٦٧.

٣-النسائي: السنن الكبرى، ٥/ ٤٥؛ وفضائل الصحابة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ)، ص١٥؛ الكليني: الكافي، ٨/ ٢٧؛ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص٢٣٤؛ العيني: عمدة القارئ، ١٨/ ٢٠٦؛ الأميني: الشيخ عبد الحسين أحمد (ت١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (نشر: حسن إيراني، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م)، ١/ ١١.

٤-سورة المائدة: آية ٣.

الشيخان أبو بكر وعمر كلاً يقول: «بخ بخ، لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[1].

ومما ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة في حجة الوداع، فلما انصرف منها، وقد شيعه من مكة اثنا عشر ألف رجل من اليمن، وخمسة آلاف رجل من المدينة، جاءه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا رسول الله إن الله تعالى يقرؤك السلام، وقرأ هذه الآية: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل إن الناس حديثو عهد بالإسلام فأخشى أن يضطربوا ولا يطيعوا، فعرج جبرائيل إلى مكانه ونزل عليه في اليوم الثاني، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نازلا بغدير فقال له: يا محمد قال الله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» فقال له: يا جبرائيل أخشى من أصحابي من أن يخالفوني، فعرج جبرائيل ونزل عليه في اليوم الثالث، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع يقال له: غدير خم وقال له: يا رسول الله قال الله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المقالة قال للناس: أنيخوا ناقتي، فوالله ما أبرح من هذا المكان حتى أبلغ رسالة ربي، وأمر أن ينصب له منبر من أقتاب الإبل، وصعدها وأخرج معه عليا عليه السلام وقام قائماً، وخطب خطبة بليغة ووعظ فيها وزجر، ثم قال في آخر كلامه: يا أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، ثم قال: قم يا علي، فقام علي، وأخذ بيده فرفعها حتى رؤي بياض إبطيه، ثم قال: ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ثم نزل من المنبر وجاء أصحابه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهنوه بالولاية، وأول من قال له عمر بن الخطاب فقال له: يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[2]، وبها نزل جبرئيل عليه السلام بآية

١-ابن جبر: نهج الإيمان، ص١٢٦؛ الأميني: الغدير، ١/ ١١.
٢-السبزواري: محمد بن محمد (ت ق٧هـ)، معارج اليقين في أصول الدين، (تحقيق: علاء آل جعفر، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، ص٤٧-٤٨.

إكمال الدين: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1]. وهناك العديد من الحقائق والدلائل على خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام اكتفينا بما ذُكر تجنباً للإسهاب.

ويبدو أنه ليس غابريلي فقط الذي أنكر أحقية أمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة، وان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعين خلفاً بعد وفاته، فهذا المستشرق جيورجيو يذهب إلى القول نفسه[2]، وكذلك بروكلمان الذي يقول: «ثم ان علياً ابن عم النبي وزوج بنته، ادّعى لنفسه الحق كرئيس للدولة، بوصفه أقرب الناس رحماً إليه»[3]. فكلام بروكلمان هذا ككلام غابريلي، وكلاهما لم يكن له اطلاع، ولا تقصٍّ للحقائق.

فضلاً عن ذلك فهناك مستشرقون تناولوا هذا الموضوع، وطرحوا حادثة الغدير للتحليل والتقصي، وتوصلوا إلى حقائق، وثوابت، فهذا المستشرق الالماني كونسلمان[4] يقول: «وقبل موت محمد بقليل كان قد قام بالحج من المدينة إلى مكة، والمسلمون يعتبرون هذا إكمالاً لكل النبوءات وإتماماً للدين، وكان كل من يؤمن بأحقية علي بعد موت النبي كان يرى أن محمداً قد نظم بوضوح مسألة الخلافة قبل عودته للمدينة، ففي موقع يدعى غدير خم، قام محمد أمام كل المؤمنين الذين ذهبوا معه إلى مكة بتكليف عليّ بلا شك بتجهيز نفسه لتسلم أعلى منصب، أما من آمنوا بهذا التكليف فسرعان ما صاروا شيعة علي أي حزب علي أو حزب آل بيت النبي، إلا أن أتباع حزب علي كانوا قلة فلم يستطيعوا مقاومة الخليفة أبي بكر مقاومة جدية»[5].

١-سورة المائدة: آية ٣.
٢-جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله محمد، ص٣٨٦.
٣-بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٨٣.
٤-كونسلمان: صحفي وكاتب الماني مشهور، ومن خلال عمله صار له اطلاع واسع على منطقة الشرق الأوسط وخاصة العربية منها، له العديد من المؤلفات منها: العرب والقدس، أغنياء النيل. ينظر كونسلمان: جرهارد، سطوع نجم الشيعة، (ترجمة: محمد أبو رحمة، ط١، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٤٢١هـ- ٢٩٩١م)، غلاف الكتاب.
٥-كونسلمان: سطوع نجم الشيعة، ص١٨-١٩.

ومما نقل أيضاً: «وعلى الرغم من أن علياً هو الخليفة المعين من قبل النبي، فإنه أُستُبعد عن هذه الخلافة، وانتظر سنين طويلة باستسلام لكي يتولى فيما بعد دوره في خلافة المسلمين»[1].

لهذا يتبين لنا أن غابريلي لم يطلع، ولم يبحث بشكل واسع في مسألة خلافة رسول الله ﷺ، كما أنه لم يعتمد المصادر الشيعية التي تناولت مسألة الخلافة بشكل واسع على وفق أدلة قطعية، وبراهين واضحة، ولم يفد أيضاً من كتابات أقرانه من المستشرقين الذين تناولوا هذا الموضوع بشكل دقيق، وتوصلوا إلى نتائج حقيقية ومرضية.

*** مرض رسول الله ﷺ ووفاته**

إن رسول الله ﷺ لما علم قرب أجله، قام يوجه المسلمين، ويحذرهم من الفتنة من بعده، واختلافهم، ويوصيهم بالتمسك بالقرآن، ويحثهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم، ومما قاله ﷺ: «أيها الناس، إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتفرقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، أيها الناس لا ألفينكم بعدي ترجعون كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلفوني في كتيبة كمجر السيل الجرار، ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[2].

وعن وفاته ﷺ يصرح غابريلي أن رسول الله ﷺ عاد مرة أخرى إلى المدينة، وكان يبدو عليه ملامح التعب والإنهاك وتوفي عام ٦٣٢م بعد أن عانى من المرض عدة أيام[3].

١-ريشار: يان، الإسلام الشيعي عقائد وايديولوجيات، (ترجمة: حافظ الجمالي، ط١، دار عطية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٩٦م)، ص٣٥.
٢-المفيد: الإرشاد، ١/ ١٨٠؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ٥/ ٢٩٠؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٣٦/ ٣٢٩.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٧١.

بقي رسول الله ﷺ يصارع مرضه الذي مات فيه عدة أيام[١]، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يترك مسؤولياته كنبي مرسل، ورئيس لدولة الإسلام، فأمر أصحابه عدة مرات بالخروج في جيش أسامة بن زيد[٢] الذي وجهه لقتال الروم، إلا أنهم تحججوا بمرضه، ولم ينفذوا في هذا الجيش[٣]، أضف إلى ذلك عند اجتماعهم عند رسول الله ﷺ وهو ملقى على فراشه طلب منهم أن يأتوه بكتاب ودواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلوا بعده، فقال عمر بن الخطاب: إنه قد غلبه الوجع[٤]، وذكر أنه قال: إن الرجل ليهجر[٥]، وهذا القول لا يليق بمقام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ولما قربت وفاته ﷺ طلب من أمير المؤمنين علي عليه السلام أن يضع رأسه الشريف في حجره، فقد جاء أمر الله، وقال له: «إذا فاضت روحي تناولها بيدك، وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة، وتول أمري، وصلِّ عليَّ أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي»[٦].

توفي ﷺ في الثامن والعشرين من صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة، وقام أمير المؤمنين علي عليه السلام بتغسيله، وتكفينه، وصلى عليه[٧]، وقال الناس: كيف الصلاة عليه؟ فقال عليه السلام: إن رسول الله ﷺ امامنا حياً وميتاً، فدخلوا عشرة عشرة فصلوا عليه[٨]،

١-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١١٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٣٣ .
٢-أسامة بن زيد: بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أمه أم أيمن، أمّره رسول الله على الجيش وقال فيه وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، سكن المزة مدة ثم تحول إلى المدينة ومات بها، وقيل بوادي القرى سنة أربع وخمسين للهجرة. ينظر السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، (تحقيق: موفق فوزي جبر، ط١، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٠هـ)، ص١٤.
٣-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١١٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١/ ٧٥؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٩٢.
٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٤٤٢؛ بن حنبل: مسند أحمد، ١/ ٥٢٣؛ البخاري: صحيح البخاري، ١/ ٧٣؛ ال عبد الجبار: محمد بن عبد علي (ت٣٥٠هـ - ٩٦١م)، الشهب الثواقب في رجم شياطين النواصب، (تحقيق: حلمي السنان، ط١، مطبعة الهادي، قم، ١٤١٨هـ)، ص٨٣؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١٤/ ٤٤٦.
٥-ابن طاووس: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص٤٣٢؛ العلامة الحلي: تذكرة الفقهاء، ٢/ ٤٦٩.
٦-الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٥٨.
٧-الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٥٨.
٨-الكليني: الكافي، ١/ ١٥٤؛ الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (ت١١٣٧هـ - ١٧٥٢م)، كشف اللثام عن قواعد الاحكام، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٨هـ)، ٢/ ٣٦٢.

ودفن في حجرته التي مات فيها ﷺ[1]، وهذا ما ذكره المستشرق غابريلي بالقول: «وعلى موقع بيته المتواضع، حيث بُني قبره»[2].

وتجلت عظمة الله سبحانه أن يقبض روح حبيبه المصطفى ﷺ وهو في سن الكهولة، إذ تكون فيها الأبدان صحيحة، والأمزجة معتدلة، ولو أمد بعمره فسوف يدخل في سن الشيخوخة، التي يظهر فيها الخرف ونقصان الرأي (حاشا نبينا عن ذلك)، وهذا لا يليق بمقامه ﷺ فتوفاه الله في كامل قواه العقلية والبدنية[3].

هكذا رحل نبي الرحمة رسول الله ﷺ، وإمام الهدى، وقائد مسيرة السلام والإسلام، وحامل لواء القرآن، الذي تحدى به العالم على مدى الزمان، وهو أشرف الخلائق وأكملهم كلهم، وأقربهم إلى الله سبحانه وتعالى فقد سماه رب العزة بحبيب الله.

*** صفاته وخُلقه الكريم ﷺ**

ولو أردنا تعداد صفات رسول الله ﷺ، وأخلاقه لطال بنا المقام؛ لأن صفاته الكريمة ملأت القرآن الكريم، وشغلت الكُتّاب، والكتب، والأدباء، والمفكرين، فهذا المستشرق غابريلي يتناول صفاته ﷺ، وأخلاقه بالمدح والثناء فيقول: «لقد استمر في نضاله، وكفاحه بحماس، وانفعال، وعاطفة، وإيمان راسخ، حينما وجد نفسه وجهاً لوجه أمام مقاومة عنيفة من الفئة الحاكمة في مكة، فناضل بإيمان لا يتزعزع برسالته الحقة، وسموها الديني والأخلاقي على العبادة الوثنية البدائية، وعلى المصالح التي ارتبطت بها»[4].

ومن زاوية أخرى فقد كانت له ﷺ جاذبية على أصحابه وأتباعه، دون أي مغريات، فهي هبة ربانية خص الله بها نبيه، فترى الناس مطيعة خاضعة لإرادته، ليس لأجل مصلحة، ولا بسبب خوف، أو رهبة، بل هيبة النبوة وجاذبيتها، ويشير إلى ذلك غابريلي

١-أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت٣٠٧هـ-٩١٩م)، مسند أبي يعلى الموصلي، (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت)، ١/ ٤٦؛ الكليني: الكافي، ١/ ٤٥١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٨٧.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٧٢.
٣-ابن النفيس: علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت٨٧٦هـ- ٩٧٢١م)، الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، (تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، ط٢، لجنة إحياء التراث، وزارة الأوقاف، مصر، ١٩٨٧م)، ص١٨٤.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٣-١٤٤.

بقوله: «وقد علم أيضا كيف يكسب المعركة لنفسه دون أية موارد مالية للإغراء، وجذب الموالين له في ذلك الوقت أكثر من صفاته، وشخصيته المحبوبة غير المشكوك فيها ونبل عقيدته الحقيقية»[١].

وإذا كان الحديث عن إيمانه بالله الواحد الأحد، وتواضعه، ففي هذا الجانب لم يجامل رسول الله ﷺ على حساب عقيدته، فهي عقيدة ثابتة لا تقبل التغيير، وطريق عمل موصول إلى الله عز وجل لا يمكن القبول بغيرها، لذلك نرى رسول الله ﷺ كان شديداً لا يجامل في تثبيت وحدانية الله، وشارحاً لأحكام الله وواجباته بلا هوادة، ولذلك يقول غابريلي: «إن اعتماد الإنسان على الله الواحد الأحد ومسؤوليته تجاهه، والتهديد الوشيك بالآخرة ويوم القيامة، وبالواجبات الأخلاقية التي تصدر عن هذه العقيدة داخل المجتمع الإنساني، ووضعه الخاص كرسول، قد شدد عليها بقوة منذ البداية»[٢].

وعن صبره ﷺ وحلمه على ما عاناه من المصاعب التي حاقت به، وإخلاصه الصادق، وأمانته، وإيمانه بأداء رسالته مهما كلف الأمر من أجل ذلك، فهذه قد عدها غابريلي من صفات الشرف، والنبل، والكرامة التي تميز بها رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك قوته، وسطوته السياسية على الناس[٣].

أما عن الحقبة المدنية، فيذهب غابريلي إلى أن شخصية رسول الله ﷺ كانت لا تشبه، أو انها مغايرة لشخصيته في الحقبة المكية، ففي مكة عومل رسول الله ﷺ كنبي مضطهد اندفع بحماس ديني، ولكن في المدينة نراه حاكما، وقاضيا، وقائدا عسكريا مقتدرا، وتميز بالشهامة في أعماله، وفي انتصاراته أحيانا[٤].

نعم، إن رسول الله ﷺ كان ذا حنكة سياسية، وهو رجل تكتيكي من الطراز الأول بحسب المصطلحات الحديثة، ففي مكة كان في طور الدفاع والتأسيس للقاعدة

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٤.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٤.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٤٤.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٧٣.

الجماهيرية والمتلقية لتعاليم السماء، أما في المدينة فإنه تحول إلى حالة الهجوم بعد أن مكن الله له في الأرض وأصبح سيد كل شيء.

ويجب أن لا نغفل نضاله، وصراعه من أجل قضيته التي كرس حياته من أجلها، ويمكن اعتبارها نهضة، أو يقظة لعقيدة دانت لها حياة شعوب بأكملها، هذه العقيدة التي لا يمكن قهرها، وأمست شعلة لا تنطفئ[1]، تنير درب طلاب الهداية والرَّشاد.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٧٤.

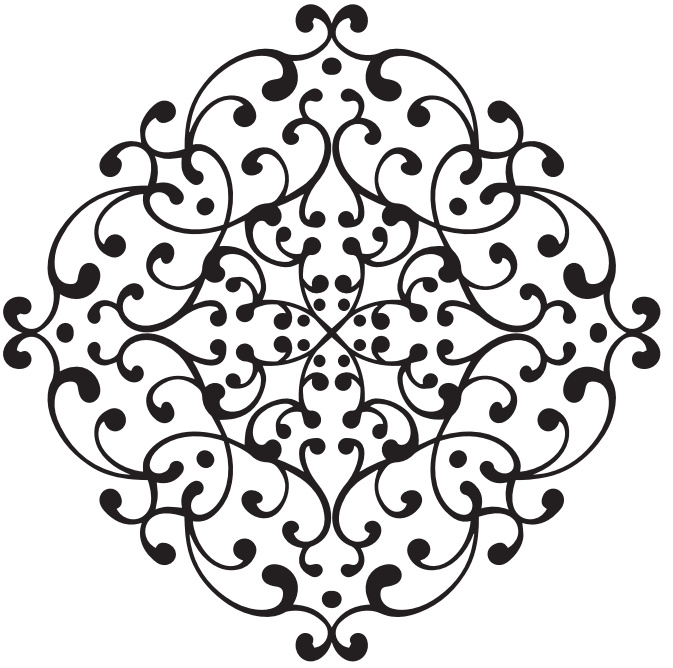

الفصل
الرابع

المبحث الاول

*** السرايا**

مفهوم السرية: هي مجموعة أشخاص تبعث إِلَى مواطن العدو، وهي في الأصل من السري وهو السير ليلاً، وتخفي خروجهَا؛ لئلا يستشعر خبرها، وتكشفها العيون[١]، وقد تكون السرية من ثلاثة أشخاص فقط، لأن رسول الله ﷺ نهى أن تكون السرية أقل من ثلاثة[٢]، ومما ينقل عنه ﷺ قال: «خير الْأَصحاب أَربعة، وخير السرايا أَربع مائة، وخير الجيوش أَربعة آلَاف، ولن يغلب اثنا عشر أَلفا من قلة إذا كانت كلمتهم واحدة»[٣].

في بدء الدعوة الإسلامية أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الله ﷺ بعدم القتال والإعراض عن المشركين؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٤]، **والمعنى: امضِ في أمر ربك في تبليغ رسالته، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم**[٥]، **وقوله:** ﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[٦]، يقول هنا تعالى ذكره لنبيه جوابا له عن دعائه إياه إذ قال: «يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون» فخاطبه الله اصفح عنهم يا محمد، وأعرض عن أذاهم، وقل لهم سلام عليكم[٧]، فالأمر بالدعوة والإعراض عن المشركين جاء في بداية الدعوة الإسلامية، لما كان المسلمون مستضعفين، وفي موقف يصعب عليهم القتال والمواجهة جاء أمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بعدم القتال، ونشر الدعوة الإسلامية بالرفق واللين؛ حفظا للرسول وأصحابه، وعدم الالتفات للكفار، والصفح عنهم، وترك مواجهتهم.

١-ابن قتيبة الدينوري: غريب الحديث، (تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ)، ١/ ٢٢٧ ؛ الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت٣٧٠هـ- ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م)، ١٣/ ٣٩.
٢-السرخسي: شرح السير الكبير، ١/ ٦٩.
٣-ابن حنبل: مسند أحمد، ١/ ٢٩٩ ؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٩/ ١٥٦ ؛ السرخسي: شرح السير الكبير، ١/ ٦٧.
٤-سورة الحجر: آية ٩٤.
٥-الطبري: تفسير الطبري، ١٧/ ١٥١-١٥٣.
٦-سورة الزخرف: آية ٨٩.
٧-الطبري: تفسير الطبري، ١٧/ ١٥١-١٥٣.

وبعد انتقال رسول الله ﷺ والمسلمين إلى المدينة، واستقرارهم فيها، ومساندة الأنصار لهم، شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد، وقتال المشركين للدفاع عن أنفسهم في قوله جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]، فجعل قتال من قاتلكم واعتدى عليكم قتالًا في سبيله[2]، ونلاحظ مما سبق أن الله سبحانه وتعالى لم يصرح للمسلمين في بدايات الدعوة الإسلامية بالقتال، بل أمرهم بالصبر والإعراض، وتجنب المشركين حتى بعد انتقالهم أي هجرتهم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، على الرغم مما تعرضوا له في موطنهم، ففي ذلك حكمة ربانية من لدن العزيز القدير ليبين أن الإسلام دين حب وسلام، وليس دين حرب؛ لذا لا بد من الصبر على ظلم المشركين وطغيانهم[3]، وكذلك للمحافظة على أتباع الدعوة الإسلامية وأنصارها لكيلا يفتك بهم المشركون؛ لأنهم كانوا قليلين، وحتى بعد هجرتهم لم تكن دولة الإسلام قد استقرت بعد، لذلك لاحظنا أن آيات القتال والجهاد قد نزلت على مراحل، وبعضها قد نسخت التي قبلها.

وهذا ما أشار إليه المستشرق غابريلي بقوله: «والإذن الإلهي الذي أعطي لمحمد بأن يلجأ إلى السلاح –إن كان ضروريا– بدأت تعطي ثمارها الأولى حينما انتقل الإسلام من الأقوال إلى الأفعال»[4]، وفي الوقت نفسه يذكر غابريلي أن: «السرايا (raids) على القوافل من الحجاز التي شرع النبي بتنظيمها من المدينة في عام ٦٢٣م حذت حذو العادة القديمة في المجتمع العربي الوثني»[5]. وهذا ما أكده المستشرق برنارد لويس[6]

١-سورة البقرة: آية ١٩٠.
٢-الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ٢/ ١٤٣.
٣-الطرفاوي: سيف النصر علي عيسى، أخلاقيات الحرب في ضوء السيرة النبوية، (دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م)، ص١٠٧.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٣.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٤.
٦-برنارد لويس: مستشرق إنكليزي ولد عام ١٩١٦م، أكمل دراسته في جامعتي لندن وباريس، عين أستاذا لتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط في جامعة لندن ١٩٤٦م، أهم مؤلفاته: العرب في التاريخ، وأصول الإسماعيليين والإسماعيلية. ينظر العقيقي: المستشرقون، ٢/ ٥٦١.

إذ يقول: «ولما كان المهاجرون معدومين من الناحية الاقتصادية، ولا يرغبون في أن يعتمدوا كلياً على المدينيين، فقد تحولوا إلى المهنة الوحيدة الباقية وهي السطو»[١].

ونرى أن غابريلي عند حديثه عن السرايا استخدم مصطلح (raid) الذي يعني (غارة)[٢]، وكان الأجدر به استخدام كلمة (company) فهو المعنى الأصح لمصطلح سرية[٣]. وهو بذلك أراد أن يصور السرايا التي كان يبعث بها رسول الله ﷺ كالغارات التي تشنها القبائل قبل الإسلام على بعضها بعضاً، وهذا تجنٍّ كبير من غابريلي على المجتمعات العربية، فكأنما عادة الغارات كانت في المجتمعات العربية فقط دون غيرها، فهل خلت المجتمعات الاوربية قبل ظهور الإسلام وبعده من هذه الغارات؟ ليأتي غابريلي ويصورها على المجتمعات العربية فقط!، هذا من جانب، ومن جانب آخر يحاول إيضاح أن جميع السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ كانت غايتها النهب، والسلب؛ لذلك أطلق عليها لفظ الحملات النهبية[٤].

إن المستشرق غابريلي لو تمعن جيدا في السرايا التي بعثها رسول الله ﷺ لما صورها بأنها حملات نهبية، فهي لم تهاجم القبائل التي كانت في سلم مع دولة المدينة، ولم تؤذِ من هم غير مسلمين، بل كانت توجه إلى قوافل قريش، وبعض المهمات الخاصة فقط؛ لأن قريش قد بطشت بالمسلمين المهاجرين، ونهبت أموالهم وأملاكهم، فكانت هذه الحملات تعويضاً للمتضررين منهم، فضلاً عن ذلك فقد كانت الغاية منها هي استكشافية للتعرف على أحوال العدو، ومعرفة تحركاته لتأمين دولة الإسلام، والتهيؤ لكل طارئ، وكان للسرايا دور في إظهار هيبة المسلمين، وقوتهم، وإشعار العدو أن زمن الضعف قد ولى على حد إشارة السيد طنطاوي[٥].

١-لويس: برنارد، العرب في التاريخ، (تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م)، ص٥٧.
٢-البعلبكي: المورد الحديث، ص٩٥٥.
٣-البعلبكي: المورد الحديث، ص٢٥٠.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٤.
٥-سيد طنطاوي: د. محمد، السرايا الحربية في العهد النبوي، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، ص٢٨-٣٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا بسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخا فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين، أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم، فأخوكم في الدين، وإن أبى، فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه»[1].

وبالرجوع إلى بعض السرايا التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله لم نجد أي عملية نهب، أو سلب قامت به هذه السرايا، حتى مع تعرضها لقوافل قريش فلم تقم بنهبها. ومن هذه السرايا:

*** سرية حمزة بن عبد المطلب (١ للهجرة)**

انطلقت بعد سبعة أشهر من الهجرة في ثلاثين فارساً، واعترضت قافلة لقريش فيها أبو جهل ومعه ثلاثمائة رجل، عاد منها المسلمون دون قتال بعد حدوث وساطة بين الطرفين انسحب على اثرها الطرفان[2].

*** سرية عبيدة بن الحارث[3] (١ للهجرة)**

انطلقت بعد ثمانية أَشهر من الهجرة في ستين فارساً، فلقوا أَبا سفيان بن حرب في قافلة تجارية تضمّ مئتي رجل، ودارت بينهم مناوشات فقط، فلم يسلوا السيوف، ولم يصطفوا للقتال، ثم انصرف كلا الطرفين[4].

١-الكليني: الكافي، ٥/ ٢٨ ؛ المجلسي: بحار الأنوار، ١٩/ ١٧٧ ؛ الحويزي: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي (ت١١١٢هـ-١٧٠٠م)، تفسير نور الثقلين، (صححه وعلق عليه وأشرف على طبعه: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، ١٤١٢ه ق- ١٣٧٠ه ش)، ٢/ ١٨٨.

٢-ابن عقبة: المغازي، ص١١٨؛ الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت٢٠٧هـ- ٨٢٢م)، المغازي، (تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، ١/ ٩.

٣-عبيدة بن الحارث: بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، يكنى أبا الحارث أيضاً، أسلم عبيدة قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وآله دار الأرقم بن أبي الأرقم، استشهد في بدر بعد أن قتل شيبة بن ربيعة، وهو ابن ثلاث وستين سنة. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٥٠-٥٢.

٤-ابن عقبة: المغازي، ص١١٩ ؛ الواقدي: المغازي، ١/ ١٠.

*** سرية سعد بن أَبي وقاص (١ للهجرة)**

انطلقت بعد تسعة أَشهر من الهجرة في عشرين رجلاً، لاعتراض قافلة لقريش، وكانوا يكمنون ليلاً، ويمشون نهاراً لمدة خمسة أيام، فلم يلحقوا بالقافلة التي غادرت قبل يوم من وصولهم[١].

*** سرية عبد الله بن جحش(٢) (٢ للهجرة)**

انطلقت في السنة الثانية للهجرة لتقصي أخبار قريش، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ بالقتال، فلما وصلوا مبتغاهم مرّ بهم جماعة من قريش قادمين في تجارة لهم من الطائف، فاختلف المسلمون في قتالهم بسبب الشهر الحرام، وإن تركوهم دخلوا مكة فامتنعوا عنهم، فقاتلوهم وقتلوا أحدهم بينما تمكن الباقون من الفرار، وأسروا نفرين منهم، وأخذوا بضاعتهم، وقدموا بهم إلى المدينة، فلم يقبل رسول الله ﷺ بذلك لانتهاكهم الشهر الحرام، وأوقف الأسيرين، وبضاعتهم ولم يقبل أن يؤخذ منها[٣]، حتى نزل قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[٤].

ثم يقول غابريلي: «وكانت الأشهر التي أعقبت بدرا قد تميزت بأحداث أخرى في الكراهية الدينية والسياسية»[٥]، مشيراً إلى السرايا التي بُعثت لتصفية بعض الشخصيات التي كانت تحرض على قتل المسلمين وتشوه صورة الإسلام، ورسوله ﷺ، وتنظم الشعر في ذلك. ويجب التوضيح هنا أن هذه السرايا لم تكن لكراهية دينية، بل هي خرجت دفاعاً عن الإسلام وأهله، ومحاسبة الذين أساءوا إلى رسول الله ﷺ، ومن هذه

١-الواقدي: المغازي، ١/ ١١ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٧.

٢-عبد الله بن جحش: بن رئاب بن يعمر الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، من السابقين إلى الإسلام، ومن المهاجرين، هاجر إلى الحبشة ثم إلى يثرب، وشارك في غزوة بدر، قُتل في غزوة أحد. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ٨٩-٩١.

٣-الطبرسي: اعلام الورى، ص٩٠-٩١ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١١٣.

٤-سورة البقرة: آية ٢١٧.

٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٧.

السرايا هي:

*** سرية عمير بن عدي الخطمي[1] (٢ للهجرة)**

كانت هذه السيرة لقتل عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، وكانت متزوجة من رجل من بني خطمة، يقال له يزيد بن زيد، فقالت أشعاراً تعيب بها على الإسلام وأهله، وتؤذي رسول الله ﷺ بكلامها، وتحرض على قتله[2]. ومن أشعارها:

باست بني مالك والنبيت ... وعوف وباست بني الخزرج
أطعتم أتاويّ من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس ... كما يُرتجى مرق المنضج
ألا أنف يبتغي غرة ... فيقطع من أمل المرتجي

فرد عليها حسان بن ثابت بقوله:

بنو وائل وبنو واقف ... وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دعت سفهاً ويحها ... بعولتها والمنايا تجي
فهزت فتى ماجداً عرقه ... كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ... ء بعد الهدو فلم يحرج

فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك قال: ألا آخذ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك عمير بن عدي الخطمي، فسار إليها من تلك الليلة إلى بيتها وقتلها، فلما أصبح أبلغ رسول الله ﷺ بقتله لها، فقال له: نصرت الله ورسوله يا عمير[3]، وفيها سأل عمير رسول الله ﷺ: هل عليّ من إثم في قتلها؟ فرد عليه رسول الله: «لا ينتطح فيها عنزان». وهذه العبارة أول من قالها رسول الله ﷺ وصارت من بعد ذلك مثلاً يضرب[4].

١-عمير بن عدي: بن خرشة بن أُمية بن عامر بن خطمة، وكان عمير ضريراً، وهو الذي سماه رسول الله البصير، وكان يزوره في بني واقف، وكان من الذين كسروا أصنام بني خطمة. ينظر الاصبهاني: معرفة الصحابة، ٤/ ٢٠٩٦.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ١٣٦ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ١٢٠.
٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ١٠٥٢ ؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/ ٣٨٢ ؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٣/ ١٤٤.
٤-ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٤/ ٥٩٩ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ١٢٠.

والرواية تذكر أنه أتاها وكانت تبيع التمر، فقال لها: هل لديك أفضل من هذا التمر؟ فدخلت البيت لتجلب له التمر، فدخل عليها وضربها على رأسها فقتلها[1].

*** سرية سالم بن عمير[2] (٢ للهجرة)**

كانت هذه السرية لقتل أبي عفك أحد بني عمرو بن عوف من بني عبيدة، وكان يُحرِض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر فيه، فيقول:

لقد عشت دهراً وما إن أرى ... من الناس داراً ولا مجمعا
أبـــر عهـــوداً وأوفى لمـــن ... يعاقـــد فيهـم إذا ما دعا
مـــن أولاد قيلـة في جمعهـم ... يهـد الجبـال ولم يخضعا
فصدعهـــم راكب جاءهـــم ... حـــلال حـرام لشتى معا
فلـــو أن بالعـــز صـــدقتم ... أو الملـــك تابعتـــم تبعـا

فقال رسول الله ﷺ: من لي بهذا الخبيث؟[3] فقام سالم بن عمير وقال: علي نذر أَن أَقتل أَبا عفك، فظل يطلبه حتى وجده ذات ليلة، وهو نائم بفناء داره، فأقبل ووضع السيف على كبده حتى قتله[4].

*** سرية قتل كعب بن الأشرف[5] (٣ للهجرة)**

ومن الأحداث السياسية التي أشار إليها المستشرق غابريلي عملية القصاص من عدو الله كعب بن الأشرف فيقول غابريلي: «وكانت الأشهر التي أعقبت بدرا قد تميزت بأحداث أخرى في الكراهية الدينية والسياسية، التي ينبغي للمدافعين عن النبي أن يعملوا بجد للتغاضي عنها وإهمالها، وعلى سبيل المثال اغتيال عدوه المدني كعب بن

١-الحلبي: السيرة الحلبية، ٣/ ١٤٤.
٢-سالم بن عمير: بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة، شهد بدرا وأحدا، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، وتوفي في زمن معاوية بن أبي سفيان. ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/ ٥٦٧.
٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ١٠٥١ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٢٣٩.
٤-الواقدي: المغازي، ١/ ١٧٥ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٨.
٥-كعب بن الأشرف: الطائي اليهودي، أمه من بني النضير، كان سيداً فيهم ويكنى أبا ليلى، بكى على أهل بدر من المشركين، وشبب بنساء رسول الله ونساء المسلمين، فأمر رسول الله بقتله فقتلوه ليلاً. ينظر المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٤٣.

الأشرف، الذي أقره وإن لم يكن فعلا قد حرض عليه»[١].

وكعب بن الأشرف كان أحد يهود بني النضير، وقد قاد حرباً ضروساً ضد المسلمين، وكثيرًا ما صرح بسبّ الله، وسبّ رسول الله ﷺ، وأنشد الأشعار في هجاء الصحابة، ولم يكتفِ بهذا الأمر، بل ذهب يحرض القبائل على دولة المدينة، وذهب أيضاً إلى مكة، وحرض قريشاً على المسلمين، وبدأ يذكرهم بقتلاهم في بدر، وفعل ما هو أشد من ذلك عندما سأله القرشيون، وهم يعبدون الأصنام، فقالوا له: «أ ديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأيُّ الفريقين أهدى سبيلا؟» فقال لهم كعب: «أنتم أهدى منهم سبيلاً»[٢] ، وفي ذلك أنزل الله قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً**﴾[٣]. وهذا الكلام الذي قاله كعب لقريش شجعهم على حرب المسلمين، بل فعل هذا الكافر أموراً تخرج عن أدب العرب، وعن فطرتهم، سواء في إسلامهم، أم في جاهليتهم، فقد بدأ يتحدث بالفاحشة في أشعاره عن نساء المسلمين[٤].

ومما قام به كعب أيضا أنه صنع طعاما، واتفق مع جماعة من اليهود أن يدعو رسول الله ﷺ إلى وليمة، فإذا جاء يقتلوه، فلما جاء ومعه بعض أصحابه، أخبره جبرئيل عليه السلام بأمرهم، وما أضمروه له، فرجع رسول الله ﷺ ونجاه الله منهم، فقال: «اللهم اكفني بن الأشرف بما شئت في إعلانه الشّر»[٥].

وبذلك فقد ارتكب كعب بن الأشرف مجموعة من الجرائم، والمخالفات الصريحة

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٥.
٢-ابن شبه النميري: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت٢٦٢هـ- ٨٧٦م)، تاريخ المدينة المنورة، (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الفكر، قم- إيران، ١٤١٠هـ- ١٣٦٨ش)، ٢/ ٤٥٤-٤٥٥ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ١٥٩.
٣-سورة النساء: آية ٥١.
٤-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٧٩ ؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢٠٩.
٥-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ٢٦ ؛ الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ- ١٥٥٩م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (دار صادر، بيروت، د. ت)، ١/ ٤١٣ ؛ الزرقاني: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (ت١١٢٢هـ- ١٧١٠م)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، ٢/ ٣٧١.

والواضحة للمعاهدة التي سنّها رسول الله ﷺ مع اليهود، وقد كان ما فعله كفيلاً بأن يأخذ رسول الله قراراً في منتهى الحسم، وهو قتل كعب بن الأشرف، فقال: من لي بكعب بن الأَشرف فإنه آذى اللَّهَ ورسولَه؟ فقام محمد بن مسلمة[1]، ومعه نفر من الأوس، وقرروا القيام بهذه المهمة، فسمح لهم رسول الله ﷺ بذلك، فقاموا باستدراج ابن الأشرف في إحدى الليالي وقتلوه، وأدوا مهمتهم على أحسن وجه[2].

ولما عرف اليهود بمقتل ابن الأشرف أتوا إِلَى رسول الله ﷺ فقَالوا: قتل ابن الأشرف بلا جرم، فرد رسول الله ﷺ بقوله: «إِنه لو قر كما قر غيره ممن هو على مثل رأيِه ما اغتيل، ولكنه نال منا الْأَذى وهجانا بالشعرِ، ولم يفعل هذا أَحد منكم إِلا كان للسيف». فطلب منهم أَن يكتب بينهم كتابا يكفون عن النيل من المسلمين، فكتبوا الكتاب، فخافت وذلّت من يومها اليهود[3].

وبهذا تخلصت دولة المدينة من أحد ألدِّ أعدائها الذي نال كثيرا من رسول الله ﷺ والمسلمين والمسلمات، وكان هذا جزاءه لنقضه العهد مع المسلمين.

هذه أبرز السرايا التي حدثت في السنتين الأولى من الهجرة، فلم تشِر المصادر إلى أي عملية نهب، أو سلب، ولم تكن هناك غنائم قد وزعت فيها، فالاتهامات التي ألصقت بالإسلام ونبيّه، وما تزال تلصق لغايات وأهداف واضحة، هي النيل من الرسالة المحمدية وأشخاصها، وخير رد على افتراءاتهم ما ذكره المستشرق كارليل في كتابه الأبطال، إذ يقول: «وكانت نية محمد حتى الآن أن يشهر دينه بالحكمة، والموعظة الحسنة فقط، فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية، وعدم الإصغاء إلى صوت ضميره، وصيحة لبه، حتى أرادوا أن يسكتوه فلا ينطق بالرسالة -عزم ابن

١-محمد بن مسلمة: بن سلمة بن حريش بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارِثة بن أَوس الأنصارِي، كنيته أَبو عبد اللهَّ، وقد قيل: أَبو عبد الرحمن، مات سنة ثلاث وأَربعين زمن معاوية بِالمدينة وهو ابن سبع وسبعين سنة ودفن بِالبقيعِ. ينظر ابن حبان: الثقات، ٣/ ٣٦٢-٣٦٣.

٢-ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٢/ ٢٢.

٣-ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ- ١٣٥٠م)، أحكام أهل الذمة، (تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، ط١، رمادى للنشر، الدمام، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ٣/ ١٤٢٠.

الصحراء على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل، ثم دفاع عربي، ولسان حاله يقول: (أما وقد أبت قريش إلا الحرب فلينظروا أي فتيان هيجاء نحن)- وحقا رأى أن أولئك القوم صموا آذانهم عن كلمة الحق وشريعة الصدق، وأبوا إلا التمادي في ضلالهم يستبيحون الحريم ويهتكون الحرمات ويسلبون وينهبون ويقتلون النفس التي حرم الله، ويأتون كل إثم ومنكر، وقد جاءهم محمد من طريق الرفق والأناة فأبوا إلا عتواً وطغياناً، فليجعل الأمر إذن إلى الحسام المهند والوشيج المقوم، إلى كل مسرودة حصداء وسابحة جرداء، وكذلك قضى محمد بقية عمره وهي عشر سنين أخرى في حرب وجهاد لم يسترح غمضة عين ولا مدر فواق وكانت النتيجة ما تعلمون»[1].

وكذلك ما قاله المستشرق مونتمغري وات في حديثه عن سرايا رسول الله ﷺ وغزواته: «من الصعب معرفة نوايا محمد في هذا الوقت: هل كان هدفه سلبيا، وهو تحطيم تجارة قريش؟ أم كان ينظر إلى أبعد من ذلك وهو فتح مكة؟ لا شيء يدل على أن محمداً كان يفكر في الاستيلاء على تجارة مكة من أجل المدينة»[2].

١-كارليل: الأبطال، ص٧٩.
٢-وات: محمد في المدينة، ص٨.

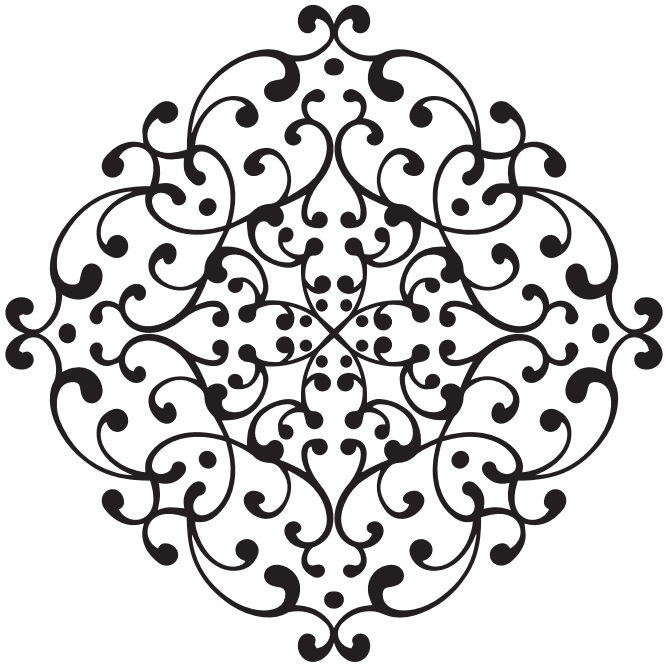

المبحث الثاني

*** المعارك**

تطرقنا في المبحث الأول من هذا الفصل إلى السرايا التي كان رسول الله ﷺ يبعث بها لأغراض، أو غايات محددة، وهنا لا بد أن نوضح المعارك التي تناولها المستشرق غابريلي بلفظ غزوة، فالغزوة تأتي من (غزو)، أي غزوت أغزو، ومفردها غزوة، والجمع غزوات[١]. فهي من غزا الشيء، أي أراده وطلبه، والغزو السير إلى قتال العدو ونهبه[٢]، والفرق بين السرايا والمعارك، أن المعركة كانت بقيادة رسول الله ﷺ، أما السرية فيكلف بها أحد الصحابة دون أن يكون هو فيها[٣]. وسنورد المعارك التي تناولها المستشرق غابريلي:

*** معركة بدر الكبرى (٢ للهجرة)**

وفي محور حديث غابريلي عن معركة بدر يذكر: «أن الاصطدام والحرب بين المسلمين والمكيين لا بد من وقوعه، وقد حدث ذلك في بدر[٤]، الموقع الذي يقع إلى الجنوب الغربي من المدينة على طريق القوافل بين مكة وسوريا، وكانت النتيجة على الرغم من عدد المسلمين القليل نصرا ساحقا للمسلمين، إذ قاتل المهاجرون، والأنصار هنا جنبا إلى جنب، وهم يختمون ويصادقون بدمائهم رابطة الدين بدلا من الروابط المألوفة القبلية القديمة»[٥].

نؤيد ما ذكره المستشرق في تراصّ صفوف المسلمين، ونبذهم الروابط القبلية التي كانت سائدة في مجتمع الجزيرة العربية، بل كان إيمانهم برابطة واحدة فقط، وهي رابطة الدين الإسلامي.

١-الفراهيدي: العين، ٤/ ٤٣٤ ؛ أبو منصور: تهذيب اللغة، ٨/ ١٥٠.
٢-ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ- ١٠٦٦م)، المحكم والمحيط الأعظم، (تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ٦/ ٣٨.
٣-سيد طنطاوي: السرايا الحربية في العهد النبوي، ص٢١.
٤-بدر: اسم بئر ماء بين مكة والمدينة، ينسب إلى بدر بن خالد وهو رجل من كنانة، وقيل: من بني ضمرة، سكن هذا المكان فسمي باسمه. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٣٥٧.
٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٥.

وتعدّ معركة بدر معركة فاصلة في تاريخ الإسلام، وسبب وقوعها هو أن رسول الله ﷺ خرج في طلب أبي سفيان، الذي كان قادماً في تجارة كبيرة لقريش من بلاد الشام، كان فيها أموال المهاجرين التي استولت عليها قريش بالقوة[1]، فحاول المسلمون اعتراضها، لكن أبا سفيان لما عَلم بأمر المسلمين غير طريق مسيره، وأرسل من يبلغ قريش في مكة عن اعتراض المسلمين للقافلة، فحشدت قريش الحشود لمقاتلة رسول الله ﷺ، فوقعت المعركة في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة[2]، وقد أسماها الله عز وجل بيوم الفرقان، إذ قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَنزَلْنَا على عَبْدِنَا يَوْمَ الفرقان يَوْمَ التقى الجمعان**﴾[3]، ففرّق بها سبحانه بين الحق والباطل، فأعلى فيها كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه، ونصر نبيه والمسلمين، فكانت إعلاء لعقيدة الإسلام على سائر المصالح والمطامع الدنيوية، فضلاً عن ارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين بسبب أصداء واقعة بدر في المدينة، ومكة، وأرجاء الجزيرة العربية، فضلاً عن ذلك فإنها أغاضت اليهود أيضا.

إلا أن المستشرق غابريلي يعود بشيء من التناقض الذي لازمه طيلة مدة كتابته في سيرة رسول الله ﷺ فيقول: «أحرز الإسلام انتصاره في أول معركة يخوضها، وهي معركة لم تكن بحسب السياقات العسكرية أكثر من شجار (brawl)»[4].

فكيف عدّ المستشرق غابريلي معركة فاصلة كمعركة بدر كان لها صداها في أصقاع الجزيرة العربية، وكتبت عنها المؤلفات الكثيرة، واستقى منها القادة العسكريون عبرا ودروسا لتميزها عن العديد من المعارك مجرد شجار:

- فإذا كان مقصد المستشرق غابريلي قلة عدد المسلمين، وأن المعركة لم تستمر لمدة من الزمن؛ فكان الأحرى به أن يستعمل مصطلح (تصادم) أو (اشتباك)؛ فهو أقرب

١-العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٤/ ٣٤٦.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٤٤٠ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١١ ؛ خليفة بن خياط: طبقات خليفة، ص٣١.
٣-سورة الأنفال: آية ٤١.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٦.

لمصطلح المعركة المحدودة أي (clash) في اللغة الإنكليزية[1].

- إن رسول الله ﷺ قام باستعدادات عسكرية مهمة قبل وقوع المعركة، منها بث العيون لرصد تحركات العدو، ومعرفة عدده، وعدته، واختيار موقع المعركة بما يخدم قوات المسلمين؛ لذلك كان لهذه الاستعدادات العسكرية الأثر الفاعل في تحقيق الانتصار[2]، فهل الشجار -بحسب رأي غابريلي- يستوجب كل هذه الاستعدادات، والتحضيرات العسكرية التي قام بها رسول الله ﷺ وأصحابه؟.

- التنظيم العسكري العالي لصفوف المقاتلين المسلمين أثناء المعركة، حيث كانت منظمة بشكل كبير بوجود قيادة حكيمة وفذة من لدن رسول الله ﷺ، فبث فيهم روح الحماس، وحثهم على الجهاد في سبيل الله، وجهز الرماة في جانب، وأهل الرماح في جانب، وأخرج شجعان المسلمين لمبارزة العدو؛ حيث ابتدأت المعركة بالمبارزة الفردية، وهذه تعد من أساسيات المعارك الحربية[3]. وهذا ما صرح به المستشرق الروماني جيورجيو إذ يقول: «وبعد ذلك شرح النبي خطته الحربية للمسلمين، وهي خطة ابتدعها فليب أبو الإسكندر المكدوني قبل ألف سنة تقريبا، وتدعى باليونانية (فالناثر، ferlange) وهي عبارة عن اصطفاف الجنود إلى جانب بعضهم بعضاً، وتلتصق نهاية الصف الأول في أول الصف الثاني، وهكذا حتى يتكون من المجموع شكل هندسي كالمثلث، أو المربع، أو الدائرة، ويقف الجميع في هذه الأشكال بمواجهة العدو، في حين تكون ظهورهم نحو الداخل، وبهذا الشكل لا يقدر العدو على مهاجمتهم من الخلف؛ لأنه حيثما اتجه قابله الجنود مستعدين، هذا (التكتيك العسكري) هو الذي يدعى باليونانية (فالناثر) لهذا سميت وحداتهم العسكرية اليونانية قديماً بهذا الاسم، وقد اتبع محمد هذه الخطة لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية، وفي معركة بدر بالذات، هذه الخطة إضافة إلى

١-البعلبكي: المورد الحديث، ص٢٢٨.
٢-ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ١٠١-١٠٤ ؛ السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٦٤-٦٥.
٣-ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ١٠٦-١٠٧ ؛ السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٧٧-٧٩.

شجاعة المسلمين كانت سبب نصرهم في هذه المعركة»[١].

- لقد عبر رسول الله ﷺ عن مدى أهمية معركة بدر حينما نظر الى أصحابه وقلتهم، والمشركين وكثرتهم فاستقبل القبلة وقال: «اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض». فتقبل الله دعاءه وأمدهم بالملائكة[٢].

أما عن عدد القتلى في صفوف المسلمين، ومشركي قريش، فيذهب غابريلي إلى القول إنه: «وبعدد لا يصل إلى اثني عشر قتيلاً من المسلمين، وبضعة دزينات (أي بضعة من اثني عشر رجلا) من المكيين، كان من بينهم أبو جهل نفسه»[٣]، وهذا العدد ما ذهبت إليه الروايات التاريخية تقريبا، فقد استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا[٤]، وقتل الله من المشركين نحو سبعين رجلاً، وأُسر نحو سبعين أيضا[٥]، وكان ممن قتل من المشركين من سادات قريش وكبارهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل وغيرهم[٦].

ثم يشير المستشرق غابريلي بقوله: «وكان الانتصار في بدر أيضا المناسبة للوحي والإلهام عن أول قانون في توزيع الغنائم، فقد بقي الخمس إلى الله والرسول وأهل بيته واليتامى والمساكين والغرباء»[٧]، وهي إشارة منه إلى ما نزلت به الآيات الكريمة من سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[٨]، وقوله سبحانه: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**

١-جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله محمد، ص٢١٩.
٢-الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي (ت٢٧٩هـ- ٨٩٣م)، سنن الترمذي، (تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م)، ٤/ ٣٣٣.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٦.
٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٧ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص٩٣ ؛ الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٣٨.
٥-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٨ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص٩٢ ؛ الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٣٨
٦-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٨.
٧-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٦.
٨-سورة الأنفال: آية ١.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾[1]، التي تناولت معركة بدر بشيء من التفصيل، وفيها نزلت تشريعات وأحكام من الباري عز وجل في تقسيم الغنائم على المسلمين بعد حصول نوع من الخلاف في عملية التوزيع لأنها أول معركة للمسلمين، فأنزل الله حكمه بذلك[2].

*** معركة بني القينقاع (٢ للهجرة)**

بنو قَينقاع اسم لشعب من اليهود كانوا يسكنون المدينة، وهم من موالي الخزرج، وحلفاء لعبد الله بن أبيّ بن سلول، وكان عددهم قليلاً، وعلى الرغم من ذلك كانوا يتباهون بقوتهم، وكانت مهنتهم صناعة الحلي أي الصياغة[3].

ذكر غابريلي أن سبب جلاء بني قينقاع كان تافهاً، وذلك بقوله: «ولكن الأكثر أهمية من الواجهة السياسية، كان طرد أول القبائل اليهودية الثلاثة من المدينة، بني قينقاع، إذ انتهز محمد فرصة إثارة حادث تافه؛ فحاصرهم في قلاعهم، ثم أجبرهم على الاستسلام، وطردهم من المدينة»[4].

ولا بد من أن نوضح أولاً ما قام به بنو قينقاع في حادثة امرأة مسلمة من العرب أتت إلى سوقهم، وجلست إلى صائغ منهم، فتحرشوا بها، وأرادوا كشف وجهها، فرفضت ذلك وردتهم، وقام الصائغ بربط طرف ثوبها إلى ظهرها، ولما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا منها، وقامت بالصراخ في السوق من سوء عملهم، فاندفع رجل من المسلمين على الصائغ فبطش به وقتله، وعلى اثر ذلك تجمع عدد من يهود بني قينقاع على المسلم وأردوه قتيلا، فغضب المسلمون من فعلة اليهود، ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[5].

وكان لابد لرسول الله ﷺ أن يعمل على حماية الأمن الاجتماعي للدولة التي باتت أفعال اليهود ومؤامراتهم تهدد أمن المدينة؛ لذلك قام ﷺ بجمع بني قينقاع في سوق لهم

١-سورة الأنفال: آية ٤١.
٢-ابن ابي حاتم: تفسير القرآن العظيم، ٥/ ١٦٥٤؛ الطبرسي: جامع الجوامع، ٢/ ٢٥.
٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٩؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٤٢٤.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٧.
٥-ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٥؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ٨/ ٣٤٦.

محاولاً نصحهم ورشدهم، وقال لهم: «يا معشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم»[1].

ويبدو أن رسول الله ﷺ حاول في بادئ الأمر أن ينصحهم؛ التزاماً منه ببنود الميثاق الذي عقده معهم عند قدومه إلى المدينة، حيث عمل على عقد وثيقة قانونية تلزم جميع سكان المدينة، وما حولها، بغية إرساء معالم دولة أساسها التعايش السلمي، وإنهاء التنازع، والصراع الداخلي، وقد تعهدت جميع الأطراف أن يدافعوا عن المدينة وما حولها.

فضلا عن ذلك فإن رسول الله ﷺ أخذ عهداً، أو ميثاقاً من مختلف الطوائف اليهودية أقرت فيه أن لا تلحق أي ضرر أو أذى برسول الله وأصحابه، ولا تعين الأعداء في حربها على المسلمين، وأنها لو فعلت شيئاً من ذلك يكون لرسول الله ﷺ الحق بمعاقبتهم، وهذا نص العهد: «وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة»[2].

إلا أن عنادهم واستكبارهم كان واضحا في ردهم على رسول الله ﷺ فقالوا: «يا محمد إنك ترى أنّا كقومك، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنّا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس»[3]. أي انهم بذلك دعوه للقتال، ونقضوا عهدهم معه ﷺ، فنزل بهم قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[4]، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، وذلك في السنة الثانية من الهجرة في حصونهم، حتى نزلوا على حكمه، وأمر بقتلهم فقام إليه عبد الله بن أُبي بن سلول، وطلب منه ﷺ العفو عنهم؛ لأنهم من

١-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٧٢.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٣٥٠؛ أبو عبيد: الأموال، ص٢٩٣.
٣-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٧٢؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ١٧٩.
٤-سورة الأنفال: آية ٥٨.

مواليه، فرفض ذلك رسول الله ﷺ، مما اضطر ابن أبي سلول أن يلح في أمرهم كثيراً حتى أنه أمسك رسول الله ﷺ من جيب دراعته، فأغضبه ذلك حتى تغيرت ملامح وجهه الكريم، فقال رسول الله ﷺ: «خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم فأرسلوهم»، ثم أمر بإجلائهم خارج المدينة[1].

إن رسول الله ﷺ كان يريد تعايش المسلمين مع اليهود في المدينة تعايشاً سلمياً دون مشاكل على وفق قيم العدل الإسلامي، بدليل أنه عندما نقضت بنو قينقاع الميثاق عاقبهم وحدهم دون باقي جماعات اليهود في المدينة؛ احتراما للميثاق الذي عقده معهم.

كذلك لاحظنا أن التسوية التي قام بها رسول الله ﷺ لم تكن قاسية، ولكنها حققت الهدف المطلوب، وهو حماية الجبهة الداخلية لمجتمع المدينة، واستتباب الوضع فيها بجلاء يهود بني قينقاع، وهذا يشير إلى أن رسول الله ﷺ لم يكن هدفه إراقة الدماء والقتل، وإنما تحقيق الأمن والأمان لأهل المدينة، وحفظ كرامة المجتمع الإسلامي، ولو كان الوضع كما صوره غابريلي لأباد هذه القبيلة على بكرة أبيها، وأدخل بذلك الرعب في قلوب اليهود والمشركين.

*** معركة أُحُد (٣ للهجرة)**

صور لنا غابريلي حالات الحزن والذعر التي أصابت مجتمع مكة بعد الانتصار الذي حققه المسلمون في معركة بدر فيقول: «ساد في مكة الذعر والرعب، وصار أبو سفيان منذ تلك اللحظة القائد الفعلي للمواطنين المكيين، وقد حرم النواح والحداد على الصرعى في الوقعة في الوقت الراهن، وبدأ على الفور التفكير بتنظيم هجوم معاكس، وأجج الشعراء»[2].

١-الواقدي: المغازي، ١/ ١٧٧-١٧٨ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٩ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٧٣ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٧.

٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٧.

استمرت المعارك والسرايا التي كان رسول الله ﷺ يقودها، أو يبعث بها بعد معركة بدر، حيث كانت لها آثار إيجابية على دولة المدينة، فقد عالجت عدة أمور منها:

- أنها كانت وقائية بالدرجة الأولى، تقوم بإفشال مؤامرات الأعداء، ورد كيدهم، ومعرفة تحركاتهم.

- مثلت أيضا حرباً نفسية ضد المشركين، إذ تحطم معنوياتهم، وتجعلهم مضطرين لتغيير خططهم ضد المسلمين.

- التأثير الإعلامي في المنطقة، وعلى قريش بالذات، فتكون هزيمتهم العسكرية أسهل وأيسر[١]، وهذا ما حصل بالفعل، فإن قريشاً أصبحت تحذر طريق بلاد الشام في تجارتها، وتخاف رسول الله ﷺ وأصحابه، وهذا ما ذكره تجارهم، إذ قالوا: «إن محمداً وأَصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأَصحابه، لا يبرحون الساحل، وأَهل الساحل قد وادعهم، ودخل عامتهم معه، فما ندري أَين نسلك، وإن أَقمنا نأكل رؤوس أَموالنا ونحن في دارنا هذه، ما لنا بها نفاق»[٢]. فهذا يؤشر تحرك سرايا المسلمين بشكل واسع، وأنها أصبحت تهدد طرق التجارة لقريش، فما كان من قريش إلا أن تجهز لحرب المسلمين.

ولذلك يتحدث غابريلي فيقول: «وبعد سنة بالضبط من معركة بدر، آذار ٦٢٥م، انطلقت الحملة العسكرية الانتقامية باتجاه المدينة من المحاربين المكيين المعززين بفرق من حلفائهم الأعراب، وعند وصولهم حرة المدينة لاقوا المسلمين بالقرب من تل أحد[٣] الذي يقع إلى الشمال من المدينة واشتبكوا في القتال»[٤].

عملت قريش على استنصار القبائل الأخرى، وألّبوها ضد المسلمين، وشكّلوا بذلك جيشاً قوامه ثلاثة آلاف محارب بإمرة أبي سفيان بن حرب الذي تحرك بقواته

١-العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٦/ ١٣.
٢-الواقدي: المغازي، ١/ ١٩٧ ؛ العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٦/ ١٦.
٣-أُحد: يقع في الجهة الشمالية من المدينة المنورة، وهو أقرب الجبال إليها وسمي أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك. ينظر الهروي: علي بن أبي بكر بن علي أبو الحسن (ت٦١١هـ- ١٢١٤م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، (ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ)، ص٨١ ؛ الزرقاني: شرح الزرقاني، ٢/ ٣٨٧.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٨.

باتجاه المدينة[١].

وخرج رسول الله ﷺ بألف مقاتل، وبعد اقتراب جيش المسلمين من الموقع، وقرب جبل أحد حيث التقى الجيشان وكعادته في الغدر، ومحاولته النيل من الإسلام وأتباعه انسحب عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ما يقرب من ثلث الجيش[٢]، وموقف ابن أبي بن سلول هذا رفضه (وات)، ولم يصدقه، معللاً ذلك بأنه إذا كان ابن أبي بن سلول قد رفض القتال، فلماذا ذهب مع رسول الله ﷺ إلى مكان القتال؟، ويبرر (وات) قرار الانسحاب بأنه ربما اتفق مع رسول الله ﷺ على رجوعه للدفاع عن المدينة[٣].

ونقول لـ(وات): إن غاية ابن أبي بن سلول كانت إضعاف معنويات المقاتلين، فكان الأولى به أن لا يشترك أصلاً في المعركة، أما انسحابه فقد سبب إرباكاً في صفوف المقاتلين، ومن المحتمل أن انسحابه جاء بتنسيق مع اليهود في المدينة[٤]، أو لاتفاقه مع المشركين، وكان هذا الانسحاب أحد أسباب خسارة المسلمين في هذه المعركة.

كاد الجيش الإسلامي أن يسجل نصراً جديداً يضاف إلى نصر بدر، لكنّ حب الدنيا غلب على قلوب فئة الرماة الأربعين الذين أوصاهم رسول الله ﷺ أن لا يبرحوا مكانهم في سفح الجبل، لكنهم لم يلتزموا بذلك والتحقوا بسواد الجيش للظفر بالغنائم، وبذلك خلت ظهور المسلمين ولم يبقَ منهم إلا عشرة ثبتوا على موقفهم[٥].

وهنا رأى خيالة المشركين بقيادة خالد بن الوليد[٦] الفرصة سانحة ليلتف على المسلمين بعد انكشاف ظهورهم، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتال من جديد، وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، الخيالة من الخلف، وبقية المقاتلين من الأمام، فوقع

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٥٨٢ ؛ الواقدي: المغازي، ١/ ٢٠٠-٢٠٤.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٥٨٤ ؛ الواقدي: المغازي، ٢/ ٦٤ ؛ الندوي: السيرة النبوية، ص٣٢٢.
٣-وات: محمد في المدينة، ص٣٤.
٤-الحمداني: السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق، ص٣٦٦.
٥-الواقدي: المغازي، ١/ ٢٢٩ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ١٩٣ ؛ الجميلي: السيد، غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٦هـ)، ص٤٩.
٦-خالد بن الوليد: بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أسلم بعد الحديبية وقبل الفتح سنة ثمان للهجرة، شهد مؤتة والفتح وحنيناً، مات بحمص سنة إحدى وعشرين للهجرة. ينظر المزي: تهذيب الكمال، ٨/ ١٨٧-١٨٩.

المسلمون بين الفكين، وفقدوا مواقعهم الأولى وأصبح قتالهم من دون تخطيط، ومتفرقين، حتى ضرب بعضهم بعضاً، وشاع بينهم أن رسول الله قد قُتل، واختلط الحابل بالنابل، واشتدت حرارة القتال[1]، فحدث انكسار كبير في جيش المسلمين، ويذكر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب غضباً شديداً، وكان إذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللؤلؤ من العرق، فنظر فإذا علي عليه السلام إلى جنبه فقال له: الحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله، فقال: يا رسول الله لي بك أسوة، قال: فاكفني هؤلاء، فحمل، فضرب أول من لقى منهم، فقال جبرئيل عليه السلام: إن هذه لهي المواساة يا محمد، فقال: إنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما يا محمد، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل عليه السلام على كرسي من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»[2].

وقد عبر المستشرق غابريلي عن هذه الغزوة بأنها كانت نكسة وحظاً عاثراً[3]، كذلك استعرض المستشرق جيورجيو أحداث غزوة أُحُد مناقشاً آراء المؤرخين الإسلاميين فيها بوصفه باحثا عسكريّا، وانطلاقاً منه من مفهوم النصر والخسارة في الحرب يقول: «يذكر المؤرخون الإسلاميون أن المسلمين خسروا في معركة أُحُد، وهذا الرأي يحتاج إلى مناقشة، ولو أننا تحدثنا مع متخصص حربي في مسألة خسارة المعركة، وسألناه: ما هي علامة الخسارة الحربية؟ لأجاب: إن كان جيش الخصم المنتصر احتل البلاد، وأزال جيش العدو، عدّ عندئذ منتصراً، أما إن احتل دولة ما ولم يتمكن من إبادة جيشها فلا تعدّ الدولة خاسرة. فألمانيا في الحرب العالمية احتلت روسيا كلها، ووصلت جيوشها حتى شواطئ نهر الفولغا، ولأنها لم تستطع دحر جيش روسيا دحراً كاملاً فإن ألمانيا لم تعدّ منتصرة تماماً. فالدولة تعدّ ظافرة بشرطين: أولهما احتلال الدولة المغلوبة، وثانيهما

١-الواقدي: المغازي، ١/ ٢٣٢ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص٩٧ ؛ الجميلي: غزوات النبي صلى الله عليه وآله، ص٤٩.
٢-الكليني: الكافي، ٨/ ١١٠؛ الصدوق: علل الشرائع، (تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م)، ١/ ٧؛ الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٣٩.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٨.

إخماد حركة الجيش، والمشركون في معركة أحد لم يستطيعوا احتلال المدينة، كما لم يوفقوا إلى إفناء جيش محمد، فمع أنهم شتتوا جيش المسلمين، فإن فلوله عادت فتجمعت في اليوم الثاني، فعندما عاد محمد إلى المدينة كان تحت سيادته جيش منظم، فعن وجهة نظر محارب متخصص - برأيي- لم يخسر المسلمون في معركة أحد، إنما وقعوا في تجربة مفاجئة وحسب، لأن جيش مكة لم يفنِ جيش المسلمين، كما لم يحتل المدينة»[1]، وكذلك ينقل لنا المستشرق برنارد لويس أن المسلمين لم يعانوا هزيمة حقيقية نتيجة معركة أُحُد[2]، فجيش المسلمين لم ينهزم، بل صمد بعد ذلك، وقام في اليوم التالي من المعركة بملاحقة جيش مكة وتعقبهم[3].

ويشير غابريلي بالقول: «إن الوحي تدخل مباشرة ليفسر الاندحار، ويقلل من أثرها بالتأنيب والنصيحة»[4]، إلى قوله تعالى: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ**﴾[5]، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾[6].

*** معركة بني النضير (٤ للهجرة)**

بنو النضير قبيلة يهودية سكنت المدينة المنورة، وهي فخذ من قبيلة جذام، إلا أنهم تهودوا، ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به، ويذكر أنهم من ولد هارون النبي ﷺ، وقد قدموا من فلسطين[7].

١-جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله محمد، ص٢٦٧.
٢-لويس: العرب في التاريخ، ص٥٨.
٣-خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، (تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ص٤٢.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٨.
٥-سورة آل عمران: آية ١٥٣.
٦-سورة آل عمران: آية ١٥٥.
٧-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤٩ ؛ أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني، ٢٢/ ٧٧.

تجرأ يهود بني النضير بعد هزيمة المسلمين في أُحد، وأعلنوا الحقد على الإسلام والمسلمين، وكاشفوا رسول الله ﷺ العداوة والبغضاء، وحاولوا النيل من شخصه الكريم ﷺ ومن المسلمين، وقاموا بتحريض القبائل على حرب رسول الله ﷺ، ومولوها بأموالهم، وشنوا حرباً إعلامية كبيرة ضد المسلمين، وبذلك نقضوا الميثاق مثل بني قينقاع. وإلى ذلك يشير غابريلي بالقول: «وقد ارتفعت المعنوية المتدهورة للمسلمين بعد بضعة شهور، وذلك بالإجراء القصاصي والعقابي ضد اليهود الذين ظلوا في المدينة، وكان الدور هذه المرة دور بني النضير، إذ حوصروا أيضا في حيهم بحجة تافهة، أو بسيطة، وطردوا تاركين أسلحتهم، وبساتين نخيلهم الوافرة الثمر»[1].

وهنا نجد المستشرق غابريلي –كعادته– يحاول أن يصور اليهود كمضطهدين، وأنهم قد هُجّروا، أو طردوا لسبب واهٍ، أو بسيط من دون تقصٍّ ومعرفة للأسباب التي أدت إلى طردهم. والأسباب التي دفعت برسول الله ﷺ إلى أن يقوم بهذا الطرد:

١.نصب أحبار اليهود العداء لرسول الله ﷺ بغياً وعدواناً؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد اختار نبيه الكريم من العرب دون اليهود، وكان أحبارهم يسألون رسول الله ﷺ محاولة منهم لإحراجه، ويتعنتون ويجادلونه دون وجه حق، ويأتونه باللبس، ليلبسوا الحق بالباطل، وعلى الرغم من ذلك كان القرآن الكريم يرد عليهم بحجج دامغة فيما يسألون عنه[2]، واستمر رسول الله ﷺ معهم بسياسة العفو والتسامح، تجسيدا للخطاب الإلهي: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[3]، إلا أن اليهود استمروا بغيهم وطغيانهم وهم يتحينون الفرص للإساءة إلى رسول الله ﷺ والمسلمين.

٢.بدأت تظهر دسائس يهود بني النضير، وتأليبهم القبائل على المسلمين بعد معركة

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٥٩.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.
٣-سورة النحل: آية ١٢٥.

بدر، وأول مؤامراتهم ما حدث أثناء مجيء أبي سفيان مع مجموعة من فرسان قريش الذين أغاروا على المدينة ليلاً، وقد نزل أبو سفيان على بني النضير، فاستقبله كبيرهم سلام بن مشكم[١]، الذي قام بضيافته، وكشف له من أمور المسلمين التي سهلت لأبي سفيان ورجاله بعد ذلك الإغارة على بساتين المدينة، وحرقها، وتخريبها، ونهبها، وقتل رجلين من الأنصار، وولّوا هاربين، ولما سمع رسول الله ﷺ بذلك تجهز لهم بنفسه وتبعهم واقتفى أثرهم، إلا أنهم سبقوه ولم يلحق بهم بعد أن خففوا مما كانوا يحملون من أزواد السويق[٢] التي نهبوها؛ لذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق[٣].

٣.كانت بنو النضير تتآمر على المسلمين في عدة مواقف، فكانوا ينقلون أخبار المسلمين إلى قريش قبل معركة أُحُد وتحضيرات المسلمين واستعداداتهم لها[٤]، ومما ذكر أن قريش كانت تكاتب بني النضير فينقل أنه: «كتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أَهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أَو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء-وهي الخلاخيل- فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، واجتمعت بنو النضير بالغدر، وأَرسلوا إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: اخرج إلينا في ثَلاثين رجلا من أَصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك. فإن صدقُوا وآمنوا بك آمنا بك فقضي خبرهم»[٥].

٤.وآخر ما قام به بنو النضير محاولتهم اغتيال رسول الله ﷺ لما خرج لهم، ومعه نفر من أصحابه يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر، وكان بين بني النضير، وبني عامر حلف، فطلب منهم أن يشتركوا في دفع الدية، فقال بنو النضير، نعينك على ما أحببت، وندفع

١-سلام بن مشكم: اليهودي كان سيد بني النضير في زمانه وصاحب كنزهم، زوجته زينب بنت الحارث التي قدمت شاة مسمومة للنبي بعد خيبر، كان يكثر من الجدال مع رسول الله ﷺ. ينظر ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٨٠٠ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٥٤٠.

٢-السويق: هو قمح، أو شعير يقلى ثم يطحن ملتوتا بماء، أو سمن، أو عسل، أو وحده فيتزود به المسافر. ينظر الزرقاني: شرح الزرقاني، ٢/ ٣٥٣.

٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٥٥٩ ؛ الواقدي: المغازي، ١/ ١٨١ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٣٠.

٤-ابن عقبة: المغازي، ص٢١٠.

٥-البيهقي: دلائل النبوة، ٣/ ١٧٩ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ١٥٠ ؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٥٤.

ما تطلب إلا أنهم بعدما خلوا بكبارهم اتفقوا على قتله ﷺ فقالوا: «إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة»، ورسول الله ﷺ كان جالساً لجدار من بيوتهم، فأمروا رجلاً منهم أن يصعد على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ليقتله، فأتى الخبر إلى رسول الله ﷺ من السماء بما دبره بنو النضير له، فقام ﷺ وخرج مسرعاً راجعاً إلى المدينة، فتعجب أصحابه من أمره، ولما لحقوا به أخبرهم بما دبره بنو النضير[1].

وبعث رسول الله ﷺ لبني النضير يمهلهم عشرة أيام للخروج من المدينة؛ لما قاموا به من الغدر، ونقض العهد، فلم يستجيبوا لذلك، فعزم رسول الله ﷺ على التهيؤ لحربهم، والسير إليهم وطردهم، فسار بالناس وذلك في السنة الرابعة للهجرة، حتى نزل بهم وحاصرهم حصاراً شديداً، اضطروا على اثره للاستسلام، فاستسلموا لأمره ﷺ، وتم طردهم خارج المدينة[2]. وقد نزل بهم قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[3].

ومما تقدم نلاحظ أن قرار جلاء بني النضير لم يكن وليد اللحظة، أو لسبب تافه كما أشار إليه غابريلي، بل نتيجة لنقض العهد، وتزايد الاعتداءات التي قاموا بها على المسلمين، فاستشعر رسول الله استحالة التعايش معهم سلمياً، ولا بد من إبعادهم لأنهم أصبحوا يهددون أمن الدولة الإسلامية، وقائدها، ويشكلون مصدر قلق لها.

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٦٨٢و٦٨٣ ؛ الواقدي: المغازي، ١/ ٣٦٤-٣٦٥ ؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/ ٥٦٠.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٥٧-٥٨ ؛ الحلبي: السيرة الحلبية، ٢/ ٥٦٠-٥٦٥.
٣-سورة الحشر: آية ٢-٤.

ونرى بعض المستشرقين قد حاولوا استغلال حادثة بني النضير للهجوم والنيل من الاسلام ورسوله ﷺ، وذلك بتصويرهم الإسلام قد اضطهد اليهود، وهجرهم دون سبب، وهذا ما ذهب إليه المستشرق بروكلمان في حديثه عن حادثة بني النضير بالقول: «وكان على محمد أن يعوض هذه الخسارة [خسارة أُحُد] التي أصابت مجده العسكري من طريق آخر، ففكر في القضاء على اليهود فهاجم بني النضير لسبب واهٍ»[١]، ومما ينقل عن هذه الحادثة أيضا «أن إنذار بني النضير بوجوب الجلاء عن المدينة كان بمثابة انتقام منهم على عدم اشتراكهم في معركة أُحُد، إذ إنها غزوة موجهة إلى مدينة يثرب، فكان على بني النضير أن يخرجوا للقاء العدو، كما تقضي به شروط المعاهدة المعقودة بين المسلمين واليهود»[٢].

*** معركة الأحزاب (٥ للهجرة)**

عندما أخرج رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة عملوا على الثأر منه، ومن المسلمين، فذهب جمع منهم إلى قريش، وإلى قبيلة غطفان، وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ، فتحزبت بذلك الأحزاب لقتال المسلمين، وخرجت قريش وأحزابها بعشرة آلاف مقاتل[٣]، وهذا ما أشار إليه غابريلي بالقول: «إن جيشاً مكوناً من المكيين والبدو يتألف من حوالي عشرة آلاف رجل هاجم مدينة النبي»[٤].

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ استشار أصحابه: أيخرج إليهم أم يبقى في المدينة؟ فأشار عليه الصحابي الجليل سلمان المحمدي[٥] أن يحفر خندقاً حول المدينة، يمنع العدو عنها، فأمر بحفره ﷺ شمال المدينة، وشاركهم في الحفر بنفسه[٦]. كان المسلمون ثلاثة آلاف

١-بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٥٢.
٢-ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص١٣٥.
٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٦٦؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣٤٦.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٠.
٥-سلمان المحمدي: أبو عبد الله الرامهرمزي الأصبهاني، من خيرة صحابة رسول الله، قال عنه يوم الأحزاب: سلمان منا آل البيت، فسمي بسلمان المحمدي، توفي سنة ست وثلاثين للهجرة. ينظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٥/ ١٩٢.
٦-الواقدي: المغازي، ٢/ ٤٤٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٦٧؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٥٠.

مقاتل[١]، وذلك في السنة الخامسة من الهجرة[٢].

ويعرج غابريلي على حفر الخندق بقوله: «ومهما يكن فإن خندقاً وعراً، وغير مكتمل، وصعباً قد حفره النبي، فقد كان كافيا لحماية جزء المدينة الشمالي»[٣]. إلا أنه لم يشر إلى صاحب المشورة في حفره.

ومكث جيش الأحزاب محاصرين لرسول الله ﷺ وأصحابه قريباً من شهر[٤]، وفي إحدى محاولات المشركين لعبور الخندق، تمكن أحد فرسان قريش وشجعانهم، وهو عمرو بن عبد ود العامري[٥]، مع مجموعة من الفرسان من عبور الخندق، فجعل عمرو بن عبد ودّ يدعو إلى المبارزة، فلم يبرز له أحد؛ لما عرفوا من شجاعته وبطشه وشدة بأسه، وكان يرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداءِ ... لجمعكم هل من مبارِز

فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: أَنا أُبارِزه يا رسول الله، فسكت رسول الله، ثم كررها أمير المؤمنين علي عليه السلام ثلاث مرات، ولم يبرز له أحد من المسلمين، فلما يئس رسول الله ﷺ من أصحابه، سمح لعلي عليه السلام بالخروج له، ودعا الله أن ينصره، ويخذل الكفر وأهله، وكان عمرو بن عبد ودّ على فرسه، وأمير المؤمنين علي عليه السلام مترجلا، فقال له عليه السلام: «إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أَحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها! قال: أَجل! فقال عليه السلام: فإِني أَدعوك أَن تشهد أَن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتسلم لله رب العالمين. قال: يا ابن أَخي، أَخر هذا عني. قال: فأخرى، ترجع إلى بِلادك، فإن يكن محمد صادقا كنت أَسعد [النّاسِ] به، وإِنْ يكن غير ذلك كان الذي تريد. قال:

١-ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١/ ١٧٠ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١٨٠.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٦٥ ؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢١٤.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٠.
٤-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١٨٠.
٥-عمرو بن عبد ود العامري: ابن أبي قيس بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، كان فارس قريش الأول، بل فارس كنانة ولا عقب له، أدرك الإسلام ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها. ينظر البلاذري: أنساب الأشراف، ١/ ٣٤٥؛ ابن سعيد: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الاندلسي (ت٦٨٥هـ- ١٢٨٦م)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، (تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان- الأردن، د. ت)، ص١٧٣؛ الزركلي: الأعلام، ٥/ ٨١.

هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أَبدًا، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن. قال: فالثالثة؟ قال: البِراز. فضحك عمرو ثم قال: إن هذه الخصلة ما كنت أَظن أَن أَحداً من العرب يرومني عليها! إني لأكره أَن أَقتل مثلك، وكان أَبوك لي نديما، فارجع، فأَنت غلاَم حدث، إنما أَردت شيخي قريش! أَبا بكر وعمر، فقال عليه السلام: وإِني أَدعوك إلى المبارزة فأَنا أُحب أَن أَقتلك»، فنزل عمرو من فرسه، فدنا بعضهم من بعض، وهاجت غبرة من التراب فسمع التكبير، وإذا بعلي عليه السلام قد قتله، وهرب أَصحابه الذين عبروا الخندق معه[1]، وفي هذه الحادثة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خرج الإسلام كله إلى الشرك كله»[2]، وقال أيضا: «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»[3].

ونصر الله نبيه بعد ذلك، إذ أرسل ريحاً شديدة قوية على جيش الأحزاب أسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزلزلت بهم[4]، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾[5].

ومن انعكاسات هذه المعركة أن يهود بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، ومالوا إلى فريق الأحزاب[6]، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾[7].

ويعلل غابريلي سبب اندحار المشركين في هذه المعركة بالقول: «كان افتقارهم الكامل لإرادة القتال، وافتقارهم لإمكانية شن هجوم عسكري فعال، على الرغم من

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٠٤ ؛ الواقدي: المغازي، ٢/ ٤٧٠و٤٧١ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٦٨ ؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١/ ١٧١ ؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤/ ٣٧٧و٣٧٨.

٢-ابن أبي الفتح الأربلي: أبو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ- ١٢٩٤م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ط٢، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، ١/ ٢٠٥ ؛ ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ١/ ٣٣٩.

٣-البرسي: مشارق أنوار اليقين، ص٣١٢.

٤-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧١٥ ؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٦٩ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٢٢١.

٥-سورة الأحزاب: آية ٩.

٦-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٣٧ ؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢١٧

٧-سورة الأحزاب: آية ١٠.

قدرتهم على تعبئة وحشد جيش كبير، يقدم مؤشراً على مدى الأزمة العسكرية والمعنوية التي قد نمت بالفعل في مكة، والتي أخذت تنمو بشكل خطير في السنوات القليلة القادمة»[1]. ونضيف إلى ما ذهب إليه غابريلي:

- التخطيط العسكري البارع الذي أقدم عليه رسول الله ﷺ في حفر الخندق بمشورة الصحابي الجليل سلمان المحمدي، فقد ضيق الخناق على جيش المشركين، وصعب عليهم عملية الاقتحام والدخول في اشتباكات مباشرة مع المسلمين، وقد عَبرَ المستشرق (وات) عن هذه الخطة بالقول: «كان سبب فشل المكيين من الناحية العسكرية استراتيجية محمد، وقلم استخباراته وعملائه السريين، وخاصة اختيار الخندق الذي كان ملائما لتلك الأحوال»[2]، ويعبر المستشرق جيورجيو عن إعجابه بهذه الخطة فيقول: «ولم تكن خطة محمد الحربية هذه سبب إعجاب الناس العادين وحسب، بل مبعث إكبار من وجهة نظر رجال الحرب المتخصصين، إذ كيف استطاع محمد استنباط هذه الخطة وإنجازها، لأن النبوغ ليس في استنباط الخطة وحسب، بل في تنفيذها أيضاً»[3]. ويذكر جيورجيو أيضا: «أصدر أمراً آخر يقضي بجمع كافة المحاصيل الزراعية الموجودة خارج المدينة، وإدخالها، حتى لا يستفيد جيش قريش منها، وقد اتبعت روسيا هذه الخطة في وجه جيوش المانيا أثناء الحرب الأخيرة، فقد نقلت المحاصيل، أو أتلفتها في وجه الالمان، حتى تستحيل عليهم الاستفادة منها، لكن محمداً استخدم هذه الطريقة قبل أربعة عشر قرنا»[4].

- الشجاعة والبسالة الفائقة لأمير المؤمنين علي عليه السلام، ومواجهته لفارس قريش الأول الذي كان يرهب منه كل الفرسان عمرو بن عبد ود العامري، وكان يعدّ نقطة قوة لجيش المشركين، وعملية قتله كانت نقطة التحول، فانهارت بذلك الروح المعنوية لجيش

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٠.
٢-وات: محمد في المدينة، ص٥٧.
٣-جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله محمد، ص٢٨٩.
٤-جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله محمد، ص٢٨٩.

المشركين، ودب الخوف والرعب في صفوفهم. ومما نُقل عن شجاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام: «فإنه أنسى الناس فيها ذِكْرَ مَن كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية»[١].

وهذا الموقف البطولي لأمير المؤمنين علي عليه السلام أعجب المستشرق البريطاني بودلي[٢] الذي أثنى على شجاعة الإمام ذاكراً أن هذه المواجهة كانت من أسباب نصر المسلمين[٣].

- القوة الغيبية الإلهية التي أمد الله سبحانه بها نبيه صلى الله عليه وآله، حين أرسل الريح، وجنوداً من الملائكة دمرت جيش المشركين، وأنهت حشدهم اللعين الكافر، وأصبحت فلولهم في فرار، وهذا تجسد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[٤].

- الدور المحوري الذي مارسه الصحابي نعيم بن مسعود[٥] في تفكيك العلاقة التي حصلت بين جيش المشركين من الأحزاب وبني قريظة، فقد استطاع نعيم وبتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزرع الشك بين الطرفين، وإنهاء الدعم الذي كاد أن يحصل عليه جيش الأحزاب من بني قريظة، وخذل بذلك بينهم واختلفت كلمتهم[٦].

وهذا ما أيده بعض المستشرقين من تمكن رسول الله صلى الله عليه وآله بمفاوضات ذكية مع زعماء القبائل البدوية التي جاءت متحالفة مع الأحزاب، أن يفجر التحالف القائم بينهم وبين

١-ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/ ٢٠.

٢-بودلي: مستشرق إنكليزي التحق بالجيش البريطاني عام ١٩٠٨م، وتدرج في رتبه إلى أن وصل رتبة كولونيل. عمل في وحدات الجيش البريطاني في العراق، وشرقي الأردن، ثم عمل مستشاراً لسلطنة مسقط عام ١٩٢٤م. من مؤلفاته «الرسول، حياة محمد» و«عاصفة في الصحراء». ينظر رزق الله أحمد: مهدي، عن أخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه «الرسول، حياة محمد» دراسة نقدية، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د. ت)، ص٣.

٣-بودلي: الرسول حياة محمد، (ترجمة: عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، د. ت)، ص٢٥١.

٤-سورة الأحزاب: آية ٩.

٥-نعيم بن مسعود: بن عامر بن أنيف بن ثعلبة، أبو سلمة الغطفاني الأشجعي. أسلم في معركة الخندق، صحابي روى عن رسول الله، مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل في الجمل قبل قدوم أمير المؤمنين علي عليه السلام. ينظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، ١٠/ ٤١٦.

٦-ابن عبد البر: الدرر، ص١٧٥ ؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ١٠/ ٤٦٠.

قريش، ويقضي على تآمر بني قريظة مع المكيين[١].

*** معركة بني قريظة (٥ للهجرة)**

بنو قريظة جماعة من اليهود إخوة بني النضير، وذكر أنهم من أولاد هارون النبي عليه السلام، نزلوا بجبل يقال له: قريظة، فنسبوا إليه، وقيل: إن قريظة اسم لجدهم[٢].

بيّنا سابقاً أن رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة، عمل على عقد وثيقة قانونية يلتزم جميع سكان المدينة وما حولها بها، بغية إرساء معالم دولة أساسها التعايش السلمي، وإنهاء التنازع والصراع الداخلي، وقد تعهدت جميع الأطراف أن يدافعوا عن المدينة وما حولها.

فضلاً عن ذلك فإنه قد أخذ عهداً، أو ميثاقاً من مختلف الطوائف اليهودية، أقرت فيه أن لا تلحق أي ضرر وأذى برسول الله ﷺ وأصحابه، ولا تعين الأعداء في حربها على المسلمين، وأنها لو فعلت شيئاً من ذلك يكون لرسول الله ﷺ الحق في أن يأخذ القصاص منهم، ونكرر نص العهد: «وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة»[٣].

إلا أنّ هذا لم يتم من القبائل اليهودية الثلاث حيث نقضت كل المواثيق والعهود[٤]، وآخرها ما فعله بنو قريظة، حيث كان نقض العهد مع رسول الله ﷺ في أخطر مرحلة، وأصعب وقت، حين ضرب الأحزاب الحصار على المدينة من قبل جيش الأحزاب،

١-درمنغم: الشخصية المحمدية، ص٢٥١؛ باريت: رودي، محمد والقرآن دعوة النبي العربي ورسالته، (ترجمة ومراجعة: رضوان السيد، ط١، مؤسسة محمد بن راشد، الإمارات العربية المتحدة- دبي، ٢٠٠٩م)، ص٢٠٦.

٢-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٥٢ ؛ السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي أبو سعد (ت٥٦٢هـ-١١٦٧م)، الأنساب، (تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م)، ١٣/ ١٣٢.

٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٣٥٠.

٤-الواقدي: المغازي، ٢/ ٤٥٤ ؛ السيد: د. ناصر، يهود يثرب وخيبر الغزوات والصراع، (ط١، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ص٥٨ ؛ السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٢٨١.

وقام بنو قريظة بفتح جبهة أخرى خلف دفاعات المسلمين بتحالفهم مع جيش المشركين، فأصبح الأحزاب بجيوشهم من الأمام، وبنو قريظة من الخلف، ولكن ما إن فشل حصار الأحزاب، وتفرق شملهم حتى أحس بنو قريظة بفداحة الخطأ الذي ارتكبوه نتيجة نقضهم العهد مع رسول الله ﷺ.

ولما عاد رسول الله ﷺ من معركة الخندق مستبشرا بالنصر الذي حققه بتوفيق الله سبحانه وتعالى وحنكته السياسية والعسكرية، فضلاً عن صبر المسلمين وجلادتهم في هذه الواقعة، جاء الأمر الإلهي إليه بالتوجه إلى بني قريظة[1]، فتقدم رسول الله ﷺ بجيشه إليهم بقيادة أمير المؤمنين علي عليه السلام صاحب راية رسول الله في هذه الغزوة، فحاصرهم في قلاعهم، فدام حصارهم ما يقارب من خمس وعشرين ليلة، استسلموا بعد ذلك، وأشارت بعض الروايات إلى أن رسول الله ﷺ ترك أمر الحكم عليهم لما اقترفوه إلى حليفهم سعد بن معاذ[2]، فحكم سعد بن معاذ عليهم بقتل الرجال، وسبي النساء والذراري، وتقسيم أموالهم وأملاكهم، فيذكر أن رسول الله ﷺ قال له: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، فحبسوا الأسرى، وقتلوا الرجال منهم»[3].

ولكن علينا التمعن في هذه الرواية، فلماذا أوكل رسول الله ﷺ أمر بني قريظة إلى سعد بن معاذ، حتى وإن كانوا من حلفائه؟، أليس من الأجدر أن يقوم بالحكم عليهم رسول الله بنفسه؛ بوصفه النبي المعصوم، وصاحب الحكم الشرعي في هذه الأمور؟، فضلا عن ذلك هل ضمن رسول الله ﷺ أن حكم سعد سيكون طبقاً للشريعة الإسلامية في التعامل مع أسرى الحروب؟.

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧١٥ ؛ الواقدي: المغازي، ٢/ ٤٩٧ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص١٠٨.
٢-سعد بن معاذ: بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث، ويقال: ابن زيد بن عبد الأشهل بن جشم، يكنى أبا عمرو، من الأوس وهو نقيبهم، شارك في بدر وأحد والخندق، رُمي بسهم يوم الخندق فانتقض عليه فيما بعد ومات وذلك في سنة خمس للهجرة. ينظر بن خياط: الطبقات، ص١٤٠.
٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٢١ ؛ الواقدي: المغازي، ٢/ ٥١٢و٥١٣ ؛ أبو عبيد: الأموال، ص٢١٥؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٤٩ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص١٠٨ ؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٠/ ٢١٢.

كما أن التدليس[1] الذي ظهر في نقل الرواية كان له الأثر في نقل روايات غير صحيحة، فرواية قتل بني قريظة هذه مجدت اليهود، وأظهرت مظلوميتهم، وشجاعتهم في تلقي القتل، فضلا عن ذلك فإن بني أمية ومن قبلهم أعطوا لليهود والنصارى الكثير من الحرية في رواية الأخبار وحتى التفسير، ومن هؤلاء كعب الأحبار[2]، وتميم الداري[3] وغيره.

وعن سبب حكم سعد بن معاذ عليهم بهذا الحكم يذكر المستشرق بودلي أنهم تسببوا بطريقة غير مباشرة بجرحه أثناء حصار المشركين للمدينة في غزوة الخندق[4]. وهذا الرأي لم تذكره المصادر المعتمدة، كما أن رسول الله ﷺ لم يوكل المهمة لسعد بن معاذ -إن صحت هذه الرواية- للانتقام منهم جراء إصابته بجرح؛ بل إن السبب هو نقضهم العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وخيانتهم العظمى بالتآمر مع العدو ضد مدينتهم.

والى ذلك يشير غابريلي بقوله: «فخلال الحصار شكل الكفار طابوراً خامساً محتملاً، أو كامناً وراء النبي ومع أنهم ظاهريا – على الأقل – قد ظلوا محايدين، فإنهم بالتأكيد كانوا يأملون اندحاره، وكانوا على صلة بالعدو»[5]. وهنا يحاول غابريلي بكلامه خلط الأوراق، فيذكر أنه خلال مدة الحصار كان اليهود يشكلون طابوراً خامساً محتملاً، خلف ظهر رسول الله ﷺ بينما بقوا ظاهريا على الحياد، ولا نعرف المغزى من هذا الكلام، فكيف شكلوا طابوراً خامساً؟، أ يعني ذلك أنهم انضموا إلى تحالف الأحزاب؟، ويؤكد

١-التدليس: من الدلس تأتي بمعنى الظلمة، وتأتي بمعنى الخديعة، والتكتم. والتدليس في الإسناد هو أن يحدّث عن الشيخ الأكبر، ولكنه لم يرَه، وإنما سمع ممن هو دونه، وهذا ما فعله جماعة من الثقات. ينظر الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ٢/ ٢١٦.

٢-كعب الأحبار: كعب بن ماتع، ويكنى أبا إسحاق، وهو من حمير وكان على دين اليهود، فأسلم هناك ثم قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. ينظر ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٤٣٠.

٣-تميم الداري: تميم بن أوس بن خارجة الداري، كان نصرانيّا فأسلم عام تسعة للهجرة، سكن المدينة المنورة، ثم انتقل إلى الشام فسكن بيت المقدس. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٧/ ٤٠٨-٤٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٤٢-٢٢٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٢١٥.

٤-بودلي: الرسول حياة محمد ، ص٢٥٦.

٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٠.

أنهم كانوا على اتصال بالعدو، فهذه الخيانة بعينها، ثم يعود ويقول: إنهم بقوا على الحياد، فهذا تناقض واضح في كلامه، ويبدو أنه لم يطلع على أحداث غزوة الأحزاب، وما قام به بنو قريظة، ولم يقرأ بنود الوثيقة التي عقدها رسول الله ﷺ مع اليهود حين نزل المدينة.

ثم يكمل غابريلي قوله: «وبتصفية بني قريظة من دون ترك أي أحياء، وضمان دعم الأوس في إبادة حلفائهم السابقين بذريعة تفويض القرار، أصبح محمد قادراً على استبعاد أي اعتبار من اعتبارات الرحمة، والتصرف بحسب قانون الحرب الذي لا يعرف الرحمة»[١]، وهذا ما أشار إليه (وات) أيضا بقوله: إن بعض الكتاب الأوربيين انتقدوا هذا الحكم، ووصفوه بأنه وحشي وغير إنساني[٢]، ونود أن نوضح هنا ما يأتي:

- اختلفت الروايات التاريخية في عدد الذين تم قتلهم من بني قريظة في هذه الغزوة، فبعضهم ذكر أن عدد الذين تم قتلهم ما بين ستمائة إلى تسعمائة رجل[٣]، بينما ذكر بعضهم الآخر أن عددهم أربعمائة أو أربعمائة وخمسون رجلا[٤]. ونقل ابن زنجويه[٥]: «أَن رسول الله محمد ﷺ غدا إِلى بني قريظة، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقضى بأَن يقتل رجالهم، وتقسم ذراريهم وأَموالهم، فقتل منهم يومئذ أَربعون رجلا». ولم يصرح أبو عبيد في كتابه الأموال[٦] بالعدد بل اكتفى بالقول «فقتل منهم يومئذ كذا وكذا»، ولكن محقق الكتاب يشير في هامش الكتاب إلى أن النسخة الشامية ذكرت أربعين رجلا.

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٢.
٢-وات: محمد في المدينة، ص٣٢٧.
٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٢١ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٥٠ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١٨٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/ ٣١٦.
٤-النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ - ٩١٥م)، السنن الكبرى، (تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩١م)، ٥/ ٢٠٧ ؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢/ ٦٠٣ ؛ الطبرسي: مجمع البيان، ٨/ ١٤٩ ؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٠/ ٢١٢ ؛ الطباطبائي: تفسير الميزان، ١٦/ ٣٠٢.
٥-ابن زنجويه: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت٢٥١هـ- ٨٦٥م)، الأموال، (تحقيق: الدكتور شاكر ذيب فياض، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، ص٢٩٩.
٦-أبو عبيد: الأموال، ص١٩٣.

إن هذا التعارض في الروايات في عدد القتلى يدل على عدم دقتها وصحتها، ومن المحتمل أن تكون من الروايات الموضوعة، وقد تكون من دس اليهود (الإسرائيليات)، كما أن عدد (أربعين رجلا) قد يكون منطقياً، فمن الجائز أن يكون هؤلاء الأربعون هم من زعامات بني قريظة، أو ممن قاموا بقتال المسلمين.

- يذكر أيضا أن بني قريظة لما استسلموا قد قدموا بهم إلى المدينة، وأنزلوهم في دار بنت الحارث (امرأة من بني النجار)، ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، وأمر بحفر خنادق، فقتلوهم، ورموهم فيها[1]. فإذا كان العدد -بحسب ما نقل- ما بين ستمائة، وتسعمائة، فكيف بدار صغيرة لا تتسع لهذا العدد أن يشغلها هذا الكم الهائل، الذي يحتاج إلى ما يقارب عشرة أضعاف هذه الدار كحد أدنى؟، هذا إذا شملنا الذين تعرضوا للقتل فقط، أما إذا عددنا النساء، والصبيان، وكبار السن فنحتاج إلى أضعاف مضاعفة. ثم يذكر أن رسول الله ﷺ حفر خنادق في سوق المدينة ألقيت فيه جثث القتلى، ألم يجد رسول الله ﷺ مكاناً غير هذا ليدفنهم فيه؟!! والمعلوم أن السوق مكتظ بالناس، ألم يفكر رسول الله ﷺ بانتشار الأوبئة، والأمراض من كثرة عدد الجثث؟، ومن ذلك يبدو أن العدد كان مبالغا فيه بشكل كبير أو أن الحادثة كلها ملفقة.

- فضلا عما سبق فإن عدداً من الدراسات الحديثة التي تناولت غزوة بني قريظة، نفت هذا العدد من القتلى، ونفت قيام سعد بن معاذ بإصدار الحكم عليهم، على وفق تحليل منطقي[2].

- أما المستشرقون الذين تباكوا على حادثة بني قريظة إن صح خبر قتلهم، وعدّوها جريمة حرب أو جريمة ضد الإنسانية، أو عملاً وحشيا، فهذا ديدنهم ولا عجب!! فهم ينعقون ويصرخون دائماً ضد أي تعرض لليهود، فلماذا لم يطلعوا على جرائم اليهود لا

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٢١ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ١٨٦.
٢-أبو لحية: نور الدين، مجزرة بني قريظة بين القيم القرآنية والتدليس التاريخي، ط١، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م)، ص٥٧.

سيما في العصر الحديث، فاليهود بعد الحرب العالمية الثانية قاموا باعتقال الألمان المدنيين، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، وعرضوهم لأبشع أنواع التعذيب في معسكرات خاصة بذلك، وقتلوا تحت التعذيب نحو ٨٠ ألف الماني، فمعسكر واحد قتل فيه ما يزيد على ١٥٠٠، وهرب قائد هذا المعسكر إلى إسرائيل التي امتنعت عن تسليمه لمحاكمته[١]. هذه الأعمال في العصور الحديثة التي ظهرت فيها منظمات لحقوق الإنسان، ومنظمات لحقوق أسرى الحروب، وليس قبل ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا.

ويصرح غابريلي أيضا بالقول: «إن هذه الأشياء [يعني قتل بني قريظة] إنما وقعت في جزيرة العرب، ولم تكن أخلاق أهلها نصرانية، ولا حديثة»[٢].

كان الإسلام وما يزال دين الحب والتسامح، ويميز الإنسان باعتباره القيمة الأسمى في هذا العالم، كما أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل نبيه ﷺ إنما أرسله لكل البشر، وليس لأناس دون غيرهم، وعندما يخبر الله بالقول: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[٣]، فهذا تصريح إلهي بخير هذه الأمة أي الأمة الإسلامية، وتميزها على باقي الأمم.

فعلى غابريلي عندما يرمي أعمال القتل والوحشية على أبناء الجزيرة العربية، ويقصد بذلك أهل الإسلام، ويعلل أن أهلها لم يكونوا نصارى، فعليه أن يعود إلى حقبة محاكم التفتيش التي حدثت في اسبانيا النصرانية، وما قامت به هذه المحاكم من أعمال وحشية لا يتقبلها ولا يتوقعها العقل البشري، فكان من طرق تعذيبها تفتيت أعضاء المحكوم وتكسيرها، كذلك دفن الشخص حياً، ومن طرقهم البشعة أيضا قطع أيدي السجين وأرجله ولسانه حتى الموت، وغيرها كثير من تلك التي روعت البشر لا سيما المسلمين في اسبانيا[٤].

١-شرف: أيمن، الهولوكوست المعكوس، (ط١، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١١م)، ص٩-١٠.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٢.
٣-سورة آل عمران: آية ١١٠.
٤-حتاملة: الدكتور محمد عبدة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، (مطابع الدستور التجارية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ص١١٣٤-١١٣٦.

*** صلح الحديبية (٦ للهجرة)**

الحديبية قرية قرب مكة سميت الحديبية نسبة إلى بئر هناك، أو نسبة إلى شجرة حدباء فيها، بويع فيها رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، بينها وبين مكة مرحلة واحدة، وبين المدينة تسع مراحل[١].

توجه رسول الله ﷺ نحو مكة ومعه ما يقرب من ألف وأربعمائة، أو ألف وستمائة من المهاجرين والأنصار، وذلك في السنة السادسة للهجرة، وساقوا معهم سبعين بدنة[٢]،هدياً لتُنحر في مكة[٣]، فلمّا وصل الخبر إلى قريش فزعت معتقدةً أن رسول الله ﷺ يريد الهجوم عليها، فأعدت نفسها، وتهيأت لصده عن البيت الحرام، ولمّا بلغه ﷺ خبر إعداد قريش، والتهيؤ لقتاله، غير مسيره وسلك طريقاً غير الطريق الذي سلكته قريش، فوصل منطقة الحديبية واستقر فيها[٤].

فلما نزل رسول الله ﷺ الحديبية رفضت قريش أن يدخل مكة، فأرسل لهم رسوله يطمئنهم أنه لم يأتِ لحرب، وإنما جاء لأداء مناسك العمرة ويرحل، فبعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي[٥]، فلما أقبل على رسول الله ﷺ قال له: إن أهل مكة يرفضون دخولك عليهم، ويقسمون على ذلك، فهل تريد أن تبيد أهلك وقومك؟ فرد عليه ﷺ: «ما جئت لحرب وإنما جئت لأقضي نسكي، فأنحر بدني، وأخلي بينكم وبين لحماتها»، فقال عروة: «بالله ما رأيت كاليوم أحداً صد كما صددت»، فرجع إلى قريش وأخبرهم فقالت قريش: والله لئن دخل محمد مكة وسمعت بذلك العرب لنصبحن أذلاء، ولاجترأت علينا العرب[٦].

١-ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٢٢٩.
٢-البدنة: هي الناقة وسميت بدنة إما لسمنها، أو لكبر سنها. ينظر ابن قتيبة الدينوري: غريب الحديث، ١/ ٢١٩.
٣-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٥٤.
٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ٩٥ ؛ ابن حبان: الثقات، ١/ ٢٩٥.
٥-عروة بن مسعود: بن معتب الثقفي، صحابي كان سيد قومه بالطائف، لما أسلم استأذن النبي ليدعو قومه للإسلام، فلما دعاهم رفضوا ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة تسعة للهجرة. ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ١٠٦٦.
٦-القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ- ٩٤١م)، تفسير القمي، (تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ)، ٢/ ٣١٠-٣١١ ؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٢٠/ ٣٤٩.

ومما ينقل عن عروة قوله لما رأى من إيمان المسلمين، واتباعهم لأمر نبيهم ﷺ: «يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا، فروا رأيكم»[1]. واستمرت الوساطات بين الطرفين دون التوصل إلى نتائج، وآخر ما كان من أمر الحديبية أن بعثت قريش سهيل بن عمرو[2] إلى رسول الله ﷺ، فدار الكلام بينهم في شد وجذب حتى توصلا إلى الصلح الذي مضمونه:

١- اتّفق الطرفان على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢- من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه.

٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده (أي يتحالف معه) كان له ذلك، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم كان له ذلك أيضاً من غير حرج عليه من أحد الطرفين.

٤- أن يرجع النبي بمن معه هذا العام على أن يأتي في العام القادم فيدخل مكّة، ويقيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب.

٥- أن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه، ولا يؤذى ولا يُعير.

٦- لا إسلال (سرقة)، ولا إغلال (خيانة) بل يحترم كل طرف أموال الطرف الآخر، فلا يخونه، ولا يعتدي عليه بسرقة.

٧- أن لا تعين قريش على محمد وأصحابه بنفس، ولا سلاح[3].

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٧٩ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٣١٧.

٢-سهيل بن عمرو: بن عبد شمس بن عبد ود القرشي، أبو يزيد والد أبي جندل بن سهيل ، أسلم بالجعرانة وكان من المؤلفة قلوبهم، خرج إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب ومات بها سنة ثمان عشرة للهجرة. ينظر ابن حبان: الثقات، ٣/ ١٧١.

٣-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٨٢؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢/ ١٢٠-١٢١؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٣٢١؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٥٢؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٦٩؛ الأحمدي: الشيخ علي، مكاتيب الرسول ﷺ، (ط١، مؤسسة دار الحديث الثقافية، طهران، ١٤١٩هـ.ق)، ٣/ ٧٨.

هذا ما جاء في مضمون الصلح الذي علق عليه غابريلي بالقول: «رغم احتوائها على بعض البنود الفظة ومواد في ملحقها مُذلة للنبي الذي قبلها من دون أن يظهر لها أي اندهاش»[١].

لقد كان لهذا الصلح أبعاد سياسية وعسكرية مهمة ساهمت في جعل موطئ قدم للمسلمين في مكة، وظهرت نتائج هذا الصلح فيما بعد، وتغيرت موازين القوى في الجزيرة العربية.

إن الدعوة الإسلامية التي اعتمدت التنظيم السري في بداياتها، ثم دخلت في صراعات عسكرية في مراحل واتجاهات عدة، الآن بات على رسول الله ﷺ أن يعتمد سياسة حكيمة، فلكل مرحلة أدوارها، لذلك اعتمد الحوار الدبلوماسي لأهداف استراتيجية كان يطمح إليها في الأمد البعيد[٢].

كما أن القبائل العربية المشركة كانت تتصور أن رسول الله ﷺ -وبسبب الإعلام المضاد من قريش- يخالف كل تقاليد العرب وعقائدها، سواء الدينية، أم الاجتماعية، ومنها فريضة الحج، والعمرة، وباشتراكه في مراسيم العمرة يعكس صورة مغايرة لما عرفوها عن الإسلام[٣].

فضلاً عن ذلك فإن أداء مناسك العمرة في المسجد الحرام، وبحضور جموع القبائل العربية سيكون له صدى إعلامي مهم، ودور في انتشار الإسلام؛ لأن هؤلاء الحجيج سينقلون إلى قبائلهم صورة الإسلام والمسلمين مما يمهد إلى دخول أعداد منهم في الدين الإسلامي، وبهذا ينتشر نداء الإسلام[٤].

ومما نقل عن هذا الصلح عن عمر بن الخطاب قال: «أتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٦.
٢-الحمداني: السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق عليه السلام، ص٤٠٩.
٣-السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٣٢٤.
٤-السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٣٢٥.

نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنّا نأتيه العام؟ قلت: لا قال: فإنك آتيه ومطوف به»[1].

فهذا الصلح أبرز لنا قدرة رسول الله ﷺ وحنكته السياسية، وإيمانه المطلق بالله سبحانه وتعالى، وتمكنه من تسيير الأمور لصالحه، وهذا ما أكده غابريلي نفسه بقوله: «إن هذه الحادثة تفيدنا في تقييم مقدار القدرة التكتيكية للنبي»[2]. ويقول أيضا: «وبين صلح الحديبية، والانهيار النهائي لمكة، يمكننا ملاحظة قوة وسلطة محمد وهي تتعاظم على نحو لا يمكن مقاومته سواء داخل الحجاز، أم في خارجها»[3].

ويصرح المستشرق مونتمغري وات أن صلح الحديبية قد أفاد استراتيجية محمد البعيدة المدى[4]، وهذا ما سنلمسه في الفترات اللاحقة، وكيف أن رسول الله ﷺ أفاد من هذا الصلح بتحجيم دور قريش، وتأمين جانبهم؛ باعتبارهم كانوا أقوى الجبهات التي كانت تعرقل انتشار الإسلام، فضلاً عن انضمام العديد من القبائل في حلف دولة المدينة، فأصبح بذلك رسول الله ﷺ ينشر دعوته في مجال وأفق أوسع من ذي قبل، وسيتبين كيف كان لهذا الصلح دور في إنهاء الوثنية والعداء للإسلام ونبيه الكريم ﷺ، وكيف تمكن رسول الله ﷺ من خلال بنوده أن يفتح مكة مدينته الأم التي طالما كانت قريش القوة التي تهدده وتمنعه منها.

١-البخاري: صحيح البخاري، ٣/ ١٨٢ ؛ الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ- ١٠٣٦م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، ٩/ ٦٠ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٧/ ٢٢٩ ؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢١٣.

٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٦.

٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٦.

٤-وات: محمد في المدينة، ص٧٤.

*** معركة خيبر (٧ للهجرة)**

خيبر هي ناحية تقع على الطريق إلى بلاد الشام، سميت خيبر نسبة إلى خيبر بن قانية بن هلال من أبناء سام بن نوح، ويطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير[١].

أراد رسول الله ﷺ من غزوته هذه تحقيق السلام، والأمن، والهدوء في المدينة المنورة، وما حولها، وأن يوقف نهر الدم الذي استمر مدة ليست بالقصيرة، وبوجود يهود بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة لا يمكن ذلك؛ فقد كانوا العقل المدبّر الذي حرّض الأحزاب على الهجوم على المدينة المنورة، وهم من عقدوا الاتفاق مع بني غطفان لتشاركهم حربهم ضد المسلمين[٢].

خرج لهم رسول الله ﷺ في سنة سبع للهجرة وقيل: سنة ست للهجرة[٣]، فنزل بينهم وبين بني غطفان ليقطع مددهم إليهم[٤]، وحاصرهم بضعا وعشرين ليلة، وكان في خيبر عدد كبير من اليهود وصل إلى ما يقارب أربعة عشر ألف يهودي[٥]، فضيّق عليهم، ونشبت معارك ضارية بين الطرفين حول الحصون، وتمكن رسول الله ﷺ من فتح بعض حصونهم، واستمرّ الحال هذا من الحصار، والقتال، وبقيت بعض الحصون المنيعة، فبعث رسول الله ﷺ برايته إلى أبي بكر فرجع، ولم يصنع شيئاً[٦]، وفي اليوم الثاني بعث بها إلى عمر بن الخطاب، فرجع خائباً يجبّن أصحابه ويجبنه أصحابه[٧]، فضاق بذلك صدر رسول الله ﷺ، فصرح بكلمته الخالدة: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه»[٨].

١-ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٤٠٩ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ٣٠٦.
٢-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٩٣.
٣-الواقدي: المغازي، ٢/ ٦٣٤ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٩٨ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص١١٤.
٤-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٩٨.
٥-الطبرسي: اعلام الورى، ص١١٤ ؛ الراوندي: قصص الأنبياء، ص٣٤٤.
٦-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٩٧ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٠٠ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٢/ ٨٩.
٧-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٩٧؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٠٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٢/ ٨٩.
٨-الواقدي: المغازي، ٢/ ٦٥٣؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١/ ٩٣؛ الكليني: الكافي، ٨/ ٣٥١.

فلمّا طلع الفجر -وكالعادة ليس لها إلا أبو الحسن- استدعى رسول الله أمير المؤمنين علياً ﷺ، فقيل له: يا رسول الله هو أرمد، فأرسل إليه، فوضع رأس علي في حجره، ثم بلل يده من ريقه، ومسح بها عينيه فبرأتا[1]، فأعطاه الراية، ودعا له الله سبحانه أن ينصره ويفتح على يديه، فخرج ﷺ مهرولاً، وبرز له مرحب اليهودي وكان معروفاً بالشجاعة منشداً:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحـروب أقبلت تلهب

فرد ﷺ قائلاً:

أنا الـذي سمتني أمـي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة[2]

فتبارزا فقتل أمير المؤمنين علي ﷺ مرحباً وفلق رأسه بالسيف[3]، وانهزم أصحابه وتحصنوا بحصنهم المنيع، ولم يتمكن جيش المسلمين من دخول الحصن لمناعته، فأخذ ﷺ باب الحصن فقلعه[4]، وتم الفتح على يده المباركة.

وهنا لم يشر المستشرق غابريلي إلى تفاصيل الغزوة، والقتال الذي دار، وكيفية فتح الحصون، وإنما اكتفى بذكر أن رسول الله ﷺ صالحهم، يقول غابريلي في ذلك: «وكانت نتيجة هذه الحملة أن استمر اليهود في زراعتها، لكن بوصفهم مستأجرين من أصحاب الأرض الجدد المسلمين، إذ توجب أن يدفعوا لهم نصف محصولهم»[5].

١-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٠١؛ الخوارزمي: الموفق بن أحمد البكري المكي (ت٥٦٨هـ- ١١٧٢م)، المناقب، (تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١هـ)، ص١٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٢٠.

٢-السندرة مكيال كبير. ينظر ابن منظور: لسان العرب، ٤/ ١٧٤.

٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١١٢ ؛ بن حنبل: مسند أحمد، ٤/ ٥٢ ؛ ابن كرامة: شرف الإسلام بن سعيد المحسن (ت٤٩٤هـ- ١١٠١م)، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، (تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، ص٥٤ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٢/ ٩١.

٤-ابن كرامة: تنبيه الغافلين، ص٥٥ ؛ ابن أبي الفتح الأربلي: كشف الغمة، ١/ ٢١٤ ؛ ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (ت ق٧)، نهج الإيمان، (تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة ستارة- قم، ١٤١٨هـ)، ص٣٢٣.

٥-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٧.

وهذا ما تناولته المصادر الإسلامية حيث تمت مقاسمة المحصول معهم[١]. وفي هذه المعركة تزوج رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي[٢]، وفيها أيضا دست زينب بنت الحارث اليهودية[٣] السم في شاة مصلية، وقدمتها لرسول الله ﷺ، فلما تذوقها أحس بالسم فلفظها، وذهبت بعض الروايات إلى أن هذا السم هو السبب في وفاته ﷺ، حيث قال قبل وفاته: «الآن انقطع أبهري من أكلة خيبر»[٤].

*** معركة مؤتة (٨ للهجرة)**

مؤتة قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: مؤتة من مشارف الشام[٥]، تعدّ معركة مؤتة من أهم المعارك التي خاضها المسلمون في حياة رسول الله ﷺ، بسبب أثرها الكبير على سمعة المسلمين، إذ أدهشت العرب كلها بقبائلها.

وسبب هذه المعركة ليس أمر اعتداءات عفوية متفرقة على الإسلام والمسلمين، بل كانت أخطر بكثير، فقد تشكل تحالف كبير بين بعض القبائل العربية من جهة، والروم من جهة أخرى ضد الإسلام والمسلمين[٦]، وهذا الأمر لا يمكن السكوت عليه من جانب المسلمين.

فضلا عن قتل مبعوث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي[٧] إلى عظيم بصرى[٨]، وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم، ويعني إعلان حالة الحرب فيها، فغضب لذلك رسول الله ﷺ، فجهز إليهم جيشاً تعداده ثلاثة آلاف مقاتل،

١-المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ٣٢٢.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٠٨ ؛ ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص١٣٧ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٠٢.
٣-زينب بنت الحارث: اليهودية التي دست الشاة المسمومة لرسول الله، قيل: قد أسلمت فتركها، وقيل: إنه قتلها قصاصاً لبشر بن البراء؛ لأنه أكل معه من الشاة فمات. ينظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٨/ ١٥٥.
٤-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٠٣؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢٢٣؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ٧/ ٢٧١.
٥-ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ٢٢٠
٦-عبداللطيف: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ١/ ١١٨.
٧-الحارث بن عمير: الأزدي أحد بني لهب، بعثه رسول الله بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم، وقيل إلَى ملك بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه ثم قتله، ولم يقتل لرسول الله مبعوث غيره. ينظر ابن الأثير: أسد الغابة، ١/ ٣٤٢.
٨-الواقدي: المغازي، ٢/ ٧٥٥؛ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص٢٣٠

واختار زيد بن حارثة أميراً على الجيش، ويخلفه جعفر بن أبي طالب، ومن بعده عبدالله بن رواحة الأنصاري[1]، وإن أصيب عبد الله، فليتفق المسلمون على رجل منهم[2].

تحرك الجيش باتجاه الشمال حتى وصل أرض الشام، مما يلي الحجاز الشمالي، وتجهز هرقل بمائة ألف من الروم، وانضمت القبائل الأخرى في مائة ألف فأصبح جيشه مئتي ألف، فأخذ المسلمون يفكرون في الأمر وأرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ عن كثرة عدد العدو، ليبعث إليهم مدداً، أو يأمرهم بالعودة إلى المدينة، ولكن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، وشجعهم على القتال فالتقى الفريقان[3]. ويبدو أن عدد جيش الروم مبالغ فيه كثيراً، فإن صح هذا العدد فبإمكانه سحق جيش المسلمين بالكامل.

بدأ القتال بثلاثة آلاف مقاتل مقابل أعداد جيش الروم والقبائل الموالية، أخذ الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل بشراسة حتى وقع شهيداً، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، غير أنه لم يلبث أن استشهد في ميدان القتال وقطعت يداه، وخلفه عبد الله بن رواحة فقتل[4]، ثم اختير خالد بن الوليد أميراً لهم، وبذل كل ما في وسعه لإنقاذ ما تبقى من جند المسلمين، وعاد بهم إلى المدينة[5].

وقد أشار غابريلي إلى هذه المعركة بشيء من البساطة والسطحية، فلم يتطرق إلى أسباب المعركة وتفاصيلها، ذاكراً أن المواجهة ربما كانت مع قبائل عربية متحالفة مع البيزنطيين أو كمرتزقة[6]، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لهذه المعركة صدى واسع؛ باعتبارها أول معركة للمسلمين ضد الروم البيزنطيين، فضلاً عن ذلك فإن تعداد جيش المسلمين الذي لم يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل قد جابه وقاتل قوة أكبر منه عدداً، وقد أشار

١-عبد الله بن رواحة: بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي أبو محمد، ويقال: أبو عمرو الأنصاري، حدّث عن النبي وشهد بدراً والعقبة وهو أحد النقباء، وأحد الأمراء في غزوة مؤتة واستشهد بها. ينظر ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٨/ ٨٠.
٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٢٨ ؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٣ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢/ ٧.
٣-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣١٩ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٥.
٤-الواقدي: المغازي، ٢/ ٧٦٢ ؛ أبو فرج الاصفهاني: مقاتل الطالبيين، (تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية- النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م)، ص٧ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٦-٢٣٧.
٥-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٨٣٤ ؛ الواقدي: المغازي، ٢/ ٧٦٤ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٤٦٣.
٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٨.

بروكلمان إلى هذه البطولة التي امتاز بها جيش المسلمين بالقول: «وكان عدد الروم يفوق عدد المسلمين إلى حد بعيد، فلم تكن المعركة متكافئة، على الرغم من شجاعة المسلمين البالغة»[١]. ومهدت هذه المعركة فيما بعد لإرسال حملات وجيوش عديدة تمكنت على اثرها من دخول بعض القبائل الشمالية الإسلام، وفتح بلاد الشام لاحقا[٢].

*** فتح مكة (٨ للهجرة)**

لما أراد الله سبحانه وتعالى تطهير بيته من الشرك، والوثنية ليكون طاهراً للطائفين، والعاكفين، والساجدين، وأمناً للناس، هيّأ سبحانه وتعالى أسباباً أدّت إلى فتح مكة، ودخول المسلمين منتصرين، بعد طغيان قريش وحلفائها، وظلمهم، وعدوانهم، ونقضهم للعهد الذي بينهم وبين المسلمين.

فقد أصبح المسلمون قوة عظيمة يُحسب لها ألف حساب، وتطلع المسلمون نحو مكة، وتشوقوا إلى تطهير بيت الله من الرجس، والأوثان، ولكن قريشاً كانت عقبة في هذا الطريق، وكان بينهم عقود وعهود التزم المسلمين بها، وصانوها، وخير دليل أنه لمّا جاءهم أبو جندل[٣] فاراً بدينه من عذاب المشركين، سلمه رسول الله ﷺ لأبيه[٤] التزاماً منه بالعهد.

ثم جاءهم أبو بصير[٥] مهاجراً، فرده عليهم كذلك، ولم يسمح له بالبقاء في المدينة[٦]، إلا أن قريشاً لم تلتزم بهذا العهد بسبب طغيانها وبغضها لرسول الله ﷺ والإسلام، وذكرنا سابقا أن من شروط صلح الحديبية أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده كان له

١-بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٥٩.

٢-للمزيد ينظر الحجاج: محسن مشكل، جعفر بن أبي طالب الطيار ﷺ دراسة تاريخية، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة- كلية الآداب، ٢٠٠٩م)، ص١٩١-١٩٢.

٣-أبو جندل: بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود، حبسه أبوه ومنعه من الهجرة ثم أفلت بعد الحديبية فخرج إلى أبي بصير بالعيص فلم يزل معه حتى مات أبو بصير فقدم أبو جندل المدينة على رسول الله، مات بالشام في سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٧/ ٤٠٥.

٤-ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/ ٧٨٣ ؛ النيسابوري: المستدرك، ٣/ ٢٧٧ ؛ العيني: عمدة القارئ، ١٣/ ٢٧٨.

٥-أبو بصير: عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة الثقفي، كنيته أبو بصير وهو مشهور بكنيته، هرب من الكفار في هدنة الحديبية إلى رسول الله، فرده مع رجلين من الكفار، فقتل أبو بصير أحدهما وهرب الآخر، ثم خرج إلى سيف البحر واجتمع إليه كل من فر من المشركين، فضيقوا على قريش وقطعوا الطريق عليهم فكتب الكفار إلى رسول الله، فردهم إلى المدينة إلا أبا بصير فإنه كان قد توفي. ينظر ابن الأثير: أسد الغابة، ٣/ ٣٦٠.

٦-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٢٨٤ ؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ٤/ ٣٥٩.

ذلك، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم كان له ذلك أيضاً[١]، فدخلت قبيلة خزاعة في حلف رسول الله ﷺ، ودخلت قبيلة بني بكر في حلف قريش[٢]، وكان بين هاتين القبيلتين صراع، واقتتال قبل الإسلام هدأ وفتر بصلح الحديبية[٣].

ويذكر غابريلي الأسباب التي دفعت رسول الله ﷺ إلى تجهيز الجيش، والتهيؤ، والتوجه نحو مكة لفتحها في السنة الثامنة للهجرة، فيقول: «وفي نهاية عام ٦٢٩م، شُن هجوم من قبل إحدى القبائل المتحالفة مع محمد، وبتحريض منها، ليتخذ له الذريعة المناسبة للإعلان بأن هذه الحديبية قد أصبحت باطلة ولاغية»[٤]. في إشارة منه إلى قبيلة خزاعة التي كانت متحالفة مع رسول الله ﷺ.

ولكن بالرجوع إلى المصادر الإسلامية يتبيّن أن الأمر عكس ذلك، فقبيلة بني بكر حليفة قريش هي من بادرت بنقض هذا الحلف، وبتحريض، ومشاركة من قريش، وذلك على أثر حدوث شجار بين رجلين من خزاعة وبكر، فعمل بنو بكر على استغلال هذا الخلاف، ومالوا على خزاعة ليلاً، وتعاونت معهم قريش، فمدوهم بالسلاح، وشاركهم كبار قريش في القتل[٥]، وهذا ما أكده المستشرق مونتمغري وات أيضاً[٦]. ويكمل غابريلي قوله: «زحف جيش قوامه عشرة آلاف رجل، بقيادة النبي إلى مكة، إذ احتال أبو سفيان بناءً على تفاهم مع المدينة الذي طبقا للبعض كان قد تم التوصل إليه سراً قبل حقبة طويلة ذريعة لدخول ظافر لهذا الهارب سابقا»[٧].

وهنا يلمح غابريلي إلى ذهاب أبي سفيان إلى المدينة من أجل تمديد مدة الصلح، وانه خلال ذلك تم الاتفاق سراً على تسليم مكة دون قتال، لكن أغلب المصادر الإسلامية

١-الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٥٢ ؛ الأحمدي: مكاتيب الرسول، ٣/ ٧٨.
٢-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٢٤ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٣٩ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١٧.
٣-الواقدي: المغازي، ٢/ ٧٨١ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٢٣.
٤-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٨.
٥-الواقدي: المغازي، ٢/ ٧٨٣ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١٧ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ١/ ٣٤٨.
٦-وات: محمد في المدينة، ص٩٣
٧-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٨.

أجمعت أن رسول الله ﷺ لم يقبل بلقاء أبي سفيان، مما اضطره إلى التوجه إلى بعض الصحابة، وابنته أم حبيبة، وبيت أمير المؤمنين علي عليه السلام لغرض الإجارة، ولكنهم جميعا رفضوا ذلك؛ لأن إجارتهم من إجارة رسول الله، حتى أن ابنته أم حبيبة رفضت جلوسه على الفراش، لأنها عدّته كافرا نجسا[١].

تقدم جيش المسلمين المكون من عشرة آلاف رجل نحو مكة، ورسول الله ﷺ كان يريد فتح مكة من دون قتال، وإراقة دماء؛ احتراماً لحرمة هذه البقعة المباركة، وكان للعباس بن عبد المطلب دور في ذلك، فقد بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ينصح قريشا بالكف عن القتال؛ نظراً لقوة جيش المسلمين وعدده، كما أنه أتى بأبي سفيان إلى معسكر الإسلام، وأبعده عن قيادات قريش لتشتيت رأيهم، وعدم اتخاذ قرار بذلك[٢]، كذلك فإن وجوده في معسكر المسلمين ليطلع على قوة الجيش الإسلامي، وتعداده فيزيدهم خوفاً، ورهبةً، فينصرفوا عن فكرة مقاومتهم عند دخوله إلى مكة، فعمل العباس على ذلك، ورأى أبو سفيان بعينه جموع القبائل مع رسول الله ﷺ فأرهبه ذلك[٣].

وبذلك تمكن رسول الله ﷺ من إضعاف العامل النفسي لدى قريش، وإبهارهم بقوة المسلمين، وإضعاف ثقتهم بأنفسهم، وتشتيت أفكارهم، فلم يستطيعوا أن يقوموا بأي رد فعل ضد المسلمين، فدخل رسول الله ﷺ بجيشه مكة دون قتال، ولم تزهق أي روح إلا حالات نادرة أمر بها رسول الله ﷺ[٤]، فطاف بمكة وأمر بالأصنام فكسرت، وأطلق عبارته المشهورة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» لكل من كان فيها من المشركين[٥].

وصرح غابريلي بموقف رسول الله ﷺ في تسامحه وإظهار سمة العفو والشهامة، وانه فتح المدينة المقدسة من دون إراقة دماء[٦]، وأُعجب المستشرق درمنغم بسماحته

١-ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٨٥٦؛ الواقدي: المغازي، ٢/ ٧٩٢-٧٩٤ ؛ ابن حبان: الثقات، ٢/ ٣٨-٤٠.
٢-السبحاني: سيد المرسلين، ٢/ ٤٨٧
٣-الواقدي: المغازي، ٨٢٢-٨٨٢٨ ؛ ابن حبان: الثقات، ٢/ ٤٧.
٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٣٦ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٢٥٠-٢٥٢.
٥-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٣٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢/ ٤٥ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ٨/ ٣٨٧.
٦-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٩.

وعفوه أثناء فتح مكة أيضاً، وكيف تعامل مع أهلها الذين طالما حاربوه، وآذوه شر أذى حتى وصل بهم الحال إلى محاولة قتله، فيقول: «وكان حب العفو آخذاً من نفس النبي الغالب كل مأخذ، فقد قرت عين النبي بفتح مسقط رأسه، فصار لا يفكر في غير تآلف القلوب بالإحسان كما أمره القرآن»[١].

وهذا ما أكدته المستشرقة الايطالية فاغليري حيث تقول: «أما محمد، بوصفه المبشر بدين الله، فكان لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه الشخصيين، لقد امتزجت في ذات نفسه العدالة والرحمة، وهما اثنتان من أنبل الصفات التي يستطيع العقل البشري تصورها»[٢].

إذن، ففتح مكة قضى على العدو التاريخي للإسلام، وحرر شبه الجزيرة العربية من السيطرة القرشية التي طالما كانت العقبة الكبرى في انتشار دين الإسلام؛ لذلك نلاحظ تسارع وتيرة اعتناق الإسلام، ودخول الناس في دين الله أفواجاً بعد الفتح، وهذا ما أكدته الآية الكريمة: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾[٣].

*** معركة حُنين (٩ للهجرة)**

حنين هو واد قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، وقيل: إنه سمي حنينا نسبة إلى حنين بن قاينة بن مهلائيل[٤].

لما فتح الله تعالى على رسوله ﷺ مكة، سلمت له قبائل العرب إلّا هوازن وثقيفاً، فلما سمعوا بفتح مكة على يد رسول الله ﷺ جمع القبائل مالك بن عوف النصري[٥] سيد هوازن، وأتى بها مكة فنزلوا بحُنين، وحمل مالك معهم النساء والصبيان والأموال[٦]،

١-درمنغم: الشخصية المحمدية، ص٣٢٤.
٢-فاغليري: لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، (ترجمة: منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م)، ص٣٨.
٣-سورة النصر: آية ١-٣.
٤-البكري: معجم ما استعجم، ٢/ ٤٧٢.
٥-مالك بن عوف: بن مالك بن سعد بن ربيعة بن بكر بن هوازن النصري يكنى أبا علي، كان رئيس المشركين يوم حنين، ثم أسلم، واستعمله رسول الله على من أسلم من قومه، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص. ينظر أبو نعيم الاصبهاني: معرفة الصحابة، ٥/ ٢٤٧٣.
٦-ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/ ٨٨٩ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص١٢٦ ؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٧٨.

ولما عَلمَ رسول الله ﷺ ما أجمعت عليه هوازن من حربه تهيّأ لقتالهم وخرج معه ﷺ اثنا عشر ألفاً، عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح بهم مكّة، وألفان من مسلمة الفتح[١]، والمشركون من هوازن وثقيف عشرون ألفا[٢].

ولما وصل جيش المسلمين إلى وادي حُنين، وإذا بالعدو قد سبقهم إليه، فأحاطوا بهم، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانهزم المسلمون في بادئ الأمر، وأخذ رسول الله ﷺ ينادي فلم يستجيبوا! وثبت مع رسول الله ﷺ نفر من بني هاشم، يتقدمهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، والعباس بن عبد المطلب[٣].

وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء، ورمح طويل أمام القوم، وأخذ يطعن بالمسلمين في كل جانب، وكل من يلاقيه، فعرض له أمير المؤمنين علي عليه السلام فضرب بعيره فعقره، ثمّ ضربه فقتله[٤]، وبقتله تجمع المسلمون بعد هربهم، وتشابكوا مع المشركين، فما هي إلا لحظات حتى ولّى المشركون هاربين، ثم جُمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حُنين، وأموالهم، فأمر بالسبايا والأموال فحُبست[٥].

وعن ما حصل في حُنين من فرار الناس عن رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى قوله: **﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثمّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثمّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾**[٦]، وذهب العلماء إلى القول بأنه يعني بالمؤمنين علياً عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم، أو عامّة المؤمنين الذين رجعوا بعد الهزيمة[٧].

١-الواقدي: المغازي، ٣/ ٨٨٩ ؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢/ ٢١٥ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٦١٥.
٢-الواقدي: المغازي، ٣/ ٨٩٣.
٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢/ ١٥١ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ٣/ ٦١٨ ؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٧٩.
٤-الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٤٨-٣٤٩ ؛ المفيد: الإرشاد، ١/ ١٤٣.
٥-اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٦٣ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٢/ ٣٤٩ ؛ الطبرسي: اعلام الورى، ص١٢٩.
٦-سورة التوبة: آية ٢٥-٢٦.
٧-المفيد: الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، ط١، قسم الدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٢هـ. ق)، ص٥٨ ؛ الطبرسي: جوامع الجامع، ٢/ ٥٥.

وذكر غابريلي غزوة حُنين قائلاً: «واشرت معركة حنين على هزيمتها النهائية، ومعها هزيمة الوثنية في أنحاء الحجاز كافة»[1]، إشارة منه إلى القبائل البدوية التي قاتلها المسلمون في هذه الغزوة، ثم يتطرق إلى تقسيم الغنائم بالقول: «وعند تقسيم الغنائم، أعطيت الأفضلية لأولئك الذين تم كسب قلوبهم، ومعظمهم من المسلمين المكيين الذين دخلوا الإسلام مؤخراً فقط»[2].

وذلك أن رسول الله ﷺ قسم غنائم حُنين في قريش خاصة، وزاد في إعطاء المؤلفة قلوبهم وقيل: إنه جعل للأنصار شيئاً قليلاً، فغضبوا لذلك، ولما علم رسول الله ﷺ ناداهم فجلسوا عنده، فقال لهم: «إني سائلكم عن أمر فأجيبوني عنه فقالوا: قل يا رسول الله، قال: ألستم كنتم ضالين فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى، فلله المنة ولرسوله. قال: ألم تكونوا على شفا حفرة من النار، فأنقذكم الله بي؟ قالوا: بلى، فلله المنة ولرسوله. قال: ألم تكونوا قليلا فكثركم الله بي؟ قالوا: بلى، فلله المنة ولرسوله. قال: ألم تكونوا أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى، فلله المنة ولرسوله. ثم سكت النبي هنيئة، ثم قال: «ألا تجيبوني بما عندكم؟ قالوا: بمَ نجيبك فداك آباؤنا وأمهاتنا، قد أجبناك بأن لك الفضل والمن والطول علينا؟ قال: «أما لو شئتم لقلتم: وأنت قد كنت جئتنا طريدا فآويناك، وجئتنا خائفا فآمناك، وجئتنا مكذبا فصدقناك. فارتفعت أصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم إليه فقبلوا يديه ورجليه، ثم قالوا: رضينا بالله وعنه، وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئت فاقسمها على قومك، وإنما قال من قال منا على غير وغر صدر، وغل في قلب، ولكنهم ظنوا سخطا عليهم وتقصيرا بهم، وقد استغفروا الله من ذنوبهم، فاستغفر لهم يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار. يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعم، وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله محمد؟ قالوا: بلى

١-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٩.
٢-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٩.

رضينا. فقال رسول الله ﷺ: الأنصار كرشي[1] وعيبتي، لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم اغفر للأنصار»[2].

ففي هذا الموقف تظهر لنا قدرة رسول الله ﷺ على إقناع أتباعه وكسب ودهم بأسلوب خُلقي بديع، جعلهم يقنعون بما قدموا عليه به، وهذا ما عبر عنه غابريلي بالقول: «وهنا نجح محمد أيضا في التغلب، بجاذبيته، وسلوكه، ونفوذه، على الاستياء الواضح المعالم لصحابته المدنيين القدامى»[3].

١-الكرش: عيال الرجل من الصغار، وتأتي أيضا بمعنى الجماعة من الناس. ينظر الجوهري: الصحاح، ٣/ ١٠١٧.
٢-ابن حبان: الثقات، ٢/ ٨١ ؛ المفيد: الإرشاد، ١/ ١٤٥ ؛ الأمين: أعيان الشيعة، ١/ ٢٨١.
٣-غابريلي: محمد والفتوحات الإسلامية، ص١٦٩-١٧٠.

الخاتمة

تُعد دراسات المستشرقين وما كتبوهُ في السيرة النبوية من الدراسات المهمة، لفهم الاستشراق وبداياته، وأهدافه، وأهم مدارسه، هذا من جانب، ومن جانب آخر للدفاع عن سيرة رسول الله ﷺ، وإزالة الاشتباه، والطعن، والأكاذيب التي نالت منه. وإنه من دواعي الفخر والاعتزاز أن يسهم الباحث في هذا العمل لرفع ولو جزء بسيط مما نالته الدراسات الاستشراقية من سيرة رسول الله ﷺ، وإبطال الأكاذيب والافتراءات، وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١.حاول المستشرق غابريلي أن يعرض وجهات النظر المختلفة عن شخصية رسول الله ﷺ بدراسته للمصادر الغربية، فضلاً عن نقده لبعض هذه المصادر التي تناولت رسول الله ﷺ في مجتمعات العصور الوسطى، وكيف شوهت هذه السيرة في تلك المجتمعات من قبل مؤرخي هذه العصور متهماً إياهم بعدم استقلالية آرائهم، وانقيادهم لآراء الكنيسة، فالاتجاه الديني كان سائداً ومسيطراً في تلك الحقبة على حساب المنهج العلمي الصحيح في نقل شخصية رسول الله ﷺ. وعلى النقيض من ذلك ذهب غابريلي برأيه إلى أن الكتابات الغربية الحديثة عن شخصية رسول الله ﷺ تغيرت، وأصبح لديهم الآن منهج علمي صحيح، وعلى وفق تلك الرؤية لم نجد تغيراً كبيراً في كتاباتهم، بل إن التغير لحق المنهج فقط، وبقي الهدف الأساس وهو الانتقاص من الإسلام ورسوله والمسلمين.

٢.انه لم يعتمد المصادر والمراجع العربية والإسلامية التي تناولت سيرة رسول الله ﷺ في كتابه، على الرغم من تعدد هذه المصادر وتنوعها، فمنها كتب السيرة، والتراجم، والتاريخ العام، إلا أنه حاول تعليل ذلك بوجود التحريفات، والتشويهات في المرويات العربية الإسلامية.

٣.حاول غابريلي التقليل من مكانة رسول الله ﷺ باعتبار أن نسبه بسيط ومتواضع، ويتضح بطلان ذلك بما تمتع به أجداده: عبد المطلب، وهاشم، وقصي، وإسماعيل وإبراهيم عليهم السلام، وعمه أبو طالب من مكانة مرموقة في مكة وسيادتها وقيادتها، وسيادتهم،

وكانوا ذوي مال وفير، ونسب رفيع، وشرف أصيل، كما أنه سار على نهج المستشرقين أمثاله في محاولة رسم حالة الحزن، والكآبة في شخص رسول الله ﷺ، بسبب يتمه؛ ليبرروا التهم التي ألصقوها به بأنه كان مصاباً بالصرع (حاشا رسولنا الكريم عن ذلك).

٤.نجد تناقضاً عجيباً في آراء غابريلي، على الرغم من نقده لآراء المستشرق جريم الذي يصور الدعوة الإسلامية بأنها ثورة اجتماعية ضد الطبقية الحاصلة في مجتمع مكة، محاولاً بذلك نفي الإسلام بوصفه دينا سماويا، وتجريد شخص رسول الله ﷺ من خاصية النبوة، لكن غابريلي يعود ويتبنى هذا الرأي في محور كلامه عن مجتمع مكة، وانه في بعض المواقف لم يتجرد من أفكار العصور الوسطى وآرائهم، بل تبناها في مواضع عدة منها قوله: إن سفر رسول الله ﷺ، ولقاءه برهبان النصارى واليهود جعل لديه تصورا مكنه من معرفة قصص الأنبياء الذين سبقوه، مما أدى إلى ظهور فكرة، استحوذت على عقله، وتنامت ونضجت فيما بعد لتصبح ثورة دينية اجتماعية اقتصادية سياسية، وهو بذلك يحاول ربط الدين الإسلامي بالعقائد والأفكار اليهودية والنصرانية، وان رسول الله ﷺ تلقى تعاليمه من هاتين الديانتين.

٥.حاول المستشرق غابريلي أن يقلل من عمليات التعذيب، والقتل، والاضطهاد التي تعرض لها أتباع الدين الإسلامي، ووصفه لزعماء قريش بالمعتدلين في اضطهاد هؤلاء النفر من المسلمين الأوائل، ويضيف أيضاً أمراً جديداً لم تذكره المصادر الإسلامية؛ بقوله: إن سبب الهجرة إلى الحبشة هو حدوث انقسامات داخل المسلمين، وقد عالج رسول الله ﷺ هذا الانقسام بإبعاد المنشقين إلى الحبشة، محاولاً التقليل من حالة الاضطهاد والتعذيب التي بسببها اضطر المسلمون إلى الهجرة إلى الحبشة.

٦.يثني المستشرق غابريلي على شخصية رسول الله ﷺ في مكة، وانه نال خبرة دينية كبيرة بعد معاناة وصبرٍ طويل، كما أن أمانة رسول الله ﷺ وصدق مشاعره كانت واضحة جداً؛ بشجبه لشرك أجداده. ويصف ما أبداه من قدرة، وقوة في شق طريقه

تدريجيا في الدعوة، على الرغم من القوى التي جابهته، وعارضته، وذلك بفضل حسن تدبيره، وتقديره، وحكمته، والدهاء والفطنة، والهدوء الذي تميز به.

٧.أغفل غابريلي عملين مهمين قام بهما رسول الله ﷺ فلم يشر إليهما، وهما بناء المسجد في المدينة المنورة، هذا الصرح البسيط الذي تضمن إدارة الجوانب الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للمسلمين في المدينة وضواحيها، وظل مركزاً لإدارة دولة الخلافة بعد رسول الله ﷺ إلى أن نقلها أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الكوفة. وفي السياق نفسه تجاهل أيضاً نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وما كان له من دور في تقوية الدين الإسلامي وتراص صفوف المسلمين من المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة.

٨.يتعجب غابريلي وينقد اليهود لرفضهم رسالة الإسلام، على الرغم من عدم وجود عائق يمنعهم من اتباع الدين الإسلامي، على العكس من النصارى الذين كانت المسألة الخلافية في عدّ المسيح ابن الله، وهذه التي ترفضها العقيدة الإسلامية.

٩.ينقد غابريلي الكتابات التي تناولت تعدد زوجات رسول الله ﷺ واصفاً إياها بعدم العقلانية، ثم يعود بشيء من التناقض الواضح الذي يلازمه، فيذكر أن زيجات رسول الله ﷺ إذا كانت لأسبابٍ سياسية؛ فلا نعرف سبب زواجه من زينب بنت جحش، متجاهلاً أنه كان لتشريع حكم فقهي، محاولاً التشكيك في هذا الزواج كما فعلت من قبله أقلام المستشرقين للنيل من شخص رسول الله ﷺ.

١٠.شكك غابريلي بعالمية الدين الإسلامي، ويعلل ذلك بأن ما نُقل من أن رسول الله قد بعث برسائل إلى ملوك الدول المجاورة التي كانت تدين بأديان مختلفة، فإن هذه الرسائل مشكوك في صحتها.

١١.يصف غابريلي السرايا التي كان رسول الله ﷺ ينظمها ويبعث بها، أنها حذت حذو العادة القديمة في المجتمع العربي الوثني، مصوراً إياها أنها حملات سلب ونهب، على الرغم من أن هذه السرايا لم تهاجم القبائل التي كانت في سلم مع دولة الإسلام في

المدينة، ولم تؤذِ أحداً من غير المسلمين، بل كانت توجه إلى قوافل قريش وبعض المهمات الخاصة فقط.

١٢.قلل غابريلي من انتصار المسلمين في معركة بدر، وعدّ هذه المعركة أنها لم تكن بحسب السياقات العسكرية، فهي ليست أكثر من شجار، وعلى النقيض من ذلك كان لهذه المعركة استعدادات عسكرية مهمة، وكان لها صدى وروح معنوية كبيرة لدى المسلمين.

١٣.حاول المستشرق غابريلي أن يعطي لليهود صورة المضطهدين الذين قُتلوا، أو هُجروا من ديارهم، وتركوا أموالهم وأملاكهم لسبب تافه أو بسيط، دون أن يتقصى الحقائق ومعرفة الأسباب بالرجوع إلى بنود وثيقة المدينة.

١٤.كان غابريلي يقرأ سيرة رسول الله ﷺ بعينٍ واحدة، فلم يطلع على المصادر التي نصت على القول: إن الإمام عليا عليه السلام هو الخليفة من بعد رسول الله ﷺ، بل ذهب إلى القول: إن رسول الله ﷺ لم يعيّن خلفاً له، إنما إرادة جماعته فقط هي التي ستبقى الخلف أو الممثل المنتخب، وبذلك أيّد مبدأ الشورى الذي نادت به بعض المصادر الإسلامية دون الأخرى.

١٥.أثنى غابريلي على شخصية رسول الله ﷺ في مواقع عدة فيشير إلى أن شخصية رسول الله في المدينة مختلفة، أو مغايرة لشخصيته في مكة المكرمة، ففي مكة عومل كنبي مضطهد اندفع بحماس ديني، ولكن في المدينة نراه حاكماً، وقاضياً، وقائداً عسكرياً مقتدراً، وما يميز شخصه الشهامة والسماحة والكرم والعفو مع المسلمين ومع أعدائه بعد انتصاراته عليهم.

الباحث

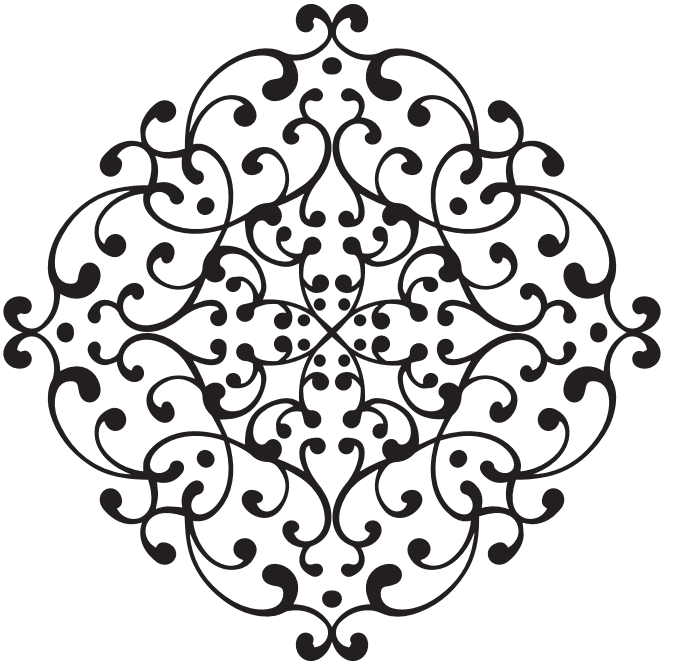

المصادر
والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر الأولية

* الابشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح (ت٨٥٢هـ - ١٤٤٨م)

١. المستطرف في كل فن مستظرف، (تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ).

* ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ -١٢٣٣م).

٢.أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، د. ت).

٣.الكامل في التاريخ، (دار صادر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م).

* الأربلي: ابن أبي الفتح أبو الحسن علي بن عيسى (ت٦٩٣هـ - ١٢٩٤م).

٤.كشف الغمة في معرفة الأئمة، (ط٢، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م).

* الاردبيلي: محمد بن علي (ت١١٠١هـ - ١٦٩٠م).

٥.جامع الرواة، (منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم – إيران، ١٤٠٣هـ. ق).

* الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت٣٧٠هـ - ٩٨٠م).

٦.تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م).

* الاسترابادي: السيد شرف الدين علي الحسيني (ت٩٦٥هـ - ١٥٥٨م).

٧.تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، (تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٧هـ. ق – ١٣٦٦هـ. ش).

* ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (ت١٥١هـ- ٧٦٨م).

٨.السيرة النبوية، (تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م).

* أبو نعيم الاصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى (ت٤٣٠هـ ١٠٣٩م).

٩.معرفة الصحابة، (تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

* ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس (ت٦٦٨هـ- ١٢٦٩م).

١٠.عيون الانباء في طبقات الأطباء، (تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت).

* الباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب (ت٤٧٤هـ - ١٠٨٠م).

١١.التعديل والتجريح، (تحقيق: أحمد البزاز، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – مراكش، د. ت).

* البحراني: السيد هاشم (ت١١٠٧هـ - ١٦٩٥م).

١٢.حلية الأبرار، (تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البرجردي، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران، ١٤١١هـ).
* بحرق: محمد بن عمر بن مبارك الحميري (ت٩٣٠هـ - ١٥٢٤م).
١٣.حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، (تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، ط١، دار المنهاج، جدة، ١٤١٩هـ).
* البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ - ٨٧٠م).
١٤.التاريخ الكبير، (المكتبة الإسلامية، ديار بكر- تركيا، د. ت).
* صحيح البخاري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م).
* البرسي: رضي الدين رجب بن محمد بن رجب الحلي (ت٨١٣هـ- ١٤١٠م).
١٥.مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين، (تحقيق: العلامة السيد علي عاشور، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
* البغدادي: عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ - ١٦٨٢م).
١٦.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مطبعة المدني، مصر، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م).
* البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه (ت٣١٧هـ - ٩٢٩م).
١٧.معجم الصحابة، (تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط١، مكتبة دار البيان، الكويت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م).
* البغوي: الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد (ت٥١٠هـ - ١١١٦م).
١٨.معالم التنزيل، (تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ت).
* ابن بكار: الزبير بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (ت٢٥٦هـ - ٨٧٠م).
١٩.منتخب من كتاب أزواج النبي، (تحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري، ط١، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠١هـ -١٩٨١م).
* البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ - ١٠٩٤م).
٢٠.معجم ما استعجم، (تحقيق: مصطفى السقا، ط٢، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).
* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ -٨٩٣م).
٢١.أنساب الأشراف، (تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ

-١٩٩٦م).
* البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ -١٠٦٦م).
٢٢.دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ).
٢٣.السنن الكبرى، (دار الفكر، د. ت).
* الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي (ت٢٧٩هـ- ٨٩٣م).
٢٤.سنن الترمذي، (تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر للطباعة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣م).
* الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق أبو زيد (ت٨٧٥هـ - ١٤٧٠م).
٢٥.الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرون، ط١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ).
* الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ - ١٠٣٦م).
٢٦.الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
* الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت١٦١هـ- ٧٧٧م).
٢٧.تفسير سفيان الثوري (صححه ورتبه وعلق عليه وراجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م)
* ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (ت ق٧).
٢٨.نهج الإيمان، (تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط١، مطبعة ستارة- قم، ١٤١٨هـ).
* الجزائري: السيد نعمة الله (ت١١١٢هـ- ١٧٠٠م).
٢٩.عقود المرجان في تفسير القرآن، (تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، ط١، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، إيران- قم، ١٣٨٨هـ).
* الجصاص: أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ - ٩٨٠م).
٣٠.أحكام القرآن، (ضبط وإخراج عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
* ابن جعفر: علي بن الإمام جعفر الصادق ﷺ (ق٢).
٣١.مسائل علي بن جعفر ومستدركاتها، (تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١، مطبعة مهر، قم المشرفة، ذي القعدة ١٤٠٩هـ).
* الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ - ٩٤٣م).
٣٢.الوزراء والكُتاب، (قدم له الدكتور حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت-

لبنان، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).
* ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ - ١٢٠١م).
٣٣.زاد المسير، (تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، ط١، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
٣٤.صفة الصفوة، (تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م).
٣٥.المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م).
* الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ - ١٠٠٢م).
٣٦.تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م).
* ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ - ٩٣٩م).
37.تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، د. ت).
* ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبد، التميمي أبو حاتم (ت٣٥٤هـ - ٩٦٥م).
٣٨.الثقات، ط١، (مؤسسة الكتب الثقافية، ١٣٩٣هـ).
٣٩.مشاهير علماء الأمصار، (تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، د. ت).
* ابن حبيب: أبو جعفر بن محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت٢٤٥هـ - ٨٥٩م).
٤٠.المحبر، (تصحيح د.ايلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق، بيروت- لبنان، د. ت).
٤١.المنمق في أخبار قريش، (تعليق خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
* ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ - ١٤٤٨م).
٤٢.الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م).
٤٣.تهذيب التهذيب، (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م).
٤٤.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د. ت).
* ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ - ١٢٥٨م).
٤٥.شرح نهج البلاغة، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٨هـ -١٩٥٩م).

❋ الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ - ١٦٩٣م).
٤٦.وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ١٤١٤ق).
٤٧.الفصول المهمة في أصول الأئمة، (تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، ط١، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ﷺ، ١٤١٨هـ. ق- ١٣٧٦هـ. ش).
❋ الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري (ق٥هـ).
٤٨.شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، (تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران - إيران، ١٤١١هـ-١٩٩٠م).
❋ الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله (ت٤٠٥هـ - ١٠١٤م).
٤٩.المستدرك على الصحيحين، (تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ت).
❋ الحلبي: علي بن إبراهيم بن أحمد (ت١٠٤٤هـ - ١٦٣٤م).
٥٠.السيرة الحلبية، (دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ت).
❋ العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر (ت٧٢٦هـ - ١٣٢٦م).
٥١.تذكرة الفقهاء، (تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث - قم، محرم ١٤١٤هـ)
٥٢.خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، (تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، عيد الغدير، ١٤١٧هـ).
❋ الحلي: عز الدين أبو محمد الحسن بن سلمان بن محمد (ق٩).
٥٣.مختصر بصائر الدرجات، (ط١، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م).
❋ الحميدي: عبد الله بن الزبير الحميدي (ت٢١٩هـ- ٨٣٤م).
٥٤.مسند الحميدي، (تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).
❋ ابن حنبل: أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ - ٨٥٥م).
٥٥.مسند أحمد، (دار صادر، بيروت - لبنان، د. ت).
❋ ابن حوقل: أبو القاسم الصيبي (٣٦٧هـ - ٩٧٧م).
٥٦.صورة الأرض، (ط٢، قس١، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ١٩٢٨م).

❋ الحويزي: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي (ت١١١٢هـ - ١٧٠٠م).
٥٧.تفسير نور الثقلين، (صححه وعلق عليه وأشرف على طبعه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان للطبعة والنشر، ١٤١٢هـ. ق- ١٣٧٠هـ. ش).
❋ الخصيبي: أبو عبد الله الحسين بن حمدان (ت٣٣٤هـ - ٩٤٥م).
٥٨.الهداية الكبرى، (ط٤، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ-١٩٩١م).
❋ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ - ١٠٧٠م).
٥٩.تاريخ بغداد، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
❋ الخطيب التبريزي: ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٤١هـ- ١٣٤٠م).
٦٠.الإكمال في أسماء الرجال، (تعليق: أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، د. ت).
❋ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ - ١٤٠٥م).
٦١.كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، (ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د. ت).
❋ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ - ١٢٨٢م).
٦٢.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
❋ خليفة بن خياط: أبو عمرو العصفري (ت٢٤٠هـ - ٨٥٤م).
٦٣.تاريخ خليفة، (تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م-١٤١٤هـ).
٦٤.طبقات خليفة، (تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
❋ الخوارزمي: الموفق بن أحمد البكري المكي (ت٥٦٨هـ - ١١٧٢م).
٦٥.المناقب، (تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١هـ).
❋ أبو داود: ابن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ- ٨٨٨م).
٦٦.سنن أبي داود، (تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).
❋ ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي (ت٢٨١هـ - ٨٩٤م).

٦٧.الإخوان، (تحقيق: محمد عبد الرحمن طوالبة، دار الاعتصام، د. ت)
❋ الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ - ١٥٥٩م).
٦٨.تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، (دار صادر، بيروت، د.ت).
❋ ابن الديبع: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ - ١٥٣٧م).
٦٩.حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، (تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، ط٢، المكتبة المكية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
❋ الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ - ٨٩٥م).
٧٠.الأخبار الطوال، (تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة،١٩٦٠م).
❋ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ-١٣٧٤م).
٧١.تاريخ الإسلام، (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).
٧٢.سير أعلام النبلاء، (تحقيق: شعيب الارنؤوط، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).
❋ الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت٦٠٦هـ - ١٢٠٩م).
٧٣.التفسير الكبير، (ط٣، د. ن، د. ت).
❋ الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ - ١٣٢١م).
٧٤.مختار الصحاح، (تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
❋ الراوندي: قطب الدين بن سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ - ١١٧٧م).
٧٥.قصص الأنبياء، (تحقيق: الميرزا غلام رضا، ط١، مطبعة الهادي، ١٤١٨هـ).
٧٦.الخرائج والجرائح، (تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ).
❋ ابن رشد الحفيد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي (ت٥٩٥هـ-١١٩٩م).
٧٧.بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (تحقيق: خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
❋ ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (ت٢٣٨هـ - ٨٥٢م).
٧٨.مسند إسحاق بن راهويه، (تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق حسين برّ البلوشي، ط١، مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

* ابن زبالة: محمد بن الحسن بن أبي الحسن القرشي المخزومي (ت١٩٩هـ - ٨١٤م).
٧٩.أخبار المدينة، (جمع وتوثيق: صلاح عبد العزيز زين، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
* الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م).
٨٠.تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
* الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت٢٣٦هـ- ٨٥١م).
٨١.نسب قريش، (تعليق وتصحيح: ا. ليفي بوفنسال، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د. ت).
* الزرقاني: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (ت١١٢٢هـ - ١٧١٠م).
٨٢.شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).
* الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن عمر (ت٥٣٨هـ - ١١٤٣م).
٨٣.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، (ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م).
* ابن زنجويه: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت٢٥١هـ - ٨٦٥م).
٨٤.الأموال، (تحقيق: الدكتور شاكر ذيب فياض، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
* ابن زهير: كعب (ت٢٦هـ - ٦٤٧م).
٨٥.ديوان كعب بن زهير، (شرح ودراسة: د. مفيد قميحة، ط١، دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م).
* الإمام زين العابدين: علي بن الحسين عليه السلام (ت٩٤هـ- ٧١٣م).
٨٦.رسالة الحقوق، (شرح: حسن السيد علي القبانجي، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).
* السبزواري: محمد بن محمد (ت ق٧هـ).
٨٧.معارج اليقين في أصول الدين، (تحقيق: علاء آل جعفر، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).
* السرخسي: محمد بن أحمد (ت٤٨٣هـ - ١٠٩٠م).
٨٨.شرح السير الكبير، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، ١٩٦٠م).

* ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ- ٨٤٥م).
٨٩.الطبقات الكبرى، (تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م).
* أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ - ١٥٤٤م).
٩٠.إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ت).
* ابن سعيد الأندلسي: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ - ١٢٨٦م).
٩١.نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، (تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن، د. ت).
* ابن السكيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ - ٨٥٨م).
٩٢.إصلاح المنطق، (تحقيق: الشيخ محمد حسن بكائي، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد – إيران، ١٤١٢هـ).
* السمرقندي: أبو الليث (ت٣٨٣هـ - ٩٩٣م).
٩٣.تفسير السمرقندي، (تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د. ت).
* السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي أبو سعد (ت٥٦٢هـ - ١١٦٧م).
٩٤.الأنساب، (تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م).
* ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري (ت٧٣٤هـ-١٣٣٤م).
٩٥.عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م).
* ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ).
٩٦.المحكم والمحيط الأعظم، (تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م).
* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ ١٥٠٥م).
٩٧.إسعاف المبطأ برجال الموطأ، (تحقيق: موفق فوزي جبر، ط١، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٠هـ).
٩٨.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، د. ت).
٩٩.الديباج على مسلم بن الحجاج، (ط١، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
* ابن شبه النميري: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت٢٦٢هـ - ٨٧٦م).
١٠٠.تاريخ المدينة المنورة، (تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٢، دار الفكر، قم- إيران، ١٤١٠هـ-

١٣٦٨ش).
* الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦هـ - ١٠١٥م).
١٠١.خصائص الأئمة، (تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية- الاستانة الرضوية المقدسة، مشهد- إيران، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ).
١٠٢.شرح نهج البلاغة، (تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطار، ط١، العتبة العلوية المقدسة، ١٤٣٧هـ).
* الشريف المرتضى: أبو القاسم السيد علي بن حسين بن موسى (ت٤٣٦هـ- ١٠٤٥م).
١٠٣.تنزيه الأنبياء، (ط٢، دار الأضواء، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
* ابن شهر آشوب: مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي (ت٥٨٨هـ - ١١٩٢م).
١٠٤.مناقب آل أبي طالب، (تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
* الشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي (ت٧٨٦هـ - ١٣٨٤م).
١٠٥.ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- قم، محرم ١٤١٩هـ).
* ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي (ت٢٣٥ه- ٨٤٩م).
١٠٦.المصنف، (تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، جماد الآخرة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
* الصالحي: محمد بن يوسف الشامي (ت٩٤٢هـ - ١٥٣٥م).
١٠٧.سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
* الصباح: الحافظ أبو علي الحسن بن محمد (ت٢٦٠هـ - ٨٧٣م).
١٠٨.مسند بلال، (تحقيق: مجدي فتحي السيد، ط١، دار الصحابة للطباعة والنشر، مصر، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
* ابن الصباغ المالكي: علي بن محمد بن أحمد المالكي (ت٨٥٥هـ - ١٤٥١م).
١٠٩.الفصول المهمة في معرفة الأئمة، (تحقيق: سامي الغريري، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ).
* الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ - ٩٩١م).
١١٠.الأمالي، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ).
١١١.الخصال، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في

قم المقدسة، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ).
١١٢.علل الشرائع، (تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م).
١١٣.كمال الدين وتمام النعمة، (تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، محرم الحرام، ١٤٠٥ – ١٣٦٣ش).
١١٤.معاني الأخبار، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩-١٣٣٨ش).
١١٥.من لا يحضره الفقيه، (تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤٠٤هـ).
❋ الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ - ١٣٦٣م).
١١٦.الوافي بالوفيات، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
❋ الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ - ٨٢٦م).
١١٧.المصنف، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، د. ت).
❋ ابن الضياء: أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء (ت٨٥٤هـ - ١٤٥٠م).
١١٨.تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، (تحقيق: علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
❋ أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب (ت٥ للبعثة – ٦١٩م).
١١٩.ديوان أبي طالب عم النبي، (جمعه وشرحه: د. محمد التونجي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
❋ ابن أبي طالب: علي عليه السلام
١٢٠.ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، (جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).
١٢١.نهج البلاغة، (شرح: الشيخ محمد عبده، ط١، دار الذخائر، قم- إيران، ١٤١٢هـ-١٣٧٠ش).
❋ ابن طاووس: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت٦٦٤هـ - ١٢٦٦م).
١٢٢.الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، (ط١، مطبعة الخيام، قم، ١٣٩٩هـ).
❋ الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ - ٨٧٤م).
١٢٣.المعجم الكبير، (تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط٢، دار إحياء التراث العربي، د. ت).
❋ الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ق٦هـ).

١٢٤.الاحتجاج، (تحقيق وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م).
❋ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ- ١١٥٤م).
١٢٥.اعلام الورى بأعلام الهدى، (تعليق: علي أكبر الغفاري، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).
١٢٦.تفسير جوامع الجامع، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤٢٠هـ).
١٢٧.مجمع البيان في تفسير القرآن، (حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
❋ الطبرسي: أبو نصر رضي الدين الحسين بن أبي علي الفضل بن الحسن (ق٦هـ)
١٢٨.مكارم الأخلاق، (ط٦، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
❋ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ- ٩٢٢م).
١٢٩.تاريخ الرسل والملوك (راجعه وصححه وضبطه: نخبة من العلماء الأجلاء، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، د. ت).
١٣٠.جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
❋ الطوسي: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ - ١٠٦٨م).
131. الأمالي، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤ه)
١٣٢.التبيان في تفسير القرآن، (تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ).
١٣٣.الفهرست، (تحقيق: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ).
❋ ابن أبي عاصم: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت٢٨٧هـ- ٩٠٠م).
١٣٤.الآحاد والمثاني (تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ-١٩٩١م).
❋ العامري: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى (ت٨١٦هـ - ١٤١٣م).
١٣٥.بهجة المحافل وبغية الاماثل، (عني به: أبو حمزة أنور بن أبي بكر الداغستاني، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

❋ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ- ١٠٧١م).
١٣٦.الاستذكار، (تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م).
١٣٧.الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
١٣٨.الدرر في اختصار المغازي والسير، (دار الفكر، بيروت، د. ت).
❋ أبو عبيد: القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ- ٨٣٧م).
١٣٩.الأموال، (تحقيق: الدكتور محمد عمارة، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
❋ ال عبد الجبار: محمد بن عبد علي (ت٣٥٠هـ - ٩٦١م).
١٤٠.الشهب الثواقب في رجم شياطين النواصب، (تحقيق: حلمي السنان، ط١، مطبعة الهادي، قم، ١٤١٨هـ).
❋ العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي (ت١١٦٢هـ- ١٧٤٩م).
١٤١.كشف الخفاء ومزيل الالتباس، (ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
❋ ابن عساكر: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت٥٧١هـ- ١١٧٦م).
١٤٢.تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق: محب الدين أبي سعيد العمروي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
١٤٣.الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، (تحقيق: محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، سورية- دمشق، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
❋ الإمام العسكري: أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ - ٨٧٤م).
١٤٤.تفسير الإمام العسكري، (التحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ط١، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدسة، ١٤٠٩ه).
❋ ابن عقبة: موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي (ت١٤١هـ - ٧٥٨م).
١٤٥.المغازي، (جمع ودراسة محمد باقشيش أبي مالك، المملكة المغربية- جامعة ابن زهر- كلية الآداب والعلوم الإنسانية-اكادير، ١٩٩٤م).
❋ العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت٣٢٠هـ - ٩٣٢م).
١٤٦.تفسير العياشي، (تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية- طهران، د.ت).
❋ العيني: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي (ت٨٥٥هـ - ١٤٥١م).
١٤٧.عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د. ت).

❋ ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ - ١٠٠٥م).
١٤٨.معجم مقاييس اللغة، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ).
❋ الفاسي: محمد المهدي بن أحمد بن علي (ت١١٠٩هـ - ١٦٩٧م).
١٤٩.سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر، (تحقيق: د. سعاد رحائم، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المملكة المغربية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).
❋ الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (ت١١٣٧هـ - ١٧٢٥م).
١٥٠.كشف اللثام عن قواعد الأحكام، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٨هـ).
❋ الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت٢٧٢هـ - ٨٨٥م).
١٥١.أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، (تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط٢، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).
❋ الفتال النيسابوري: العلامة الشهيد أبو علي محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ - ١١١٤م).
١٥٢.روضة الواعظين، (تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، د.ت).
❋ أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ - ١٣٣٢م).
١٥٣.المختصر في أخبار البشر، (ط١، المطبعة الحسينية، مصر، د. ت).
❋ الفراهيدي: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت١٧٠هـ- ٧٨٧م).
١٥٤.العين، (تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ).
❋ أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ - ٩٦٧م).
١٥٥.الأغاني، (تحقيق: الدكتور إحسان عباس وآخرون، ط٣، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).
١٥٦.مقاتل الطالبيين، (تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، منشورات المكتبة الحيدرية- النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م).
❋ ابن الفقيه: أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت٣٤٠هـ - ٩٥١م).
١٥٧.البلدان، (تحقيق: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).
❋ الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن (ت١٠٩١هـ - ١٦٨٠م).
١٥٨.الأصفى في تفسير القرآن، (تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٨-١٣٧٦ ش).

١٥٩.تفسير الصافي، (مراجعة وتعليق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ).
❋ القاضي عياض: أبو الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ ١١٤٩م).
١٦٠.الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).
❋ ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ - ٨٨٩م).
١٦١.غريب الحديث، (تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ).
١٦٢.المعارف، (تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د. ت).
❋ ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت٦٢٠هـ).
١٦٣.التبيين في أنساب القرشيين، (تحقيق: محمد نايف الدليمي، ط١، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).
❋ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ- ١٢٧٣م).
١٦٤.الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: مصطفى السقا، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).
❋ القسطلاني: الشيخ أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ - ١٥١٧م).
١٦٥.المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (تعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).
❋ القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ- ٩٤١م).
١٦٦.تفسير القمي، (تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٧٨هـ).
❋ ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد القمي (ت٣٦٨هـ - ٩٧٨م).
١٦٧.كامل الزيارات، (تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ).
❋ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت٧٥١هـ - ١٣٥٠م).
١٦٨.أحكام أهل الذمة، (تحقيق: يوسف بن أحمد البكري- شاكر بن توفيق العاروري، ط١، رمادي للنشر، الدمام، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
❋ ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ- ١٣٧٣م).
١٦٩.البداية والنهاية، (تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
١٧٠.تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: وتقديم يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م).
١٧١.السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٦م).
❋ الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي (ت٤٤٩هـ – ١٠٥٧م).
١٧٢.كنز الفوائد، (ط٢، مطبعة غدير، ١٣٦٩ش).
❋ ابن كرامة: شرف الإسلام بن سعيد المحسن (ت٤٩٤هـ – ١١٠١م).
١٧٣.تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، (تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م).
❋ الكرماني: تقي الدين يحيى بن محمد (ت٨٣٢هـ – ١٤٢٩م).
١٧٤.مختصر تاريخ مكة المشرفة، (تحقيق: د. عبد القادر بن محمد الغامدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، د. ت).
❋ ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ – ٨١٩م).
١٧٥.جمهرة النسب، (تحقيق: الدكتور ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م).
١٧٦.نسب معد واليمن الكبير، (تحقيق: الدكتور ناجي حسن، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م).
❋ الكليني: محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ – ٩٤١م).
١٧٧.الكافي، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ).
❋ ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ – ٨٨٨م).
١٧٨.سنن ابن ماجة، (تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، د. ت).
❋ المازندراني: مولي محمد صالح (ت١٠٨١هـ – ١٦٧٠م).
١٧٩.شرح أصول الكافي، (تحقيق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م).
❋ ابن ماكولا: الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله (ت٤٧٥هـ – ١٠٦٥م).
١٨٠.اكمال الكمال، (الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت).
❋ الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ – ١٠٥٨م).
١٨١.اعلام النبوة، (دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م).
❋ المتقي الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ– ١٥٦٧م).

١٨٢.كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال، (ضبط وتصحيح: الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
* المجلسي: محمد باقر (ت١١١١هـ- ١٧٠٠م).
١٨٣.بحار الأنوار، (تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).
* المحاوزي: سليمان بن عبد الله (ت١٠٧٥هـ - ١٦٦٤م).
١٨٤.الأربعون حديثا، (تحقيق: مهدي الرجائي، ط١، مطبعة أمير، ١٤١٧هـ).
* محب الدين الطبري: أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ - ١٢٩٥م).
١٨٥.خلاصة سير سيد البشر، (تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
١٨٦.السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، (تحقيق: محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، د.ت).
* المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ - ٩٩٤م).
١٨٧.معجم الشعراء، (تصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط٢، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).
* المزي: جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ - ١٣٤١م).
١٨٨.تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م).
١٨٩.التنبيه والاشراف، (تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د. ت).
١٩٠.مروج الذهب ومعادن الجوهر، (اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م).
* مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ - ٨٧٥م).
١٩١.صحيح مسلم، (دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ت).
* المشهدي: الميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي (ت١١٢٥هـ- ١٧١٣م).
١٩٢.تفسير كنز الدقائق، (تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤١٠هـ).
* الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السَّلام الحارثي (ت٤١٣هـ - ١٠٢٢م).
١٩٣.الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، (تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢،

دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
١٩٤.الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين ﷺ، (تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية- مؤسسة البعثة، ط١، قسم الدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٢هـ ق).
١٩٥.الفصول العشرة، (تحقيق: الشيخ فارس الحسون، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
❋ المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي (ت٨٤٥هـ - ١٤٤١م).
١٩٦.إمتاع الأسماع، (تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).
❋ ابن منده: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى الاصبهاني (ت٣٩٥هـ - ١٠٠٥م).
١٩٧.معرفة الصحابة، (تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، ط١، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م).
❋ ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ - ١٣١١م).
١٩٨.لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم- إيران، محرم ١٤٠٥هـ).
❋ ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن (ت٦٤٣هـ - ١٢٤٥م).
١٩٩.الدرة الثمينة في أخبار المدينة، (تحقيق وتعليق: د. محمد زينهم محمد عرب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت).
❋ النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ - ٩٤٩م).
٢٠٠.معاني القرآن الكريم، (تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ).
❋ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ - ٩١٥م).
٢٠١.السنن الكبرى، (تحقيق: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩١م).
٢٠٢.فضائل الصحابة، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ).
❋ ابن النفيس: علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت٦٧٨هـ - ١٢٧٩م).
٢٠٣.الرسالة الكاملية في السيرة النبوية، (تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، ط٢، لجنة إحياء التراث، وزارة الأوقاف، مصر، ١٩٨٧م).
❋ ابن نما الحلي: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله (ت٦٤٥هـ- ١٢٤٧م).
٢٠٤.مثير الأحزان، (منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م).
❋ الهروي: علي بن أبي بكر بن علي أبو الحسن (ت٦١١هـ - ١٢١٤م).

٢٠٥.الإشارات إلى معرفة الزيارات، (ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ).
❋ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت٢١٨هـ- ٨٣٤م).
٢٠٦.السيرة النبوية، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، مصر، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م).
❋ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ - ١٤٠٤م).
٢٠٧.مجمع الزوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
٢٠٨.موارد الضمآن، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار الثقافة العربية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م).
❋ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت٤٦٨هـ - ١٠٧٥م).
٢٠٩.الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٥هـ).
❋ الواسطي: علي بن محمد الليثي (ت القرن٦ الهجري).
٢١٠.عيون الحكم والمواعظ، (تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، ط١، دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ).
❋ الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت٢٠٧هـ - ٨٢٢م).
٢١١.المغازي، (تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
❋ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ - ١٢٢٩م).
٢١٢.معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م).
❋ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ - ٩٠٥م).
٢١٣.تاريخ اليعقوبي، (دار صادر، بيروت- لبنان، د. ت).
٢١٤.البلدان، (وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت).
❋ أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت٣٠٧هـ - ٩١٩م).
٢١٥.مسند أبي يعلي الموصلي، (تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت).

ثالثاً: المراجع الثانوية

❋ إبراهيم، أنيس وآخرون

٢١٦.المعجم الوسيط، ط٤، (مطبعة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).

❋ الأحمدي: الشيخ علي

٢١٧.مكاتيب الرسول ﷺ، (ط١، مؤسسة دار الحديث الثقافية، طهران، ١٤١٩هـ).

❋ الألمعي: الدكتور زاهر عواض

٢١٨.مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، (ط٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

❋ الآلوسي: السيد محمود شكري البغدادي (ت١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م).

٢١٩.بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، (تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت).

❋ الأمين: السيد محسن (ت١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

٢٢٠.أعيان الشيعة، (تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

❋ الأميني: الشيخ عبد الحسين أحمد (ت١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

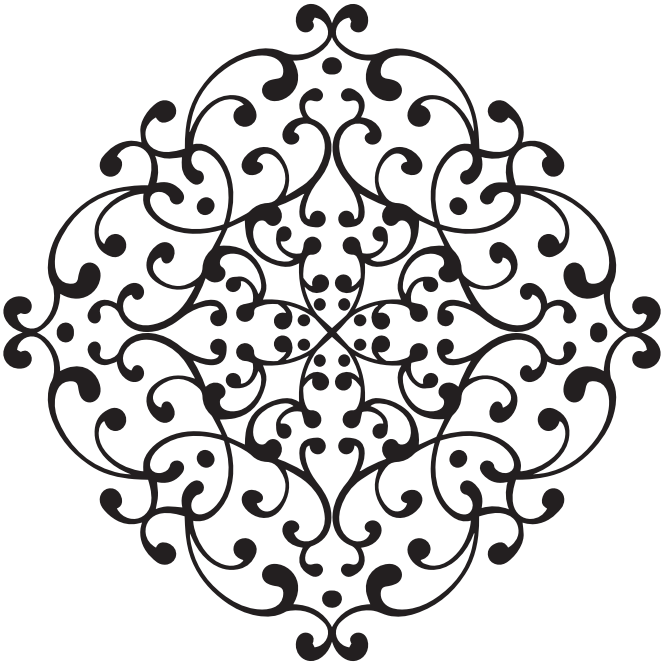

The present study focusses on the Italian school, which is among the first Orientalist schools interested in studying the prophetic biography for several reasons, including its proximity to the Arab region, which facilitated the process of continuous communication between Italy and the Arab region, whether before or after Islam. Hence, Sicily and southern Italy played an important role in this communication. Besides, Italy embraced the Catholic Church that controlled most of Europe in the Middle Ages, and it adopted the initiative that encouraged the study of Arab-Islamic heritage to learn about Islam to respond to.

Italian school had several orientalists who were distinguished by the diversity of their writings on Islam and Islamic civilization. Here, light is shed on Francesco Gabrielli and his book " Muhammad and the Islamic Conquest". Gabrielli is a great orientalist. He has many other works that dealt with different historical eras, including those on the Umayyad and Abbasid eras, the Crusades, and Arab and Islamic literature.

The title of this thesis, which is Italian Orientalism in the Prophetic Biography: Francesco Gabrielli in his book "Muhammad and the Islamic Conquests as an Example', was chosen for several reasons. First, the shortage of literature on Italian Orientalism. Second, the importance of Gabrielli's "Muhammad and the Islamic Conquests", as it contained multiple information and contradictions on the Prophetic Biography. Finally, the unavailability of a comprehensive yet independent academic study on the Prophetic Biography.

Abstract

Writing on the Prophetic Biography is one of the important basics, as it is the first historical notation document. Moreover, the writing was not confined to Arab and Muslim historians only, but Orientalists have extensively studied and primarily specialized in. The orientalists' writings, however, varied in their credibility: each writer followed his interpretation and analysis of related historical events. Some of them were just and have even been influenced by the Prophet's personality, because they followed a scientific approach, while others, on the other hand, have tried to divert and distort the truth because they followed their extremist tendencies that were based on weak narratives.

The Orientalist schools diversified their motives. The scientific ones, for example, intended to serve knowledge and followed a systemic approach in their work. The religious, on the other hand, intended to spread Christianity, and distort the image of the Islam that threatened their borders. Moreover, there are the political and colonialist schools that Orientalism served in the exploration and study of areas to be colonized to facilitate the process of controlling them. There are also the economic ones whose purpose was to open new markets for the consumption of their products after the industrial revolution in Europe. Most of these schools tried to deform the image of the Messenger of Allah Mohammed (may Allah bless him and his household). Western studies aspire to distort the biography of this great personality by various means because it represents the pillar of the Islamic religion. This personality managed to establish a great Islamic state, which transformed Arabs from primitive people who inhabit the desert into an effective global Islamic power in terms of history and civilization, which led to endangered the West.

Abstract

ITALIAN ORIENTALISM IN THE PROPHETIC BIOGRAPHY FRANCESCO GABRIELLI

IN HIS BOOK "MUHAMMAD AND THE ISLAMIC CONQUESTS AS AN EXAMPLE

Abbas Kassim A. Al Maryani